هوية كركوك

أ. د. عبدالله كـران • بـهـروز شجاعي
أ. د. عثـمـان عـلي • محمد بـايـراك
د. آري بـاديـنـاني • سـعـيد قـەرۆژ
مـامـنـد روژه • زريان روژهەلاتى

مركز روودأو للدراسات
Rudaw Research Centre

هوية كركوك

مركز روورداو للدراسات
2018

هوية كركوك

أ. د. عبدالله كـران • بـهـروز شجاعي
أ. د. عثـمـان عـلي • محمد بـايـراك
د. آري بـاديـنـاني • سـعـيد قـەڕۆژ
مـامـنـد روژه • زريان روژهەلاتى

الترجمـة إلى العربية
عـوف عبدالرحمـن عبدالله

مركز روودا‌و للدراسات
Rudaw Research Center

الطبعة الأولى ـ أربيل - كوردستان العراق
2718 كوردى - 2018 ميلادي
researchcentre@rudaw.net
العنوان - أربيل - إقليم كوردستان العراق

كافة حقوق الطبع والإقتباس محفوظة لمركز روودا‌و للدراسات

رقم الإيداع في المكتبة العامة في إقليم كوردستان العراق (238 سنة 2018)

طبع في مطبعة رۆژهەلّات - أربيل

الفهرست

1. كركوك المدينة التي حُوّلت إلى قضية إقليمية	آكو محمد	7
2. تاريخ وهوية كركوك	أ. د. عبدالله كران	10
3. بيبلوغرافيا كوردستانية كركوك	بهروز شجاعي	30
4. مراجع كوردستانية كركوك	أ. د. عثمان علي	57
5. كركوك في الوثائق العثمانية	محمد بايراك	84
6. ممثلية لواء كركوك في عهد النظام الملكي	د. آري بادیناني	93
7. كركوك – الموصل من الأمس إلى اليوم	سعيد قــەرۆژ	111
8. كركوك: عُقَد التعريب	مامند رۆژه	125
9. التغيير في الدولة والصراع في كركوك	زريان رۆژهەلاتی	144

بدلاً عن المقدمة

كركوك
المدينة التي حُوّلت إلى قضية إقليمية

آكو محمد

منذ ستينات القرن العشرين باتت كركوك مضمون ومحور القضية الوطنية والقومية الكوردية في العراق. حيث أضحت كركوك لب قضية جنوب كوردستان. في نفس الوقت، حُوّلَت كركوك إلى قضية إقليمية خرجت عن حدود العراق. وقد ثبتت هذه الحقيقة مرة أخرى وبوضوح لا لبس فيه من خلال هجمة 16 أكتوبر/ تشرين الأول 2017، فبالرغم من تورط جناح متنفذ من الاتحاد الوطني الكوردستاني في مساعدة وتسهيل الهجوم على كركوك، إلا أن الهجمة وكما يتبيّن من كل الأدلة لم تكن هجمة عراقية خالصة، بل كانت هجمة إقليمية بمساعدة داخلية من كوردستان.

الحقيقة هي أن كركوك لا تمثل مشكلة، حسب الوثائق التاريخية، لكن تم "تحويلها" إلى مشكلة. فالكتابات والسجلات التاريخية المرتبطة بكوردستانية وبكوردية كركوك هي أكثر بكثير من تلك المرتبطة بكوردستانية الكثير من مناطق كوردستان الأخرى، التي لا خلاف على كورديتها وكوردستانيتها. أغلب هذه الكتابات التاريخية هو باللغتين التركية والعربية، ثم باللغات الغربية، وقد كتبها مؤرخون، علماء ورحالة أتراك وعرب وأوروبيون. والذي يثير

الاستغراب هنا، هو أن المسؤولين والشخصيات التركية والعربية هم الذين يتخذون من كركوك قضية ويدّعون أنها ليست كوردية أو ليست كوردستانية.

البحوث التي بين دفّتي هذا الكتاب، تبيّن بوضوح وبجلاء أن مثل تلك الأقوال التي تصدر عن تلك الشخصيات التركية والعربية، تفنّدها المصادر التركية والعربية التي تثبت وتوضح كوردستانية المدينة وكوردستانية المحافظة كلها. لذا فإن الذين يتذرعون "بالحفاظ على أمن المنطقة" لتحويل كركوك إلى مشكلة، إنما يعملون على استمرار غياب الأمن عن المنطقة، خاصة وأن الكورد لا يضمرون أية أفكار معادية للتنوع الموزائيكي والاختلاط والتعايش بين جميع الأقوام في كركوك، بل أن همّ الكورد الوحيد هو الحدود الجغرافية لكركوك، وأن تكون كوردستانية بصورة رسمية وبدون مشاكل.

بات التخلي عن كركوك مسألةً لا يستطيع أي كوردي، أو بتعبير أدق أي حزب أو قائد كبير، تحملها وتسجيلها في صحائف تاريخه. فقد أصبحت كركوك مسألة كرامة قومية ووطنية عند الكورد، لذا أسفر احتلال كركوك من خلال تكالب عناصر مختلفة في 16 أكتوبر، عن شعور الكورد بالانكسار الداخلي والذي كان انكساراً كبيراً، عسكرياً وسياسياً ثم اقتصادياً.

نجد في هذا الكتاب مصادفة تاريخية، تتمثل في صد الهجوم العربي الإسلامي عند مدينة بردي (آلتون كوبري) التابعة لمحافظة كركوك، في بدايات زحف المسلمين على كوردستان وإيران عند بدء نشر الدين الإسلامي في هذه المنطقة، ثم صد هجمات القوات العراقية على كوردستان عند مدينة بردي في 20 أكتوبر/ تشرين الأول 2017. صد القوات العراقية ودحرها من قبل البيشمركة في بردي، وفي سحيلا التابعة لقضاء سنجار، أدى إلى حماية أربيل ودهوك وكوردستان عموماً، وأبقى على ضرورة حل قضية كركوك والمناطق الأخرى المقتطعة من كوردستان في إطار الدستور العراقي، مسألة حية.

ترسخ اعتبار التخلي عن كركوك خيانة، وتعريفها كمحور ومضمون ثورة كوردستان، في أيام البارزاني الخالد إبان ثورة أيلول وفي فترة المفاوضات مع

الدولـة العراقيـة (1970 - 1974) ترسـيخاً تامـاً. ففـي تلـك الفـترة أصر البـارزاني الخالـد عـلى رفـض أي حـل يسـتثني كل كركـوك وكل تلـك المدينـة بـدون تجزئـة، حتـى أنـه رفـض تقسـيمها إلى قسـمين. وبعـد سـقوط نظـام صـدام حسـين، في التاسـع مـن نيسـان 2003، أعلـن السـيد مسـعود بـارزاني عـدة مـرات رفـض إخضـاع كركـوك لأيـة مسـاومة أو مفاوضـات، لأن كوردسـتانية كركـوك ثابتـة بـكل المعايـير والأشـكال، لكنهـا كأيـة محافظـة أخـرى تقـع ضمـن حـدود الدولـة العراقيـة. لكـن وللأسـف كانـت هنـاك مواقـف لأطـراف كوردسـتانية أخـرى، عنـد صياغـة الدسـتور، تختلـف عـن موقـف السـيد مسـعود بـارزاني، مـا أدى إلى ربـط تقريـر مصـير كركوك بالمـادة 58 مـن قانـون إدارة الدولـة العراقيـة الموقـت، ولمـا لم تنفـذ تلـك المـادة، تمـت صياغـة المـادة 140 مـن الدسـتور العراقـي، والتـي نصـت عـلى البـت في مصـير كركـوك بحلـول نهايـة العـام 2007 بعـد مرحلتـي التطبيـع والتعـداد السـكاني، مـن خـلال إجـراء اسـتفتاء يحـدد مصـير كركـوك وهـل سـتكون محافظـة تابعـة لسـلطة الحكومـة الاتحاديـة العراقيـة، أم واحـدة مـن محافظـات إقليـم كوردسـتان بصفتهـا جـزءاً مـن كوردسـتان. لكـن تلـك المـادة لم تنفـذ حتـى الآن وأصبحـت أساسـاً لـبروز الاسـتياء الكـوردي في العـراق مـن جديـد.

وإذا تحرينـا الحقيقـة، فـإن ربـط مصـير كركـوك بتصحيـح الواقع الديموغـرافي كان خطـأ، لأن تلـك القضيـة كانـت مؤذيـة لتاريـخ الأمريكيـين الذيـن كانـت لهـم اليـد العليـا حينهـا، كـما لم يكـن ذلـك الإجـراء عمليـاً بالنسـبة إلى كوردسـتان والعـراق. وفي نفـس الوقـت، كانـت إحالـة مصـير كركـوك والمناطـق الأخـرى المقتطعـة مـن كوردسـتان عـلى عمليـة اسـتفتاء عـلى الحـدود والارتبـاط الجغـرافي خطـأ كبـيراً، وقـد طلـب عـدد مـن الخـبراء الكـورد حينهـا تجنـب الوقـوع في ذلـك الخطـأ.

إن قـراءة هـذا الكتـاب مفيـدة جـداً لـكل الذيـن يتحـرون حقـاً عـن حقيقـة كركـوك وحقيقـة هويتهـا.

تاريخ وهوية كركوك

أ. د. عبدالله كران

يتحدث غريغوري أبو الفرج في كتابه التاريخي الموسوم (أبو الفرج) عن تاريخ بناء مدينة أربيل، ويشير إلى أن المدينة بنيت في عهد النبي إبراهيم. وحسب ما يورده أبو الفرج فإن الملك الآشوري نينوس هو الذي بنى مدينة أربيل، وجاء بناؤها بعد بناء مدينة نينوى. وحسب تحقيقات أبي الفرج فإن مدينة أربيل أقدم من مدينة القدس، التي بناها ملجهيسديق. ولا يشير أبو الفرج إلى بناء كركوك (شهرزور)، لكن، وحسب بعض المصادر يمكن الجزم بأن الاستيطان في كركوك قديم قدم الاستيطان في أربيل، ويعود إلى 2600 عام قبل الميلاد.

ويذكر ياقوت الحموي (1179 - 1229م) في (معجم البلدان) أن كركوك بنيت في عهد الدهاق. وهناك مصادر تقول بأن كركوك بنيت في القرن الثامن قبل الميلاد من قبل الملك الآشوري سترانابال. فقد بنى سترانابال كركوك كقلعة دفاعية للتصدي لزحف الماديين. وبعد سقوط الامبراطورية الآشورية سيطر الماديون على كركوك ثم آلت السيطرة عليها إلى الفرس.

وفي فترة رحلة الاسكندر الكبير (331 ق.م.) كانت كركوك ضمن الإمبراطورية الأخمينية، لكنها فيما بعد باتت تحت سيطرة الاسكندر الكبير، وفي العام

(226م) سيطر عليها الساسانيون. وفي العام (642م) في عهد عمر ابن الخطاب أصبحت كركوك بعد معركة القادسية، تحت سيطرة المسلمين، وفي العام (750م) ومع ظهور الدولة العباسية باتت كركوك ضمن حدود هذه الدولة. وبعد مرور بعض الوقت، انطلق الإسماعيليون بقوات ضخمة من مصر صوب بغداد وأسروا الخليفة وحبسوه في (حاديس). وهكذا خضعت بغداد وأطرافها وكركوك لحكم الإسماعيليين في مصر. وكانت الجوامع لمدة عامين تدعو للخليفة (المنتصر). بعدها بعامين، زحف طغرل بيك السلجوقي بجيش كبير، منطلقاً من خراسان، نحو بغداد، وأسر البصاصيري وقتله. ثم أطلق طغرل سراح الخليفة المحبوس وأعاده إلى عرشه في بغداد. انتهت سلطة الإسماعيليين مع زحف السلاجقة، وبسط طغرل بيك سلطة دولته على كركوك، الجزيرة، حلب والبصرة. ثم بدأ التركمان يظهرون شيئاً فشيئاً في المنطقة. بقيت كركوك خاضعة لحكم السلاجقة لمدة 63 عاماً لتخضع بعدها للسلاجقة العراقيين، لكن سيادة السلاجقة العراقيين لم تدم أكثر من اثني عشر عاماً.

في العام (1139م) أُخضعت كركوك لحكم الأتابكة وبسط عمادالدين زنكي سلطته على المنطقة كلها. انتزع عمادالدين زنكي منطقة شهرزور من كبجاك ابن أرصلانتاش. وبدأت سيطرة الأتابكة على الموصل في العام (1127م) ودامت حتى العام (1233م). بعدها صارت كركوك تحت سلطة الأتابكة الأرابلة. ومن بين هؤلاء مظفرالدين كوكبري (1154 - 1232م) الذي دام حكمه 44 عاماً، وكان قد تزوج من أخت صلاح الدين الأيوبي. في العام (1174م) وبعد موت نورالدين زنكي، عاد صلاح الدين من مصر إلى الشام، ثم خضعت حلب، الموصل، آمد، حران وعنتاب لسلطة الأيوبيين. وعندما استولى صلاح الدين في العام (1183م) على آمد، أهدى المدينة كميراث (بيكوي) لنورالدين ابن قرة أرصلان. ومن العام (1175م) حتى مجيء المغول، كانت الشام، أربيل، كركوك، حلب وبغداد وصولاً إلى مصر واليمن والسودان خاضعة لحكم الأيوبيين.

في العام (1193م) طرد الخوارزميون السلاجقةَ الخراسانيين، وتعرض علاءالدين تاكش الخوارزمي لجيش السلطان طغرل، فقتل طغرل في أرض المعركة، وجز الخوارزميون رأسه وأرسلوه إلى بغداد. ووضع رأس طغرل على قصبة أمام باب قصر الخليفة ببغداد. في تلك الأيام، خضعت كركوك لفترة قصيرة لحكمهم، لكن سلطة الخوارزميين لم تدم طويلاً، إذ زحفت جموع المغول كأسراب الجراد على كوردستان وبغداد. وقبل أن يزحف على بغداد، قضى هولاكو على الأغوات الكورد، وفي شهر كانون الثاني من العام (1257م) انطلقت جيوش هولاكو من همدان صوب كرمانشاه وهوفان، وارتكبت جيوش هولاكو مذابح عظيمة في كرمانشاه وأطرافها ونهبت كل ما وجدته في طريقها. ودمروا وهدموا كل القرى والقصبات الكوردية التي مروا بها في طريقهم، وقد مروا بخانقين (كركوك) أيضاً. في العام (1258م) أخضع هولاكو، وهو حفيد جنكيزخان، بغداد وأطرافها لنفوذه. وخلال هجمات المغول على بغداد، كان فتح الدين ابن الكوردي قائد جيش العباسيين. فهزم جيش ابن الكوردي أمام زحف المغول، وقُتل يومها اثنا عشر ألفاً في بغداد، كان بعضهم قد علق في الطين والطمى وغرق بعضهم في النهر. دخل المغول بغداد، في العاشر من شباط (1258م)، واجتاز عشرات الآلاف منهم أسوار المدينة. واستمر حكم المغول في المنطقة حتى العام (1339م). تلاهم في السيطرة عليها الإيلخانيون الجلائريون (1339 - 1410م) ثم قرة قوينلو الجلائريون (1411 - 1468م) وبعدهم آق قوينلو الجلائريون (1468 - 1508م).

وبعد معركة جالديران (1516م)، خضعت كركوك مع ماردين، الموصل، حسنكيف والرقة لسلطة العثمانيين. لكنها آلت بعد فترة إلى الصفويين. وفي العام (1534م) نظم السلطان سليمان القانوني رحلة العراقَين لتعود كركوك مرة أخرى إلى العثمانيين. وصل السلطان سليمان القانوني في 21 نيسان (1353م) إلى كركوك وأقام فيها أربعة وعشرين يوماً، ومذذاك باتت كركوك مركزاً تجارياً هاماً بين الموصل وبغداد. وفي العام (1624م) استولى الصفويون على بغداد

مـرة أخـرى وخضعـت لهـم كركـوك مـن جديـد، لكـن العثمانيـين اسـتعادوا كركـوك مـن الفـرس بعـد سـتة أشـهر فقـط، في العـام (1630م)، وفي عهـد نادرشـاه، في العـام (1733م) أخضعـت كركـوك مـرة أخـرى للحكـم الصفـوي، لكنهـا هـذه المـرة لم تبـق تحـت سـيطرتهم، فقـد أدى التوقيـع عـلى معاهـدة العـام (1746م) بـين العثمانيـين والصفويـين إلى أن تصبـح كركـوك أرضـاً عثمانيـة. وبعـد الحـرب العالميـة الأولى، في 28 أيلـول (1918م) وقعـت كركـوك تحـت الاحتـلال الانجليـزي.

هوية كركوك

توسـع ياقـوت الحمـوي (1179 - 1229م) في معجـم البلـدان في إيـراد المعلومـات المتعلقـة بكـون الكـورد يشـكلون غالبيـة سـكانها. إذ يكتـب الحمـوي: "شـهرزور، التـي تقـع بـين همـدان وأربيـل، مدينـة كبـيرة عـلى مشـارف الجبـال. بنـى أغلبهـا الدهـاق. وتعنـي شـهر في الفارسـية مدينـة. وجميع سـكان تلـك الأنحاء مـن الكورد". ويقـول العارفـون بالأدبيـات والمحللـون: "تتألـف شـهرزور مـن المـدن والقـرى ومـن مدينـة كبـيرة. والمدينـة تقـع في أرض منبسـطة. سـكانها عنيفـون أشـداء. ولا يبالـون بتعريـض حياتهـم للخطـر ويحمـون أنفسـهم. ويبلـغ سـمك جـدران سـور المدينـة ثمانيـة أذرع، وأغلـب البيـكات والأمـراء منهـا". وحسـب الحمـوي، توجـد في منطقـة شـهرزور مدينـة اسـمها (شـيز) سـكانها مكافحـون جـداً، وتوجـد بـين شـهرزور و شـيز مدينـة صغـيرة اسـمها (دوزدان). ويسـجل الحمـوي أن شـيز بنيـت مـن قبـل دارا وأن الاسـكندر الكبـير لم يحقـق أي نـصر فيهـا. ولم تعتنـق شـهرزور الإسـلام إلا بعـد أن يئسـت تمامـاً. وتشـتهر مناطـق خانقـين وشـهرزور بنـوع مـن العنـب يعرف بـ(أسـونّايا)".

لاشـك أن الحمـوي بكلماتـه هـذه يكشـف بصـورة مبـاشرة عـن هويـة مدينـة كركـوك: "إنهـم مـن الكـورد". جميـع سـكان منطقـة شـهرزور منهـم. ومـع أننـا لا

نعرف بالضبط متى ألف الحموي كتابه، لكننا نعلم أنه عاش في الفترة (1179 - 1229م). ويظهر من كتابات الحموي أنه قبل تسعمائة عام من الآن كانت غالبية سكان كركوك من الكورد، وأن الكورد كانوا يعيشون في كركوك، وكركوك مدينة للكورد. وفي عهد السلاجقة عندما آلت السلطة في المدن الكوردية إلى التركمان، أصبح الترك أمراء وحكام تلك المناطق، لكن الحموي يقول عن كركوك: "جميع أمرائها وحكامها منهم".

ويكتب الحموي: "تواجه هذه المدينة اليوم خطر هجرة في مواجهة سلطة محافظ الدين في أربيل. نعم إن كورد المناطق الجبلية وكعادتهم مازالوا يُرهبون القوافل، ويجردونها مما تحمل من مال ومتاع ويسلبونها. لم يخشوا الخضوع لسلطة أولئك ولم يصعب عليهم القتل والأسر. وهذه من طباع الكورد التي طبعت بها جباههم. ويذكر الحموي في كتابه أن سكان شهرزور من الشافعية وأن العالم المعروف أبوبكر مبارك ابن الحسن الشهرزوري هو من أبناء شهرزور. ويورد ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) أسماء بعض المدن الكوردية التي يقطنها الكورد، على هذا النحو: "أرزن، سيرت، هيزان، هاني، آمد، حسنكيف، سمانين، تلففان، جزيرة ابن عمر، زفزان، نصيبين، ماردين، دنياسير، سهروند، كرميسين، سيسر، جبل، حلوان، همدان".

من المعلوم أن حدود كوردستان في القرن الذي سبق قيام الدولة العثمانية، كانت تمتد إلى أبعد من ملاطية وتصل إلى سيواس. ويكتب مولانا محمد النشري في (جيهاننوما): "في تلك الأيام انتزع بايزيد خان ملاطة من التركمان، وديفرك من الكورد، وباحسني من الأتراك. ولم يكن أولئك ملوكاً منذ زمن طويل، فقد استولوا على تلك المناطق بعد أرَتَن. احتل بايزيد خان كل تلك الولايات. ففر أمراؤها ولجأوا إلى العرب". يتبين من هذه السطور أن ديفريك (وهي الآن منطقة تابعة لمدينة سيواس) كان يحكمها في تلك الأيام أمير كوردي، وأن يلدرم بايزيد (1360 - 1403م) انتزعها من ذلك الأمير.

كما هو معلوم لنا، كان اسم شهرزور لفترة طويلة يطلق على منطقة بأكملها

وعلى مدينة كركوك أيضاً. وفيما بعد، عندما هاجم تيمورلنك كوردستان، قبل قيام الدولة العثمانية بقرن من الزمان، بدأ اسم كركوك يطلق على المدينة شيئاً فشيئاً. ففي (ظفرنامة) نظام الدين الشامي و(ظفرنامة) شرف الدين علي اليزدي، استخدم اسم كركوك للمدينة بصورة خاصة وليس للمنطقة بوجه عام. ويتحدث (ظفرنامة) شرف الدين علي اليزدي عن كركوك هكذا: "ثم انطلق بجيشه مسرعاً بموازاة مجرى النهر، واجتاز تافوكي وبلغ قلعة كركوك. فخرج إليه سكان القلعة مستسلمين وقد ملأوا أكياسهم بالهدايا".

وفي نهاية القرن السادس عشر الميلادي، رافق كاتب جلبي (1609 - 1957م) الجيش العثماني في إقليم الموصل، وضم مشاهداته إلى كتابه الموسوم (كشف الظنون – جيهاننما). في ذلك الوقت، قسّم كاتب جلبي ميسوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) إلى كوردستان والجزيرة والعراق. وحسب هذا التقسيم كانت الموصل وشهرزور من ضمن المنطقة التي كان العثمانيون يسمونها الجزيرة. ويثبت كاتب جلبي في مؤلفه أن كوردستان تمتد من مضيق هرمز حتى ملاطية، مرش، وشمال وان، وتمتد جنوباً إلى الموصل وحتى حدود العراق العربي. ومن هذا يتبين أن كاتب جلبي أيضاً يضع منطقة شهرزور داخل حدود كوردستان.

ويعد أوليا جلبي، من بين الذين نستطيع القول أنه تجول في جميع أنحاء الدولة العثمانية وسجل كل ما رآه. وقد مرّ أوليا جلبي خلال رحلته بالعديد من مدن كوردستان وسجل مشاهداته بدقة. وعندما يتطرق أوليا جلبي (1611 - 1685م) في كتابه (سياحتنامة) إلى الحديث عن كوردستان يعد كركوك واحدة من مدن كوردستان، ويكتب: "بلد عظيم، يقع أحد جوانبه إلى الشمال ليبلغ أرضروم، ومنها إلى وان وهكاري، ثم يمتد إلى الجنوب ويضم الجزيرة، العمادية، الموصل، شهرزور، حرير، أردلان، حتى يبلغ مشارف بغداد، درنة، درتنك، والبصرة". ويعد المؤرخون الغربيون، سياحتنامة أوليا جلبي ومعلوماته عملاً يتوخى الحقيقة ويصونها. ومن الجلي أن أوليا جلبي يمد حدود كوردستان

حتى مشارف بغداد والبصرة. وبهذا يحدد الحقيقة التاريخية المعروفة: إن أرض العرب تتوسع باستمرار على حساب أرض كوردستان. ولو أن العثمانيين لم يمنعوا بإصرار التوسع العربي لربما كان المزيد من أرض كوردستان، من ناحية الجنوب، اليوم خاضعاً للعرب. وعندما يخوض أوليا جلبي في الحديث عن نهاوند، يعود من جديد ليتحدث عن شهرزور ويقول إن أغلب سكان المنطقة المحيطة بقلعة كنكور، التي تقع على مسافة من نهاوند، هم من أهالي شهرزور ومن الشيعة.

وفي العهد العثماني كانت كركوك واحدة من السناجق التابعة لولاية الموصل. لذا فكلما ذكرت الموصل ذكرت كركوك معها. وكان العثمانيون يطلقون على مناطق الموصل وكركوك معاً، تسمية الجزيرة العليا. وفي نتاجات الجغرافيين الأوروبيين تم تثبيت الموصل على أنها الجزيرة العليا.

ويفيد التعداد الذي أجرته الدولة العثمانية في الفترة (1881 - 1883م) أن عدد سكان كركوك كان حينها 22694 نسمة، منهم 22008 من المسلمين، وإثنان من الروم، و243 من الكاثوليك، و441 من اليهود. ومن المعلوم أن هذا التعداد صنف الناس على أساس الدين وليس القومية أو العرق، لذا من الصعب تحديد التوزيع القومي للمكون المسلم.

وبعد مرور 15 أو 16 عاماً على إجراء ذلك التعداد السكاني، يقدم شمس الدين الشامي، وهو ألباني الأصل، معلومات هامة عن كركوك وعن مكوناتها العرقية. فيتبين من المعلومات التي يقدمها شمس الدين الشامي أن كركوك جزء، وهي بلا شك مدينة كوردية. ولم يسبقه أحد، كما لم يتبعه أحد، في تقديم معلومات عن الهوية القومية للمدينة. في كتابه (قاموس الأعلام) الذي ألفه في الفترة (1889 - 1898م) يقول شمس الدين الشامي عن كركوك: "ثلاثة أرباع سكان كركوك من الكورد، وربعهم من التركمان والعرب وغيرهم. ويعيش في المدينة 760 يهودياً، و460 كلدانياً".

وكما هو باد للعيان، فإن شمس الدين الشامي لا يزودنا فقط بنسبة

الكـورد إلى جميـع سـكان المدينـة، بـل يزودنـا أيضـاً بمعلومـات عـن عـدد اليهـود وعـدد الكلـدان في المدينـة. وبعـد شـمس الديـن الشـامي، جـاء أمـارة عـلي رضـا في العـام (1902م) بكتابـه (الأطلـس الجغـرافي للمالـك العثمانيـة) ليعـرض علينـا تعـداد سـكان إقليـم جنـوب كوردسـتان عـلى النحـو الآتي: "تعـداد سـكان الموصـل هـو 61000، والسـليمانية 15000، وكركـوك 30000، وسـنجار 7000، وأربيـل 6000، وكويسـنجق 10000، وآمـد 5000".

وبعـد عـلي رضـا بسـنوات، جـاء إبراهيـم علمـي ليذكـر في كتابـه (أطلـس الجيب للممالـك العثمانيـة) أن عـدد سـكان ولايـة الموصـل في العـام 1907 هـو 351200 نسـمة. ويـورد تعـداد سـكان المـدن والمناطـق التابعـة للولايـة عـلى هـذا النحـو: مركـز ولايـة الموصـل 65000، سـنجق كركـوك 30000، سـنجق السـليمانية 15000، وكويسـنجق 10000".

وتضـم دائـرة المعـارف الإسـلامية، وهـي باللغـة الانجليزيـة، معلومـات عـن تعـداد السـكان وهويـة كركـوك، وتعتـبر كركـوك مدينـة كورديـة. ففـي القسـم الخـاص بكركـوك وهـو مـن إعـداد (ج. هــ كارمـرز) نجـد الآتي: "كانـت كركـوك وأطرافهـا في القـرن الثـاني عـشر تحـت حكـم إمـارة بكتكـين التركيـة، التـي كانـت أربيـل عاصمتهـا، وفي العـام (1638م) بسـط مـراد الرابـع سـلطته عـلى كركـوك، لكـن أصحـاب المدينـة هـم القبائـل الكورديـة التـي تقطـن المنطقـة، ويفيـد تعـداد العـام (1695م) أن مجمـوع عـدد سـكان المدينـة كان 184000 نسـمة، 71000 منهـم مـن الكـورد، 55000 منهـم مـن الـترك، و 41000 مـن العـرب وغيرهـم. إن إقليـم كركـوك هـو بحـق موطـن الكـورد".

ضُمـت ولايـة شـهرزور في العـام (1878م) إلى ولايـة الموصـل، ثـم أُلحقـت الولايـة بأكملهـا بإسـطنبول، ولم يتغـير هـذا الوضـع بالنسـبة لولايـة الموصـل حتـى خسـارة الدولـة العثمانيـة للمنطقـة.

كانـت الوثائـق والمراسـلات الرسـمية العثمانيـة حتـى العـام (1892م) تشـير إلى

سـنجق كركـوك باسـم (شـهري زور). وعندهـا فقـط وبسـبب الشـبه بـين هـذه التسـمية واسـم متصرفيـة زور، ولمنـع الخلـط بـين الاسـمين، لجـأ العثمانيـون إلى اسـتخدام تسـمية (كركـوك) في العـام (1893م)، وكان اسـم متصرفيـة زور يطلـق عـلى جنـوب دياربكـر وحلـب.

التقسيم الإداري لولاية الموصل في العام 1894م[1]

اللواء	المنطقة	القضاء
1	الموصل	1 - العمادية
2	زاخو	
3	آكري (عقرة)	
2	كركوك	1 - أربيل
2	الصلاحية	
3	كوي سنجق	
4	رواندز	
5	رانية	
3	السليمانية	1 - قرة داغ
2	بازيان	
3	مركة	
4	شهري – بازار	
5	كولانبر	

1 المصدر: تقويم (سالنامة) الموصل 1312هـ (1894م)، نشر: مارفأوغلو، 39.

وحسب إبراهيم علمي، فإن ولاية الموصل تتألف من ثلاثة سناجق، 14 منطقة، 28 ناحية، و3394 قرية.

وبعد الحرب العالمية الأولى، حدد مجلس المبعوثان في إسطنبول والمجلس الذي تشكل في أنقرة، حدود الدولة التي كانت تتشكل حديثاً، والمناطق التي يعيش فيها الكورد وتلك التي يعيش فيها الأتراك، أو الأناضول وكوردستان. وقال مصطفى كمال في خطابه أمام البرلمان في الأول من أيار (1920م): "حدودنا القومية تمر بالأسكندرونة، وتمتد شرقاً لتشمل الموصل، السليمانية وكركوك".

وعلى هذا الأساس كان رئيس الوفد التركي، عصمت إينونو، يصر أثناء انعقاد مؤتمر لوزان، على المطالبة بولاية الموصل، ويقول: "نحن نريد الموصل، لأننا نعلم أن غالبية سكانها من الكورد، ودولتنا هي دولة الكورد والترك".

وفي العام (1918م) عندما احتل الانجليز الموصل، استحدثوا محافظة (لواء) جديدة في أربيل. وحسب تقديرات الانجليز فإن عدد سكان كركوك في العام (1921م) كان: 75000 كوردي، 35000 تركماني، 10000 عربي، 1400 يهودي و600 كلداني. وفي العام (1925م) زارت لجنة من عصبة الأمم، لحسم قضية ولاية الموصل، المنطقة وحققت في ديموغرافيا المنطقة، وتفيد بيانات اللجنة أن 63% من سكان كركوك كانوا من الكورد، وكان 19% من التركمان و18% من العرب.

القبائل الكوردية

يعرف كل محقق في الاجتماعيات الكوردية أن الواقع الكوردي كان واقعاً "قبلياً"، وخصوصاً في القرنين التاسع عشر والعشرين عندما كانت القبلية قائمة بين الكورد. ويمكن القول بأن مناطق القبائل ومواطنهم كانت واضحة المعالم وكانت القبائل منتشرة في جميع أنحاء كوردستان. ولم تتخط القبائل الكوردية، سواء منها المستقرة أو الرحالة أو شبه الرحالة حدود كوردستان في

أي وقـت، خـلا تلـك القبائـل التـي جـرى ترحيلهـا مـن مواطنهـا لأسـباب سياسـية. وكان لجميـع القبائـل الكورديـة نظامهـا الـذي دام عـلى أرض كوردسـتان. وأورد تقريـر للجيـش العثـماني أعـد في العـام (1905م) أسـماء القبائـل الكورديـة في ولايتـي الموصـل وشـهرزور (كركـوك) عـلى النحـو الآتي:

أسماء القبائل الكوردية في الموصل وشهرزور في العام 1905:[1]

اسم القبيلة	الأفخاذ	عدد الأفراد	المنطقة
تياري	14	48100	العمادية
سورجي	4	14900	عقرة، رواندز
سورجي	1	250	أربيل، آلتون كوبري
كاكَيي	1	220	أربيل، كركوك
كاكَيي	1	850	داقوق
زراري	12	630	رواندز
هَركي	12	12270	عقرة، رواندز
شيرواني	1	4670	رواندز
مزوري	2	4400	رواندز
برادوست	3	4500	رواندز
خوشناو	2	7500	كويسنجق
بشكلي	1	3500	رانية
بزيري	1	2140	رانية
ماندميرا	1	430	رانية

1 المصدر: عوسمانلي أوردويو هومايون رابورو – 1905.

بلباس	7	1800	رانية
آكر	5	2610	رانية
يرلي بابولي	2	435	رانية
سوني	1	260	رانية
كورك	1	431	رانية
بالكي	2	1360	رواندز
شيخ بزيني	2	2710	أربيل
بشدر	3	5260	م. حامد
كافروش	1	1588	جمجمال
بانة	1	2310	بانة
سمايل عوزيري	7	2275	السليمانية
برزنجي	2	2730	السليمانية
كوفارا	0	650	السليملنية
جاف	25	45460	السليمانية
بالاني	7	1330	قرة تبة
هموند	6	840	جمجمال
شوان	شوان	4500	شوان
طالباني	1	1670	قرة تبة

ويـورد محمـد أمـين زكي في كتابـه (تاريـخ كوردسـتان) أسـماء القبائـل الكورديـة في أطـراف كركـوك، كالآتي[1] :

الجدول رقم 2
المناطق الإدارية للقبائل

المنطقة الإدارية	القبيلة	مواقعها
مندلي	قرة لوس	كش، كايتون، جارموند، كاوند، نفطجي، كاوسواري
خانقين	شرفبيان	كلهور، توتك، مامة جان، عينة، عنتاري
مدينة كركوك	شرفبيان	كوركي، أميرخان بكي، عزيز بكي، كاخار، نادري
منطقة خانقين	باجلان	جمور، كازانلو
منطقة خانقين	دلو	جامريزي، بنجانكشتي، كاش
منطقة خانقين	دلو	تاركووند، سالمويسي
منطقة خانقين	كاخوار	
منطقة خانقين	كزة	سدالله بيك، كوداخ، بارام، سركال
منطقة خانقين	بالاني	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	برزنجي	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	عمرمل	

1 المصدر: محمد أمين زكي بك، الكورد وكوردستان، الص 348-345.

منطقة كركوك وسنجق خانقين	تيلشان	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	زنكنة فارس آغا، روستم آغا	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	زند	محمد صالح آغا، طاهرخان، عوليان، خني
منطقة كركوك وسنجق خانقين	داودة	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	ليلان	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	طالباني	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	جباري	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	سَوان	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	صالحية	
منطقة كركوك وسنجق خانقين	شيخ بزيني	

يعد مارك سايكس من الرواد في مجال الكتابة بطريقة أكاديمية عن القبائل الكوردية. فقبل أن ينشر مقاله في العام (1908م) في مجلة المعهد الانثروبولوجي الملكي لبريطانيا العظمى وإيرلندا، قطع مارك سايكس 7500 ميل متجولاً في الأراضي الكوردية وحاور الكثير من الناس. ونستطيع القول إن مارك سايكس أورد أسماء كافة القبائل الكوردية التي كانت تقيم على أراضيها، ولم يتوقف عند ذكر أسماء القبائل الكوردية التي تعيش على أرض كوردستان، بل يذكر القبائل الكوردية التي تعيش على أرض الأناضول. ويذكر مارك سايكس في مقاله أسماء عدد من قبائل كركوك، ولا شك أن شيخ بزيني هي واحدة من كبرى القبائل واسعة الانتشار في كركوك. ويشيد سايكس بفطنة وشهامة عشيرة شيخ بزيني كما يشير إلى أنهم فرسان ومقاتلون جيدون. ويقول سايكس إنهم أذكياء لدرجة أنهم يستطيعون صنع بندقيات مارتيني هنري. وهناك قسم من الشيخ بزيني منتشر في الأناضول ويعتقد سايكس أن هؤلاء تم ترحيلهم عن ديارهم في أيام السلطان سليم ياووز.

النتائج:

تؤكد كافة المعلومات التاريخية حقيقة واحدة: إن كركوك مدينة كوردية وتقع ضمن حدود كوردستان، وإذا كانت كركوك قد خضعت في القرون الوسطى، بعض المرات أو مرات عديدة، لسيطرة التركمان أو العنصر التركي، فإن الغالبية من سكانها كانت دائماً من الكورد. وإذا كانت السلطة الحاكمة في كركوك في القرون الوسطى بيد التركمان ثم العثمانيين وأبعد الكورد عن الحكم وإدارة المدينة، فقد كان ذلك بسبب غلبة الهوية الإسلامية في تلك الأيام على الهوية القومية. وفي تلك الفترة، وخاصة إبان الحكم العثماني، لم تكن أرض كوردستان وحدها، بل كانت أراضي العرب أيضاً خاضعة لسلطة العثمانيين، وفي عصر السلاجقة كانت إيران أيضاً خاضعة لسلطة الأتراك. وكما أن السلطة التركية في أرض العرب والإيرانيين لم تغيّر الهوية الجغرافية لتلك الأراضي، كذلك لا يمكن لسلطة الأتراك أن تغير هوية أرض الكورد. وكما أن السيادة العثمانية على بلاد العرب، لن تحول عربستان إلى تركستان، لا يمكن للسيادة العثمانية على بلاد الكورد أن تغير الهوية القومية الكوردية لها. وإذا كان التركمان السلاجقة، وبعدهم العثمانيون، قد سيطروا في القرون الوسطى على كوردستان وإيران وبلاد العرب فهذا يعني أن: الأتراك تحت راية الإسلام ورفع شعارات إسلامية قد خدموا تلك البلاد وأداروها. وذلك لأن الهوية الإسلامية حينها كانت بكل الصور فوق الهوية القومية، وكانت الهوية التركية والكوردية والفارسية والعربية تأتي بعد الهوية الإسلامية. وكان الإسلام وخدمة الإسلام فوق كل اعتبار. وإلا فلماذا سلّم صلاح الدين الأيوبي، آمد (دياربكر) بعد السيطرة عليها في العام (1183م) لنورالدين ابن قرة أرصلان؟ فبينما كان صلاح الدين كوردياً، وكانت دياربكر مدينة كوردية، سلمها إلى أمير تركماني.

لـو أن رئيسـاً أو سـلطاناً كان سـيغير هويـة مدينـة أو دولـة يحكمهـا، لأصبحـت مـصر واليمـن وليبيـا والسـودان والسـعودية وسـوريا والعـراق ودول أخـرى أرضـاً كورديـة، لأن الأيوبيـين الكـورد حكموهـا. ومـع دوام الحكـم الأيـوبي فـترة طويلـة في تلـك البـلاد، إلا أن هويـة البـلاد لم تتغـير، ولا يسـتطيع كـوردي في الوقـت الحـاضر الادعـاء بـأن تلـك البـلاد كورديـة، كـما لا يسـتطيع تركـماني أو عـربي جـاء إلى كركـوك في وقـت لاحـق أو سـكن فيهـا عنـوة، الادعـاء بـأن كركـوك ليسـت جـزءاً مـن كوردسـتان. إن تملـك تركـماني أو عـربي لكركـوك يشـبه تمامـاً تملـك أي كـوردي مقيـم في أنقـرة أو في بغـداد لهاتـين المدينتـين.

كـما نعلـم بـأن كركـوك اليـوم لـو كانـت خلـواً مـن النفـط لمـا طالـب بهـا تـركي ولا عـربي. لكـن وجـود كركـوك عـلى بحـيرة مـن النفـط ووجـود 6% مـن احتياطـي النفـط العالمـي فيهـا هـو الـذي يدفـع هـؤلاء إلى ادعـاء ملكيتهـم إياهـا، لأن الكـورد لـو اسـتطاعوا الحصـول عـلى كركـوك لاسـتطاعوا الاسـتقلال اقتصاديـاً. وكـما هـو معلـوم فـإن الافتقـار إلى الاسـتقلال الاقتصـادي يحـول دون الاسـتقلال السـياسي. وهـذا هـو السـبب الـذي جعـل نظـام صـدام وكافـة الأنظمـة القمعيـة الأخـرى في العـراق تحـاول تغيـير الواقـع الديموغـرافي لكركـوك.

بـدأ التطهـير العرقـي المنهـج في كركـوك منـذ العـام (1963م)، عندمـا قـام عـلي صالـح السـعدي، في ظـل نظـام البعـث، في تمـوز مـن ذلـك العـام بتدمـير 13 قريـة كورديـة في ضواحـي مدينـة كركـوك، وترحيـل سـكان 34 قريـة كورديـة في منطقـة الدبـس التابعـة لكركـوك وإسـكان عشـائر عربيـة في تلـك القـرى. لا شـك أن تلـك كانـت البدايـة. فبعـد أن اسـتتب الأمـر للنظـام البعثـي وأمسـك بمقاليـد الأمـور، اسـتمر في قمـع الكـورد بـدون توقـف. فخـلال الفـترة الممتـدة مـن العـام (1963م) حتـى (1988م) دمـر النظـام البعثـي 779 قريـة مـن قـرى كركـوك الكورديـة، ولمنـع عـودة سـكان تلـك القـرى إلى قراهـم، أحـرق أراضيهـم وبسـاتينهم ونهـب أغنامهـم وماشـيتهم وطمـر آبـار الميـاه وخـرّب المقابـر في تلـك القـرى. وعـلى مـدى حملـة التطهـير العرقـي تلـك، تـم ترحيـل 37726 عائلـة، ولـو أننـا قدّرنـا عـدد أفـراد كل

عائلة بما بين أربعة وخمسة أفراد، عندها سيكون عدد المرحلين 200 ألف مرحّل. لم يفعل النظام البعثي، حتى نشوب الحرب العراقية الإيرانية، شيئاً ضد تركمان كركوك، لكن قرى التركمان الشيعة أيضاً تعرضت للتدمير في فترة الحرب.

لم تتوقف الدولة العراقية عند ترحيل الكورد القاطنين في القرى عن ديارهم، بل امتدت هذه الحملة لتشمل الكورد في المدينة أيضاً. فقد نال العاملون في شركات إنتاج النفط والموظفون والمعلمون نصيبهم من هذا العنف. كما قام النظام البعثي بتغيير أسماء جميع الأحياء والأزقة والمدارس بأسماء عربية. وكان بإمكان الكورد الذين يرحّلون من المدينة بيع عقاراتهم للعرب حصراً، كما كان ممنوعاً على غير العرب شراء أية عقارات فيها. وتم توفير المئات والآلاف من المساكن للعرب. واستمر التطهير العرقي بعد حرب الكويت في العام (1991م) أيضاً. وقامت الحكومة العراقية في العام (1997م) بهدم قلعة كركوك وما فيها من كنائس وجوامع. وحسب مفوضية حقوق الإنسان، طردت الحكومة العراقية في الفترة (1991 - 2003م) ما يتراوح بين 120 ألفاً و200 ألف شخص من كركوك.

وكل ما تعرض له الكورد خلال الأربعين أو الخمسين سنة الأخيرة، ومن بين ذلك كارثة حلبجة والأنفال والقتل والتهجير والتدمير وغير ذلك، إنما كان من أجل كركوك. وقد اتفق الكورد في 11 آذار من العام (1970م) مع الحكومة العراقية على منح حكم ذاتي للكورد، لكن صدام حسين وشاه إيران اتفقا في السادس من آذار (1975م)، على هامش اجتماع أوبيك، ليبدأ النظام في اليوم التالي بشن الهجمات على الكورد وبذلك أجهض الحكم الذاتي للكورد، ومذذاك اشتدت وتيرة سياسة تعريب كركوك وتغيير ديموغرافيتها بصورة منظمة. ولو أن الزعيم الكوردي ملا مصطفى البارزاني وافق في حينه على منح نصف كركوك للعرب لربما لم يكن الكورد ليتعرضوا إلى كل هذه الكوارث المفجعة.

لكن ملا مصطفى، عندما تلقى مقترح تقسيم كركوك من صدام حسين، رفض المقترح، وأصبحت قضية كركوك مبدأ تمسك به كل الزعماء الكورد، وكان مام جلال أول من أطلق شعار "كركوك قدس كوردستان".

لم يتخل الكورد أبداً عن قضية كركوك. وبعد إسقاط نظام صدام حسين من قبل الأمريكان في العام (2003م)، وبالرغم من أن الكورد لم يتمكنوا من إعادة كركوك فوراً إلى كوردستان، فقد فتحت صحيفة جديدة في العام (2005م) لحل قضية كركوك، من خلال الدستور العراقي الذي تمت المصادقة عليه من خلال استفتاء عام جرى في 15 أيلول من نفس العام، فقد حدد هذا الدستور محافظات إقليم كوردستان الثلاثة كإقليم يدار من قبل حكومة إقليم كوردستان، وجاء في المادة 113 من الدستور أن حكومة إقليم كوردستان تحفظ الأمن الداخلي في كوردستان والبيشمركة تعتبر بصورة رسمية القوة التي تحمي إقليم كوردستان. وكانت المادة 140 من الدستور العراقي تقضي بإجراء استفتاء في كركوك في نهاية العام (2007م) تحدد نتائجُه بقاء كركوك تابعة للحكومة المركزية العراقية أو عودتها إلى أحضان كوردستان.

لم يفِ العراق بتعهداته ولم يكن يرغب في إجراء الاستفتاء في كركوك، لأنه كان متيقناً من أن أبناء كركوك سيقررون العودة إلى أحضان كوردستان. وفي حزيران (2014م) عندما احتل تنظيم داعش الموصل وزحف حتى بلغ مشارف بغداد، انسحب الجيش العراقي من كركوك، ليسيطر عليها الكورد وليحميها البيشمركة بأرواحهم وشجاعتهم، فكانت النتيجة طرد داعش من كوردستان أولاً ومن العراق في النهاية.

وفي حزيران (2017م) قرر إقليم كوردستان إجراء استفتاء على استقلال كوردستان، تشارك فيه كركوك أيضاً. وبالرغم من معارضة أمريكا ودول الجوار وأغلب دول العالم، أجري الاستفتاء كما كان مخططاً له في 25 أيلول (2017م). وبعد مرور عشرين يوماً على الاستفتاء، شن الجيش العراقي بدعم من ميليشات تابعة لإيران وتعاون أفراد من الاتحاد الوطني الكوردستاني هجوماً

عـلى كركـوك أسـفر عـن احتلالهـا وانتزاعهـا مـرة أخـرى مـن الكـورد. وقـد سـاهم اثنـان مـن الأخطـاء الرئيسـة في سـقوط كركـوك: أولاً، بالرغم مـن أن القـوى الكوردية كانـت تحكـم إقليـم كوردسـتان منـذ 26 عامـاً، لم يتمكـن الكـورد مـن تشـكيل قـوة عسـكرية موحـدة وطنيـة ولاؤهـا للكـورد فقـط. ثانيـاً، عندمـا سـقطت الموصـل في قبضـة داعـش، كان العـراق قـد تفـكك وعـادت كركـوك إلى إقليـم كوردسـتان، وكان بإمـكان الكـورد إجـراء الاسـتفتاء حينهـا وإعـلان اسـتقلالهم، لكـن هـذا أيضـاً لم يحصـل.

عندمـا اتخـذت كوردسـتان قـرار إجـراء الاسـتفتاء، كان داعـش مدمَّـراً تمامـاً وكان الجميـع يعلـم بـأن العـراق سـيهاجم كركـوك، وأنـه إذا لم يتمكـن مـن اقتحـام المدينـة فسـيقوم بانتـزاع آبـار النفـط مـن يـد الكـورد. وعندمـا تواطـأ أفـراد مـن الاتحـاد الوطنـي الكوردسـتاني مـع العـراق، تمكـن العـراق مـن احتـلال المدينـة بالكامـل. ولـو لم يكـن الدفـاع عـن كركـوك قـد أسـند إلى قـوات حزبيـة، وكانـت قوة بيشـمركة قوميـة التوجـه تدافـع عنهـا لمـا تجـرأ العـراق عـلى مهاجمـة كركـوك ولمـا تعـرض الكـورد إلى هـذه الهزيمـة.

وبالرغـم مـن أن 80% مـن أبنـاء كركـوك صوتـوا بـ(نعـم) لصالـح الاسـتقلال في اسـتفتاء 25 أيلـول، إلا أن كركـوك انتزعـت عنـوة مـن الكـورد في الأخـير. ولـو أن أمريـكا ودول الجـوار تريـد تطبيـق الدسـتور العراقـي، فـإن كركـوك سـتعود مـرة أخـرى وبصـورة قانونيـة لتنضـم إلى أرض كوردسـتان. وعندمـا يكـون الكـورد صادقين مـع بعضهـم البعـض، ويتحـدون فيـما بينهـم، سـتعود كركـوك يومهـا إلى كوردسـتان.

بيبلوغرافيا كوردستانية كركوك
(المصادر الغربية)

بهروز شجاعي

مقدمة

الخلاف على هوية كركوك قائم منذ مائة عام بين الحكومة المركزية في العراق وبين الكورد في جنوب كوردستان. وقد أدى هذا الخلاف إلى إجهاض الاتفاقيات بين الكورد وبغداد، فكل يسبغ على كركوك الهوية التي يريدها هو. والبحث الآتي هو مسعى للتحقق من هوية كركوك وفق ما أورده بعض المصادر الغربية. هذا البحث المقتضب اختير له هيكل كرونولوجي، بدلاً عن الهيكل الموضوعي لكنه في بعض جوانبه لا يخلو من شيء من الثيمات. فهناك مثلاً مراجع تتحدث عن كركوك من حيث الجغرافيا السياسية العثمانية وأجزائها، وهناك مراجع أخرى تتخذ من ديموغرافيا كركوك محوراً لاهتمامها.

وهناك مراجع أخرى جعلت الثروات الطبيعية لكركوك، كالنفط، المحور الرئيس للتعريف بكركوك. لكن المحور الرئيس لهذا البحث يتمثل في الهوية الجغرافية والقومية لكركوك، لذا أختيرت له، كهيكل رئيس، صياغة كرونولوجية لفترة محدودة، من العام 1722م وحتى نهاية القرن التاسع عشر وبالتحديد

حتى العام 1890م، وحسب المصادر المتوفرة. أغلب هذه المصادر فرنسي، إلى جانب مصادر أخرى أميركية وألمانية وبلجيكية وإسبانية وإيطالية. بعض هذه المراجع كتبٌ تعنى بالتحليل الجغرافي وبعضُها تاريخي والبعض الآخر عبارة عن مشاهدات الرحالة الغربيين الذين جاؤوا إلى الشرق الأوسط وكوردستان وتجولوا فيها.

النصوص

يتحدث أستاذ الكلية الملكية الفرنسية، بيتي دو لا كروا de la Croix 222:1722، الذي ترجم تاريخ تيمورلنك للمؤلف شمس الدين اليزدي إلى الفرنسية، في واحد من الهوامش التي وضعها على الكتاب، ويقول عن كركوك: "كوركورا التي هي كركوك نفسها، برج قريب من شهرزور في كوردستان[1] .

وفي الجزء الثاني من كتابه التاريخي، يتحدث يوهان هويبنر Hübner 475-474:1745)) عن كوردستان، وإلى جانب الإشارة إلى اسم البلد ومساحته الجغرافية، ويقول عن إمارات ومدن كوردستان، "فيما يخص بلاد كوردستان فإن القسم الأعظم من أرضها خال من السكان، ويدين أهلها بدينهم الخاص بهم، إلى جانب الديانة المسيحية، كفار ومسلمون". وعن سيطرة الأتراك على كوردستان، يتحدث هويبنر عن أنه "ليست للأتراك سيطرة تذكر على هذه الولاية، فالجزء الواقع وراء الجبال من هذه الولاية محتل من جانب الفرس، لذا فإن مدينة بتليس الواقعة على ضفاف بحيرة وان، لها أميرها الحر والمستقل. لكن المدن الأخرى خاضعة للسيطرة التركية". وهنا يشير إلى معركة نادرشاه الأفشاري، الذي هاجم الجنوب العثماني، واحتل جزءاً من عراق تلك الأيام وكوردستان، وفي هذا الصدد يشير هويبنر إلى أنه "بالرغم من

1 (b) Coura Courga, Bourg près de Chehrezour en Courdistan (c) Chehrezour , Ville de Couheftan, frontiere de Courdistan.

حـرب العـام (1743م) التـي احتـل فيهـا الفـرس شـهرزور وكركـوك – أفضـل المـدن والمواقـع، فـإن الأتـراك بعـد صلـح العـام (1736م) عينـوا أحـد الباشـوات عليهـا"[1] .

وفي تأريخـه، في الفصـل الـذي يتحـدث فيـه يوهـان غييـورغ هاغـر (Hager, 1747:540) عـن كوردسـتان، وفي أولى النقـاط التـي تتعلـق بالمـدن، يتحـدث عـن شـهرزور ويقـول: "فيـما يتعلـق ببـلاد كوردسـتان [.....] شـهرزور أو كركـوك نفسـها مدينـة جميلـة، وهـي أولى المحطـات التـي تقابـل الموصـل، وفيهـا باشـا تـركي. وبالرغـم مـن أن الفـرس احتلـوا المدينـة في العـام 1734م، لكنهـم سـلموها في العـام 1736م"[2] .

في مذكـرات الرحالـة الفرنـسي وعضـو الأكاديميـة الفرنسـية، الموسـومة "رحلـة إلى تركيـا وبـلاد فـارس"، يتحـدث أوتـر (Otter, 1748:150) عـن معـارك نادرشـاه الأفشـاري في جنـوب كوردسـتان والعـراق. ويقـول عـن كركـوك "كركـوك، هـي اليـوم مركـز منطقـة شـهرزور ويحكمهـا أحـد الباشـوات". وبهـذا فإنـه يعتـبر كركـوك جـزءاً مـن شـهرزور ضمـن إطـار كوردسـتاني.

أمـا نيكـول دو لا كـروا (de la Croix 1752: 129, 130) في كتـاب الجغرافيـا الحديثـة، وفي الفصـل الـذي يتحـدث عـن "كوردسـتان أو بـلاد الكـورد"، فيشـير إلى أن "الكـورد يعيشـون في غـرب بـلاد فـارس، في دياربكـر والعـراق، ومنهـم أمـراء وبيـكات، بعضهـم يقـر بسـلطة السـلطان العثـماني وبعضهـم يـوالي شـاه إيـران، وبعضهـم مسـتقل". ويتحـدث دو لا كـروا عـن ثـلاث مـدن رئيسـة في كوردسـتان،

1 Von der Landschaft Curdistan. Das Land ist mehr wüste als bewohnt, und die Einwohner haben ihre eigene Religion, der Christlichen, Heydnischen und Mahomethanischen zusammen gesicket ist. Es haben aber die Türcken diese Provinzeben nicht ganz: Denn erstlich gehet ein Streiffen davon ab, welchen sich die Persianer zugeeignet haben,weiler jenseit des Gebirges liegt. Darnach hat die Stadt Betlis, am See Van gelegen,ihren besondern Emir, der einfreyer und souverainer Fürst ist. Das andere gehört noch itzo den Türcken, denn obgleich im letzten Kriege A. 1734. die Persianer Scherazur oder Scheheresoul oder Kerkuk die beste Stadt und wichtigen Paß darinne einnahmen, in welcher ein Türckischer Bascha residirte: so haben sie doch im Frieden A.1736. dieselbe wieder restituiren müssen.

2 Von der Landschaft Curdistan […] Scherazur, oder Scheheresoul, auch Kerkuk genennet, ist eine gute Stadt und vester Paß der Stadt Mosul gegen über, es ist die Residenz des türkischen Basss. Im Jahre 1734 haben zwar die Persianer diesen Ort weg genommen aber auch 1736. im Frieden wieder hergegeben.

هـي بتليـس وكركـوك ووان، وعـن كركـوك يقـول: "كركـوك هـي عاصمـة كوردسـتان تركيـا، جنـوب غـرب الجبـال، وهـي مدينـة كبـيرة، فيهـا باشـا ويرتبـط بهـا عـشرون سـنجقاً. وقـد احتـل الفـرس كركـوك مـن العـام 1734م حتـى العـام 1736م"[1] .

ومـن بـين أقـدم المصـادر الغربيـة التـي تتحـدث عـن كركـوك، التاريـخ الـذي كتبــه فرانســوا - مــاري دو مارســيه (De Marsy, 1766L 304 - 305) في العــام 1766م. يتحـدث دو مارسـيه بصـورة عامـة عـن كوردسـتان ومدنهـا، وفي النقطـة الأولى التـي تخـص المـدن، يقـول: "كوردسـتان ولايـة تقـع شـمال العـراق العـربي، وتضـم جـزءاً كبـيراً مـن آشـور القديمـة. حيـث تمتـد بصـورة مائلـة مـن شرق نهـر دجلـة وتقـع عـلى خطـي طـول 35 و38 وتمتـد مسـافة 350 كيلومـتراً، ومدنهـا هـي شـهرزور وكركـوك التـي هـي عاصمـة هـذه البـلاد وقـد بنيـت عـلى تلـة صخريـة" [2].

ويبـين الجغـرافي الفرنـسي المعـروف جـان بابتيسـت بورغينيـون دانفيـل (-d'An ville, 1773: 81) في مراجعـات الجغرافيـا الأكاديميـة الفرنسـية، أن "شـهرزور تقـع في سـهل تحيطـه جبـال كوردسـتان الشـاهقة. وهـي المدينـة الرئيسـة لحكومـة عثمانيـة، لكـن الباشـا الـذي يحكمهـا نقـل العاصمـة إلى كركـوك"[3] .

ويقـول نفـس المؤلـف (d'Anville, 1786: 34) في الأطلـس اليـدوي الحديـث، إن

1 Du Curdistan, ou pays des Curdes. On le nommoit autrefois Corduenne, d'où est venu le nom des Curdes. Ces peoples sont répandus dans la partie occidentale de la Perse, dans le Diarbeck & l'Yrac : ils ont plusieurs Princes appellés Beys ou Emirs. Les uns reconnoissent le Grand-Seigneur, d'autres le Persan; quelques-uns sont indépendants.

- Betlis , sur la Riviere de Bendmahi, résidence du plus puissant des Emirs des Curdes. C'est une Ville forte, défendue par une bonne Citadelle.

- Kierkiouk, Capitale du Curdistan Turc. Elle est située au Sud-Est vers les montagnes. C'est une Ville considérable, où réside le Bacha, qui a sous lui vingt Sangiacs. Les Persans l'ont prise en 1734. & 1743.

- Van, au bord d'un Lac de même nom. Plusieurs Auteurs rapportent cette Ville à la Turcomanie : il y a une forte Citadelle où réside un Bacha.

2 Le Curdistan, Cette province, situé au Nord de l'Irak-Arabi, est une portion considérable de l'ancienne Assyrie. Elle s'étend obliquement à l'Orient du Tigre, entre 35 & 38 degré de latitude, dans la longueur d'environ soixante lienes. Ses villes son 1°. Cherasoul ou Kerkiouk)1(, capitale du pays, bâtie sur un grand rocher, dans l'épaisseur duquel ses maisons sont taillées.

3 La situation de Shehr-zour, dans une plaine qu'environment les hautes montagnes du Kurdistan. [...] Sherzoul, le même que Sher-zour est le chef-lieu d'un Gouvernement particulier. Mais aujourd'hui le Pacha qui commande dans ce Gouvernment, a transféré sa résidence à Kerkouk.

"كوردستان هي بلاد الكورد وعاصمتها كركوك، وأربيل أو آربيل هي مدينتها الكبرى" [1].

أما الاقتصادي الفرنسي جان بابتيست أنطوان ماليسيه ديرتيرو (d'Hertereau, 1785: 158) فيقول في كتابه معلومات إقتصادية عن دول العالم: "كوردستان هي بلاد الكورد، [مدنها هي] كركوك التي تبعد قليلاً عن بتليس. وتقع بتليس على نهر بَندماهي، وأربيل مدينة فيها الكثير من التجار" [2].

وإلى جانب تقديم بعض المعلومات عن الجغرافيا البشرية والسياسية لكوردستان، يقول العالم الفرنسي دو لا مارش (De la marche, 1799: 399) عن كوردستانية كركوك: "كركوك هي عاصمة كوردستان تركيا وتقع جنوب شرق الجبال، وهي مدينة ذات شأن، فيها باشا و32 سنجقاً" [3].

ومنذ بدايات القرن التاسع عشر، تتبين إجراءات الدولة العثمانية التي تهدف لتغيير الجغرافيا السياسية لكوردستان، حيث بدأت تدريجياً بتقسيمها وإلحاق أجزاء منها بمناطق غير كوردية. وقد قام الرحالة الفرنسي غيوم - أنطوان أوليفيه (Olivier, 1801: 300) الذي قام في أواخر القرن الثامن عشر برحلة طويلة إلى البلاد العثمانية، مصر وإيران، ويبين أن "كركوك كانت لفترة طويلة جزءاً من باشوية شهرزور، وكان لها باشا في فترتين، لكن شهرزور حالياً وجميع مناطق شرق دجلة، بما فيها الزاب الكبير وكوردستان، تم ربطها بباشوية بغداد. وفي كركوك الآن متسلم يعينه باشا بغداد" [4].

وفي جغرافيا الرياضيات، الفيزياء والسياسة، يتحدث مالتيبرون (Malte - Brun,

1 Le Curdistan, ou Pays des Curdes, […] cap. Kerkouk: Erbil, autrefois Arbelle…

2 3. Curdistan, ou Pays des Curdes. Kerkouk, à peu distance de Betlis. Betlis .. sur la Rivier Bendmahi. Erbil, Ville de peu de Commerce.

3 Kerkouk ou Kierkikouk, capitale du Curdistan Turc, situé au sud-est vers les montagnes, est une ville considérable, oú reside la pacha, qui a sous lui trente-deux sangiacs.

4 Kerkouk a été pendant long-tems compris dans le pachalik de Sherhzour; il a eu ensuite un pacha à deux queues: mais aujourd'hui que Sherhzour et to;it ce qui est à l'orient du Tigre, depuis le Grand-Zarb, que le Curdistan même sont réunis au pachalik de Bagdad , Kerkouk n'a plus qu'un mutselim que ce pacha y envoie.

1801: 413) في الجـزء الـذي يعنـى بكوردسـتان، عـن مـدن كوردسـتان، ويقـول: "كركـوك بالقـرب مـن الجبـال العاليـة [.....] هـي العاصمـة الحقيقيـة لكوردسـتان" [1].

في كتـاب، درس في الكوزمولوجيـا، الجغرافيـا والكرونولوجيـا التاريخيـة، يتحـدث إيدمـي مينتيـل (Mentelle, 1804: 152, 153) عـن بـلاد تقـع إلى الـشرق مـن دجلـة، ويمـضي ليقـول: "بلـد صغـير إلى الـشرق مـن دجلـة وجـزء مـن ميسـوبوتاميا. يمتـد مـن الحـدود الجنوبيـة لأرمينيـا وصـولاً إلى بابـل، اسـمه الحـالي هـو كوردسـتان، وهـي تسـمية مشـتقة مـن أسـمائه القديمـة: كاردوكي وكاردوك". ويتحدث عن مدنهـا، ويذكر بعضهـا عـلى هـذا النحـو: "نينـوى الواقعـة على دجلـة (تعـرف اليوم بالموصل) سـميت باسـم نينـوس الباسـتاني [.....]، آربيـل (أربيـل) هـي المدينـة الرئيسـة في ولايـة أديابين، ثـم ديمتريـاس، التـي يذكرهـا بطليمـوس، [لكـن] اسـمها الحقيقـي كان كوركـورا، وتعـرف اليـوم بكركـوك. توجـد فيهـا منابـع النفـط وهـذا الأمـر تمـت الإشـارة إليـه منـذ قديـم الزمـان"[2].

أمـا الجغـرافي الأمريـكي جديديـا مـورس (Morse, 1808: 424) فقـد ذكـر في العـام

1 Kurdistan—Nous avons déjà parlé des mœurs des Kurdes qui errent avec leurs troupeaux dans l'Analolie et la Grèce. Leur pays originaire est cette contrée montagneuse qui s'étend entre les lacs de Van et d'Urumia au nord ; l'Euphrate à l'ouest et au sud , et la Perse à l'est. Ce pays n'est fertile qu'en pâturages. On y trouve du salpêtre , du soufre natif et des sources de naphta , qui même , à ce qu'on assure , forment un ruisseau assez considérable. Schcrézour paraît être aujourd'hui la résidence d'un pacha turc , qui , sans doute , ne jouit que de très-peu d'autorité.

Kerkouk , dans les hautes montagnes , est , selon d'autres , la vraie capitale du Kurdistan.

Betlis , très-forte ville , sur la rivière de Bend-Mahi. Elle a une bonne citadelle. Le bey , ou prince du pays des Kurdes , en est souverain.

Amadia, ville considérable, entre l'Euphrate et le lac Van. Elle rst placée, ainsi que sa citadelle, sur un rocher très-escarpé , qu'on ne peut gravir en moins d'une heure de tems.

Quelques géographes ont placé dans le Kurdistan les deux villes de Naksiwan et de Joulfa : c'est sans fondement ; ells appartiennent à l'Arménie persane.

2 Ce petit pays, qui donna de bonne heure son nom à un grand empire, était à l'E.duTigre, et par conséquent de la Mésopotamie : il s'étendait des frontières méridionales de l'Arménie , jusqu'à la Babylonie. C'est aujourd'hui le Kourdistân, formé de l'ancien nom des Carduci ou Carduques. Les principaux lieux étaient:

Ninive , sur le Tigre (à-peu-près en face de la ville actuelle appelée Mosoul), fondée , à ce qu'on croit , par Ninus, à une époque très-reculée....

Arbèle (Erbil) principale ville d'une petite province appelée Adiabène [...]

Enfin Demetrias , dont il paraît par Ptolémée, que le nom propre était Corcusa (qui se retrouve dans le nom actuel de Kerkouk). On y voit encore des sources de nafte , dont les Anciens ont parlé.

1808م، في المعجم الجغرافي لبلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا، عن كركوك: "كركوك مدينة مسورة في كوردستان. وهي عاصمة ومقر حكم أحد الباشوات، وتبعد عن الموصل 95 ميلاً"[1] .

وفي موسوعة لندن للعام 1812م، وصف جان ويليكس (Wilkes, 1812: 684) كركوك على هذا النحو: "كركوك مدينة كوردستانية، وهي عاصمة حكم أحد الباشوات. لها قلعة وهي محصنة بجدران، وتقع على مسافة 150 ميلاً إلى الشمال من بغداد و85 ميلاً إلى الشرق من الموصل".

جان مكدونالد كينير (Kinnier, 1813: 297, 298)، الذي زار كوردستان عدة مرات وسجل مشاهداته في تلك الزيارات في عدد من الكتب، كتب عن كركوك: "كركوك التي كانت في الماضي قاعدة عسكرية، يشير إليها سترابو باسم ديمترياس، و بطليموس باسم كوركورا، هي كبرى مدن كوردستان السفلى". وعن سكان كركوك، يقول كينير إنه لا وجود للعرب فيها ويخوض في التفاصيل: "عدد سكان كركوك يقدّر بثمانية عشر ألفاً، من الكورد والأرمن والنساطرة والأتراك، وفي رأيي فإن هذا التقدير يتجاوز عدد السكان الحقيقي بخمسة آلاف"[2] .

وأشار فريدريش رويهس و سبيكر (Rühs & Spiker, 1844: 304, 305) في موضوع نشرته مجلة الاثنوغرافيا الألمانية في العام 1814م، إلى مصادر النفط في كوردستان واعتبرا كركوك واحداً من المصادر الرئيسة. وكتبا يقولان: "يوجد العديد من مصادر هذا السائل الوسخ في [.....] كوردستان السفلى، وأهم تلك المصادر يوجد في أطراف كركوك ومندلي"[3] .

وورد ذكر شهرزور والإمارات الكوردية في الإحصائية الجغرافية لدول وشعوب

1 Kerkuk, a walled town of Asia, in Curdistan, capital of a government, and residence of a pacha; defended with a castle:95 miles E. Mosul

2 Kerkook, which was formerly a Roman station, entitled Demetrias by Strabo and Corcura by Ptolemy, is the largest town in the Lower Kurdistan. […]The population of Kerkook is estimated at eighteen thousand souls, Kurds, Armenians, Nestorians, and Turks; an estimate which, in my opinion, must exceed the reality by five thousand.

3 Es sind mehrere Quellen, bieser Flüssigkeit in In Niedere Kurdistan. Die bedeutendsten sind aber die in der Nähe von Kerkuk, Mendali.

العـالم، التـي كتبهـا يوهـان كريسـتيان فيـك (Fick, 1817: 138) في العـام 1817م. حيـث يذكـر فيـك: "في شـهرزور، حيـث توجـد قلعـة كركـوك، البيـوت محفـورة كأنهـا مغـارات [.....] وهـي مرتبطـة بالإمـارات الكورديـة، حيـث يتألـف البلـد مـن خمـس إمـارات. مـن بينهـا بتليـس ذات الأمـير المسـتقل"[1] .

وفي العـام 1819م، أجـرى الجغـرافي الفرنـسي غوتـري (Guthrie, 1819: 308, 309) بحثـاً مقتضبـاً حـول كوردسـتان، جـاء فيـه: "كوردسـتان، بلـد جبـلي يتألـف مـن كوردوئـين[2] وإديابـين[3] . هـذا الإقليـم يتكـون مـن خمـس إمـارات رئيسـة هـي: بتليس، جولـة مـيرغ، الجزيـرة [.....و] قلاجـوالان. وهـذه هـي كـبرى الامـارات الكورديـة، ويخضـع لهـا كل جنـوب كوردسـتان". وهنـا يقـول غوتـري إن كركـوك تـم فصلهـا عـن قلاجـوالان. وحسـب غوتـري فـإن "إمـارتي شـهرزور وكركـوك الصغيرتـين، اللتـين يحكمهـما الآن متسـلم، قـد اجتزئتـا مـن إمـارة قلاجـوالان" [4].

وأورد أبراهـام ريـس (Rees, 1819: 526) في معجـم الفنـون والأدبيـات في العـام 1819م أن: "كركـوك هـي كـبرى مـدن كوردسـتان السـفلى، تبعـد 59 فرسـخاً (الفرسـخ = 5.4 كيلومـتراً) عـن بغـداد و41 فرسـخاً عـن الموصـل". ويقـول ريـس عـن سـكان كركـوك: "عـدد سـكانها 18000 نسـمة وهـم مـن الكـورد والأرمـن والنسـاطرة والأتـراك"[5].

1 Scheresur, wo die St. Kerkuk mit Kastell. Schweiyr, an einem Felsen, in welchem die Häuser als Höhlen ausgehauen sind. Hieher gehören 5 kurdische, unter ihren Stammhäuptern, oder Emirs befindliche Fürtenthümer, worunter Betlis, eine bef St mit einem Schloß, auf dem ein Beg oder unabhängiger kurdischer Fürst wohnt.

2 Corduène.

3 Adiabène.

4 4 Kurdistan ou Kourdistan. = Ce pays [...], comprenait la Corduène, l'Adiabène; il est montagneux [...] Cette contrée comprend quatre grandes principautés, savoir: celles de Betlis, Giulamerk , Dgesira. [...] Kara-Dgiolan, la plus grande principauté kurde, renfermé tout le Kurdistan Méridional. [...] Les deux petits pachaliks turcs de Scherezour et de Kerkouk, aujourd'hui gouvernés par des mousselims ou intendans, semblent être des démembremens de la principauté de Kara-Dgiolan.

5 Kerkouk, or Kerkook, the largest town in the lower Kurdistan, 59 fursungs from Bagdad, and 41 from Mosul, on the road from one place to the other. Its population is estimated at 18,000 souls, Kurds, Armenians, Netorians, Turks […].

المعجـم الجغـرافي العـام، الـذي ألفـه بروكـس وآخـرون (Brookes et al, 1820: 443) في العـام 1820م، جـاء فيـه: "كركـوك مدينـة كوردسـتانية وهـي عاصمة مقاطعة ويقيـم فيهـا باشـا. مسـورة بجـدار طينـي يرتفـع حولهـا، وإلى الجهـة الخارجيـة مـن الجـدار يوجـد بعـض الأحيـاء السـكنية" [1]. وهنـاك معجـم جغـرافي آخـر صـدر بعـد سـنة واحـدة مـن قبـل مـورس ومـورس (Morse & Morse, 1821: 368) وطبـع في أمريـكا، جـاء فيـه: "كركـوك مدينـة في تركيـا وهـي كـبرى مـدن كوردسـتان السـفلى. يقـدر عـدد سـكانها بثلاثـة عـشر ألـف نسـمة" [2].

في كتـاب الـدرس الإيطـالي الـذي ألفـه فيديريجـي (Federici, 1821, 234) في العام 1821م، عـلى شـكل أسـئلة وأجوبـة مدرسـية، تتطـرق النقطـة الثالثـة مـن السـؤال المتعلـق بديـاربكـر إلى ذكـر كوردسـتان، وتقـول: "كوردسـتان، أو بـلاد الكـورد [...] يعيـش فيهـا شـعب مـن رعـاة الغنـم الرحّـل يتبعـون أميـراً [يرتبـط] بباشـا مقـره في كركـوك. [وكركـوك] هـي كـبرى مدنهـا"[3] .

الكاتـب والتشـكيلي والدبلومـاسي والرحالـة السـكوتلندي الشـهير بورتـر (Porter, 1822: 439)، قـام برحلـة إلى الـشرق الأوسـط دامـت أربـع سـنوات مـن 1817م إلى 1820م، يشـير إلى جغرافيـا كركـوك وكوردسـتان ويقـول: "كركـوك واحـدة مـن أهـم مناطـق كوردسـتان السـفلى [التـي] تبـدأ مـن شـمال شرق خوزسـتان لتمتـد عـبر جبـال كوردسـتان الشـاهقة (كاردوكيـا القديمـة) وتضـم جميـع بـلاد آشـور"[4] . وفي نفـس السـنة، وضـع بيـك (Beck, 1822: 106) في التقريـر الأدبي العـام "كركـوك ضمـن كوردسـتان السـفلى" حيـث "تشـتعل آبارهـا النفطيـة عـلى قمـم التـلال" [5].

1 Kerkouk, a city of Kurdistan, the capital of a district and residence of a pashaw. It is surrounded by a mud wall, and on an eminence that is nearly perpendicular on all sides, below which is an extensive suburb. […]

2 Kerkook, t. A Turkey, the largest in Lower Kurdistan. Pop. About 13.000. […]

3 Kurdistan, o paese de'Curdi [...] I popoli che l'abitano sono nomadi, o pastori; sono soggetti ad un Emir, che dipende dal Bascià, la cui residenza è a Kerkouk, capo-luogo.

4 Kirkook is regarded as one of the most considerable places in Lower Courdistan ; which, extending from the north-western frontiers of Khuzistan, to the high mountainous passes of Courdistan (the ancient Carduchia), comprehends almost the whole of Assyria Proper.

5 Kirkuk in Nieder-Kurdistan. [...] Naphthaquellen und brennender Hügel.

وفي كتـاب الجغرافيـا الكونيـة الحديثـة للعـام 1822م، الـذي وضعـه الكاتـب الإيطـالي غ. ر. باغنـوزي (Pagnozzi, 1822: 199, 200)، عندمـا يتطـرق إلى الحديـث عـن كوردسـتان، وإلى جانـب مجموعـة مـن المعلومـات الأخـرى، يذكـر أن "كوردسـتان تركيـا تنقسـم عـلى خمـس إمـارات، هـي 1 - بتليـس، 2 - جولـة مـيرغ، 3 - آميـدي (العماديـة)، 4 - الجزيـرة، 5 - قلاجـوالان" ويبـين أن كركـوك (كوركـور) تقـع ضمـن إمـارة قلاجـوالان"[1] .

وكتـب ثاكـر (Thacker, 1823: 584) في مجلـة كلكتـا الاسـتشراقية، أن "نفـط كركـوك يسـتهلك بصـورة رئيسـة في أسـواق جنـوب - غـرب كوردسـتان" [2].

وفي المعجـم الحديـث لجغرافيـا العـالم، بـيّن مـككارثي (Mac Carthy, 1824: 662) في العـام 1824م أن "كركـوك مدينـة في كوردسـتان السـفلى (تركيـا الآسـيوية) وهـي قائمـة عـلى تلـة. ويبلـغ تعـداد سـكانها 18000 نسـمة" [3].

وفي المعجـم الجغـرافي الكـوني، في 1825م، كتـب كيليـان (Kilian, 1825: 727) عـن شـهرزور، وعـن تقسـيم هـذه الإمـارة ومركزهـا عـلى النحـو الآتي: "شـهرزور باشـوية في تركيـا الآسـيوية، وتضـم قسـماً كبـيراً مـن كوردسـتان [.....] وقـد قسـم الأتـراك هـذه الباشـوية إلى عشريـن سـنجقاً غـير معلـوم الحـدود، [الباشـوية] يحكمهـا الأمـراء الكـورد المسـتقلون ونظـام الحكـم فيهـا وراثي. وتمثـل كركـوك مركزهـا المـالي، ويقيـم متسـلم في شـهرزور التـي هـي المدينـة الرئيسـة في الباشـوية" [4].

وفي الجغرافيـا الكونيـة لكافـة أجـزاء العـالم، التـي أعدهـا، في العـام 1827م، مالـت - بـرون (Malte - Brun, 1827: 340)، يشـار أيضـاً إلى فصـل شـهرزور وكركـوك عـن

1 Il Kurdistan Turco è diviso in cinque principati; 1.Betlis; 2. Giuliamerk; 3. Hamadieh; 4. Dgesirah; 5. Karadgiolan. […]Kerkuk (Corbura) nel Karadgiolan, è situata sopra un' altura, sul ramo inferiore del piccolo Zarb.

2 The Kirkook naphtha is principally consumed by the markets in the south-west of Curdistan.

3 Kerkout, v. cons. de Bas-Kourdistan (Turq. as.) sit. Sur un éminence. Pop. 18,000 hab.

4 Chehrezour, pach. dé la Turquie d'Asie, formé de la majeure partie du Kurdistan [...] Les Turcs divisent ce pachalic en 20 san djaks , dont les limites sont inconnues , et qui sont presque tous au pouvoir de princes kurdes héréditaires et indépendans. L'administration financière est à Kerkouk , et un mutesellim […] réside à Chehrezour , chef-lieu de ce pachalic.

قلاجـوالان: "كوردسـتان أو بـلاد الكـورد [...] وإمـارة قلاجـوالان هـي كـبرى إماراتهـا وتحمـل عاصمتهـا نفـس الاسـم [...] وقـد تـم فصـل باشـويتَي شـهرزور وكركـوك الصغيرتـين عـن قلاجـوالان عنـوة، ويديرهـما متسـلم"[1] .

وفي التحليـل الجغـرافي لهـيرودوت، 1830م، يشـير رينـل (Rennel, 1830: 515) إلى جـذور كلمتـي "كـورد" و"كـر" ويربطهـما بكلمـة كركـوك، ويقـول: "تظهـر كلمـة كر في اسـم إلـه البـلاد. وحسـب السـيد أوتـر[2] هـو اسـم أعـلى سلسـلة جبليـة في كوردسـتان (كاردوكي) وهـو "كار" (ربمـا يقصـد جبـل كاروخ أو غـارا). أمـا نيبـور[3] فـيرى أنـه ولايـة هـ(كار)ي القريبـة. وتعيـش قبيلـة (غـور)ان الكورديـة في شرقـه، ويحمـل اسـم (كر)كـوك ومناطـق أخـرى أيضـاً بادئـة (كـر) أو (كار). وربمـا كان اسـم الـ(كار)دوكيـين لـه نفـس الجـذور"[4] . وفي نفـس العـام، أوضـح بروسـتر (Brewster, 1830: 510) في موسـوعة إيدنـبرة، أن "هنـاك العديـد مـن المـدن والقـرى في كوردسـتان تجـدر الإشـارة إليهـا. وكركـوك هـي كـبرى مـدن كوردسـتان السـفلى"[5] .

أمـا مارشـال (Marshall, 1832: 418) فيقـول عنـد التطـرق إلى ذكـر كركـوك في (المجلـة الكونيـة لتحليـل الأمـم الرئيسـة في العـالم): "كركـوك مدينـة في كوردسـتان، وهـي عاصمـة لحكومـة ومقـر لأحـد الباشـوات" [6].

وفي كتـاب (الجغرافيـا) الـذي هـو عبـارة عـن جغرافيـا طبيعيـة وسياسـية، في

1 Koordistan, or the country of the Kurds, […] The Largest principality of this country is Kara Djiolan, with a capital town of the same name. […] The two small pashâlics of Sherzour and Kerkouk, governed by mousselims or superin-dendants, appear to be formed by forcible encroachments on the principality of Kara-Djiolan.

2 Otter.

3 Nihebuhr.

4 The name Kir is traceable at present in that country. The loftiest ridge of the Kurdistan mountains (Carduchian) is named Kiarè, according to M. Otter. The province adjacent is Hakiari (Niebuhr); the Kiouran tribe of the Kourds -in-habits eastern part; Kerkook, a larg town and other places of less consequence, have the prefixture Ker or Kir to them. It is possible that the name of the Carduchian people may have had the same rout.

5 Curdistan - […] In Curdistan there are several considerable towns and hamlets. The largets of the towns of Lower Curdistan is Kerkook . […]

6 Kerkuk, a town of Curdistan, the capital of a government and residence of a pacha . […]

العـام 1834م، يتحـدث غراندبـيري (Grandperret, 1834: 309) عـن مكونـات الجغرافيـا العثمانيـة، وفي النقطـة الثانيـة في القسـم المتعلـق بكوردسـتان، يقـول: "تتألـف كوردسـتان مـن هـذه الباشـويات: وان: وتضـم كلاً مـن وان وخوشـاب وبايزيـد وجولـة مـيرغ. قـارس: وتضـم قـارس وآني وأردخـان. شـهرزور: وتضـم كركـوك وشـهرزور وبابـان"[1] .

ويبـين رسّـل وآخـرون (Russell et al, 1835: 268) في موسـوعة بينـي، العـام 1835م، أن "السـليمانية وكركـوك وأربيـل هـي المـدن الرئيسـة في كوردسـتان تركيـا"، وعـن السـليمانية يـورد الآتي: "هـي عاصمـة باشـا يحمـل نفـس الاسـم ومسـاحتها أكـبر مـن جميـع الأجـزاء الأخـرى للبلـد"[2] . وفي نفـس السـنة، ذكـر لاندمـان (Land-man, 1835: 384) في معجـم جغرافيـا العـالم، عنـد الحديـث عـن كركـوك، أن "كركـوك مدينـة في آسـيا، تركيـا، كوردسـتان، وهـي عاصمـة لمنطقـة وقائمـة عـلى تلـة. المدينـة محميـة بجـدران وأبـراج قائمـة حواليهـا، وتوجـد أسـفل التلـة مجموعة أحيـاء فيهـا بسـاتين زيتـون وكمـثرى وكـروم" [3].

وفي رسـالة أوليـة حـول الجغرافيـا وإحصـاء العـام 1838م في فرنسـا، يحلـل أوجـن كورتامـبر ولـوران (Cortambert & Laurent, 1838: 186)، في فقـرة تقسـيم الجغرافيـا العثمانيـة، التكويـن الجغـرافي لكوردسـتان عـلى النحـو الآتي: "كوردسـتان تركيـا، [تتكـون مـن] الموصـل 144000 [السـكان]، [المركـز] الموصـل، شـهرزور 155000 [السـكان]، [المركـز] كركـوك"[4] .

وفي المجلـد الثالـث مـن الجغرافيـا الكونيـة، الفيزيائيـة، السياسـية والتاريخيـة،

1 Kurdistan comprend les paschaliks Van: Van, Khochab, Bayazid, Djoulamerk. Kars: Kars, Ani, Ardanoudgi. Chehr-zour: Kerkouk, Chehrzour, Baïan.

2 Sulimanieh, Kerkook and Erbil are the principal towns of Turkish Koordistan : Sulimanieh is the capital of a pashalic of the same name ; the territories of which are more extensive than those of any other chief in the part of the country.

3 Kerkouk, or Kirkook, a city of Asia, Turkey, Kurdistan, the capital of a district, on an eminence that is nearly per-pendicular on all sides, and is surrounded by a mud wall with towers, below which is an extensive suburb, with gardens producing olives, pears, and grapes. […] Kerkouk is situated 135 m Southwest of Betlis. […]

4 Kurdistan Turc. Mossoul, 144,000, Mossoul. Cehrezour, 155,000, Kerkouk.

طبعة 1839م، يتطرق غوتر ولانغوا (Guthrie & Langlois, 1839: 260 - 271) إلى الحديث عن الحدود الجغرافية لإمارة شهرزور ويشيران إلى أن إمارة شهرزور "تشكل قسماً كبيراً من كوردستان، تبلغ حدودها الشمالية وان، وحدودها الجنوبية تصل إلى بغداد، وتمتد غرباً حتى الموصل وديار بكر. [...] مدنها قليلة، لكن بها العديد من القلاع. هذه الإمارة مقسمة إلى عشرين سنجقاً غير معلوم الحدود، ويحكمها حكماً وراثياً أمراء كورد مستقلون. [...] وكركوك هي المركز المالي [لشهرزور]"[1] . وفي نفس السنة، كتب سيليمان وآخرون (Silliman et al, 1839: 353) في العدد الثاني من المجلد 37 من المجلة العلمية الأمريكية "نفط كركوك أسود ويستهلك في جنوب - غرب كوردستان" [2].

وفي قرطاس الأتيمولوجيا أو أصول الكلمات، 1840م، يتحدث موندر (Maun-der, 1840: 77) عن كوردستانية كركوك كالآتي: "كركوك، مدينة في كوردستان وهي عاصمة المنطقة"[3] . وفي نفس السنة، تطرق كورتامبر (Cortambert, 1840: 247) في الدروس الجغرافية إلى الجغرافيا السياسية لكوردستان، وبيّن أن "كوردستان تتألف من باشويتين: الموصل مع مدينة كبرى تحمل نفس الاسم وتقع على ضفاف دجلة، وأربيل هي نفسها أربيل القديمة إلى الشرق من الموصل. [...] باشوية كوردستان السفلى، التي تعرف بشهرزور، وكركوك هي كبرى مدنها"[4] . وفي نفس السنة أيضاً، بيّن دومالیوس دالوا (D'Omalius D'Hal-

1 Chehrezour. = Ce pachalik, formé de la majeure partie du Kourdistan , confine au N. avec celui de Van, au N.E. et l'E. avec la Perse, au S. avec le pachalik de Bagdad , et à l'O, avec ceux de Mossoul et de Diarbékir. Ce pachalik se divise en 20 sandjaks dont les limites sont inconnues; ils sont presque tous possédés par des princes kourdes, héréditaires et indépendants. L'administration financière est à Kerkouk.

2 The Kirkook Naptha—The Kirkook Naphtha is black, and is consumed in the S. W. of Courdistan.

3 Kerkouk. or Kirkook, a city of Kurdistan, the capital of a district.

4 Kurdistan. Le Kurdistan ouïe pays des Kurdes, s'étend le long des frontières de la Perse , au S. du lac de Van. C'est un pays de montagnes éle vées et de vallées fertiles. Les Kurdes habitant les mêmes lieux où se trouvaient jadis les Carduques ou Gordyènes , qui opposèrent aux Dix-Mille des obstacles nombreux. […] Deux pachal-ics composent le Kurdistan : le plus septentrional est celui de Mossoul ou Moussoul, avec une grande ville du même nom, située sur le Tigre, vers l'emplacement de l'antique Ninive. A l'E. de Mossoul est Erbil, l'ancienne Arbèles, fameuse par une victoire d'Alexandre sur Darius. Le pachalic méridional du Kurdistan porte le nom

loy, 1840: 171) في مذكرات إحصائية أولية، عند الحديث عن الأجزاء الآسيوية للامبراطورية العثمانية، أن "مدن باشوية شهرزور هي: بابان وشهرزور وأربيل وكركوك [والبلد هو] كوردستان"[1] .

وتصف الجغرافيا الطبيعية والتاريخية لكارل ريتر (Ritter, 1841: 266)، 1841م، كركوك بأنها واحدة من مدن جنوب كوردستان.

وفي الجغرافيا الأولية الحديثة، طبعة بروكسل 1842م، يبين جوزيف جان دو سميت (Smet, 1842: 173, 174) عندما يتطرق إلى طوبوغرافيا كوردستان أن "هذا البلد يتألف من خمس إمارات، وتزوره قلة من الناس. مدنه: بتليس، العمادية، قلاجوالان. وليست حكومتا شهرزور وكركوك منطقتين متميزتين، خلا مدينة أربيل التي كانت هزيمة داريوش فيها أبدية"[2] .

الاثنوغرافي البلجيكي أغوست فالن (Wahlen, 1843: 512, 513) في كتابه تقاليد شعوب العالم، 1843م، يقدم تعريفاً بالشعب الكوردي ووطنه، ويشير إلى جغرافيا كوردستان بالقول: "كوردستان الآن ولاية تركية في آسيا. وتعرف بكوردستان العثمانية. [...] فيما مضى كانت تتألف من باشويتَي الموصل وشهرزور، [لكنها] الآن تضم مدن: جولة ميرغ وهي عاصمة لإمارة تحمل نفس الاسم [...] العمادية وهي عاصمة كورد بهدينان إلى الغرب من إمارة جولة ميرغ، حيث يعيش هؤلاء بين الموصل وبتليس. إمارة الجزيرة في باشوية دياربكر. وفي المدينة عينها، [أي] عاصمة الإمارة، يعيش البوتانيون. [...] وكبرى الإمارات الكوردية هي قلاجوالان أو شهرزور التي تحمل عاصمتها نفس الاسم. هذا البلد يضم جميع جنوب كوردستان ويستطيع حشد 15000 بندقية. ومدنه هي: كركوك التي يعيش بها 15000 نسمة

de Chehrezour, et a pour chef- lieu Kerkouk.

1 Empire Ottoman. Suite des possession d'Asie. [...] Chehrezour: Baïan, Cherezour, erbil, Kerkouk [de] Kurdistan.

2 Ce pays comprend cinq principautés, peu visitées par les voyageurs. Villes : Bitlis. — Imadiéh. — Kara-Dgiolan.Les deux petits gouvernements turcs de Scberbeodr et de Kerkouk n'offrent aucun endroit remarquable , si ce n'est le bourg d'Erbil immortalisé par la défaite de Darius.

وهـي قائمـة عـلى تلـة وتحميهـا قلعـة [...] أربيـل (أربيـلا القديمـة، التـي تشـتهر بهزيمة الملـك الفـارسي داريـوش فيهـا) وتحميهـا قلعـة محاطـة بسـهل واسـع وخصـب"[1] .

وفي نفـس السـنة، قـدّم الإيطـالي فرديناندو دو لـوكا (du Luca, 1843: 86) مـن مؤسسـة الجغرافيـا الأساسـية، معلومـات جـاء فيهـا "الإيالـة الرئيسـة في كوردسـتان العثمانيـة هـي شـهرزور وكركـوك هـي كـبرى مدنهـا"[2] . وفي نفـس السـنة أيضـاً، قـدم مكغريغـور (Macgregor, 1843: 12) تقريـراً للبرلمـان البريطـاني حـول التعرفـة التجارية وأصولهـا، وفي القسـم الخـاص بالإمبراطوريـة العثمانيـة، تطـرق إلى الجغرافيـا السياسـية لكركـوك: "كوردسـتان العثمانيـة تتكـون مـن هـذه الإيـالات والألويـة: أيالـة شـهرزور وعاصمتهـا كركـوك. – والألويـة والمـدن الكـبرى فيهـا هـي شـهرزور (التـي كان فيهـا مقعـد باشـا)، أربيـل وبابـان"[3] .

وفي كتـاب اليـد الجديـد لطلبـة البكالوريـوس، 1844م، يبـين لوفرانـك (Lefranc, 1844: 104) أن "كوردسـتان العثمانيـة يعيـش فيهـا الكـورد الذيـن ليسـوا مواطنـين بـل

1 Le Kourdistan ou le pays des Kourdes ou Kurdes […]Le Kourdistan, qui forme actuellement une province de la Tur-quie d'Asie connue sous le nom de Kourdistan Ottoman, empiète sur l'Arménie sans qu'il soit facile de les distinguer l'un de l'autre. Il est certain pourtant qu'il formait autrefois les deux pachaliks de Mossoul et de Chehrezour, :qui n'en font plus qu'un seul, lequel porte le nom de ce dernier et comprend les villes suivantes Giulamerk ou Djoulamerk, chef-lieu de la principauté du même nom et qui n'offre rien de remarquable. Amadia est la capitale des Kourdes-Badinan qui demeurent à l'ouest de la principauté de Djoulamerk, entre Mossoul et Betlis; c'est une ville de 6,000 âmes, dont le canton fournit beaucoup de fruits, et près de laquelle se trouve le tombeau de l'iman Mohamed-Bekir, révéré dans tout le Kourdistan.

Djeziréh, dans le pachalik de Diarbékir, renferme, dit-on, 20,000 habitants. On voit au centre de cette ville, capitale d'une principauté dont les habitants se nomment Bottani […] La plus grande principauté Kourde est celle de Kara-Djolan ou Chehrezour, dont la capitale, du même nom, a 6,000 habitants. Cet État, comprenant tout le Kourdistan méridional, peut mettre sur pied 15,000 fusiliers, tandis que les quatre autres princes n'en peuvent pas mettre, chacun, au delà de 10,000 à 12,000.

Kerkouk, ville de 15,000 âmes, bâtie sur une montagne, entourée de murailles, défendue par une citadelle, donne son nom au Kerkouk-Soui, petite rivière qui coule à ses pieds.

Erbil (l'antique Arbela, immortalisée par la. défaite de Darius et la chute de la monarchie persane) est défendue par un fort en pierre, et située au milieu de plaines fertiles. On lui donne 4,000 habitants.

2 il Kurdistan Ottomano (Kur.) coll' ejaleto di Chehrezour , le cui metr. è Kerkouk.

3 Ottoman Kurdistan, properly speaking , comprises the following Eyalet and Livas: Eyalet or Chehrezour; capital, Kerkouk.-The Livas, dependent, and chief towns, are:—Chehrezour (formerly the seat of the Pacha), Erbil and Baian.

هـم تابعـون لإسـتانبول. إنهـم شـعب رحـال، وفرسـان يديـر شـؤونهم أمـراء. وكـبرى مدنهـم هـي: شـهرزور وكركـوك وأربيـل".

وفي المنهـج الجغـرافي عـلى التاريـخ، 1845م، أفـرد براكونييـه (Braconnier, 1845: 406) مبحثـاً للإمبراطوريـة العثمانيـة، جـاء فيـه: "تركيـا الآسـيوية تتكـون مـن سـتة أجـزاء"، ويبـين أن الجـزء الثالـث هـو كوردسـتان "، "و3 كوردسـتان هـي باشـوية شـهرزور، وقـد تـم نقـل مقـر الباشـوية إلى كركـوك"[1] .

وفي معجـم جغرافيـا الإنجيـل، طبـع في العـام 1846م، يتحـدث مايلـز (Miles, 1846: 57) عـن الجغرافيـا الحديثـة لكوردسـتان ويقـول "كوردسـتان المعـاصرة هـي أوسـع مسـاحة مـن آشـور القديمـة بكثـير، وتنقسـم إلى قسـمين أعـلى وأسـفل". وبالإضافـة إلى الإشـارة إلى إمـارات أردلان، بتليـس، العماديـة والجزيـرة الكورديـة، يشـير إلى كركـوك والسـليمانية ويعلـن أن "باشـويّتيْ كركـوك والسـليمانية تشـكلان جـزءاً مـن كوردسـتان السـفلى"[2] .

وفي تقريـر أصدقـاء العلـم، 1948م، يتحـدث هايدينغـر (Haidinger, 1848: 450) عـن المعـادن الموجـودة في المنطقـة وفي كوردسـتان، ويقـول: "حسـب أينسـوورث[3] توجـد في جنـوب كوردسـتان، في كركـوك والسـليمانية، طبقـة مـن الفحـم ويجـب ربطها بهاهنـا"[4] .

1 La Turquie d'Asie renferme six grandes parties: […] 3° Kourdistan, formant le pachalick de Cheehrezour ; la résidence du pacha est transportée à Kerkouk.

2 Modern Curdistan is of much greater extent than the ancient Assyria, and is composed of two parts, the Upper and Lower. In the former is the province of Ardelaw, the ancient Arropachatis, now nominally a part of Irak Ajami, and belonging to the north-west division called Al Jobal. It contains five others, namely, Bellis, the ancient Carduchia, lying to the south and south-west of the lake Van. East and south-east of Betlis is the principality of Julamerick-—south-west of it, is the principality of Amadia—the fourth is Jeezera ul Omar, a city on an island in the Tigris, and corre-sponding to the ancient Bezabde—the fifth and largest is Kara Djiolan, with a capital of the same name. The pashalics of Kirkook and Solimania also comprise part of Lower Curdistan. Lower Curdistan comprises all the level tract to the east of the Tigris, and the minor ranges immediately bounding the plains, and reaching thence to the foot of the great range, which may justly be denominated the Alps of western Asia.

3 Ainsworth, Researches in Assyria, Babylonia and Chaldea, Geology of Southern Kurdistan, p. 237 – 267.

4 Ainsworth's vermeintliche kohlenführende Kreideschichten im südlichen Kurdistan bei Kerkuk und Sulei-

وفي المجلد 14، للعام 1848م، للمجلة العلمية للبعثة اليهودية، يذكر تقرير شتيرنشوس (Sternschuss, 1848: 295) عن زيارته إلى كركوك أن "كركوك منطقة جذابة يعيش فيها اليهود والمسيحيون وكثير من المسلمين. [لكنها] في الحقيقة جزء من بلاد الكورد" [1].

وفي المعجم الجغرافي والإحصائي والتاريخي للبلدان، طبعة 1849، يبين جان رمزي ماككالف (McCulloch, 1849: 10) أن "كركوك (التي يسميها إسترابو "ديمتريأس" ويسميها بطليموس "كوركورا") مدينة كبيرة تقع في تركيا الآسيوية، التي تقع في كوردستان السفلى، وهي [في نفس الوقت] عاصمة السنجق" [2].

وفي كتاب اليد للجغرافيا، 1850م، يشير أدريان بالبي (Balbi, 1850: 56) إلى مدن كوردستان تركيا ويعلن أن "كوردستان تركيا تتكون من إيالتي شهرزور وكركوك، وكان باشا يجلس في شهرزور فيما مضى، وأربيل وبابان. والإمارات الكوردية الأخرى هي: العمادية، السليمانية أو سنديان، كويسنجق و غوران، وهي جميعاً مرتبطة بالدولة التركية"[3] .

وفي كتاب التاريخ العثماني، 1852م، عندما يبحث هامر - بورغستال (Ham-mer - Purgstall, 1852: 59) في الحرب بين العثمانيين والصفويين في العام 1625م، يشير إلى كركوك بصفتها مدينة كوردستانية ويقول "في مطلع أيار من العام 1625، توجه الوزير الأعظم رفقة بكلربيك قراماني، وجركز حسن الذي كان قد أمضى الشتاء في حسنكيف، إلى جقوق في دياربكر، للتصدي لزحف الجيش الفارسي الذي كان قد عسكر في كوردستان عند مشارف كركوك" [4].

manieh werden auch hierher gehören.

1 Kerkuk is a place of some note, it contains a good many Jewish, Christian and Moslem Inhabitants. It properly speaking, belongs to the Kurdish territory.

2 Kerkouk (Demetrias, Strabo; Corcura, Ptol.) a large town of Asiatic Turkey, in Lower Kurdistan, the capital Sandjiak.

3 lll. Türkisch-Kurdistan begreift das folgende Eyalets: Schehresor. Kerkuk, Schehresur, vormals Sitz des Paschas, Erbil, Baïan. Die kurdischen Fürstenthümen Amadia, Suleimanieh oder Sindian, Koï und Kuran, die nur Vasallen des türkis-chen Reiches sind.

4 Au commencement de mai (27 redjeb 1034 — 5 mai 1625), le nouveau grand-vizir alla planter ses tentes

وفي تاريخ القسطنطينية، وهو عبارة عن تأريخ مختصر للدولة العثمانية تم تأليفه في العام 1853م، يتناول بوجولا (Poujoulat, 1853: 324) موضوع الحرب بين نادرشاه الأفشاري والعثمانيين، حيث "حقق طوبال [عثمان] نصراً آخر على الفرس، لكن نادرشاه هزمه بعد أيام قليلة (في أكتوبر 1733م) بالقرب من كركوك عاصمة كوردستان العثمانية" [1].

وكتب نايت (Knight, 1854: 823) في الموسوعة الانجليزية، طبعة نيويورك 1854، عن جغرافيا كوردستان أن "كوردستان بلاد جبلية [...] مدنها الرئيسة هي: السليمانية، كركوك وأربيل"[2] . وفي الجدول التاريخي والسياسي لتركيا وروسيا، الذي نشر في نفس السنة، يقول جوبر ومورنان (Joubert & Mor-nand, 1854: 110, 111) عن الإيالات الكوردستانية "الإيالات الكوردستانية هي جزء من دياربكر وشهرزور، وكوردستان بلاد واسعة تصل من أعلاها إلى طوروس، وتحدها من الشرق والغرب بلاد فارس وميسوبوتاميا. [...] وينبغي [في هذا الفصل أيضاً] أن نشير إلى شهرزور، وهي مركز حكم كركوك وشيروان والجزيرة" [3].

وفي كتاب الجغرافيا للمدارس، طبعة 1856م، لمؤلفه ويليم ستابفورد كيني (Kenny, 1856: 72) يرد ذكر الولايات والألوية العثمانية، وعند التطرق إلى كركوك وكوردستان يقول: "تنقسم تركيا الآسيوية إلى سبعة أقسام: 1 - آسيا الصغرى أو الأناضول، مدنها الرئيسة هي: أسميرنا (إزمير)، طرابزون، سيواس،

dans la plaine de Tschekouk près de Diarbekr, tandis que le beglerbeg de Karamanie , TscherkesseHasan, qui avait hiverné dans les environs de Hossnkeïf , marchait contre un détachement de l'armée persane campé dans le voisinage de Kerkouk dans le Kurdistan.

1 Topal remporta une nouvelle victoire sur les Persans, mais Nadir le défit complétement quelques jours après (octobre,1733) près de Kerkouk, aujourd'hui capitale du Kurdistan ottoman.

2 Kurdistan is altogether a hilly country. […] Suleimania, Kerkuk and Erbil are the principal towns.

3 Les eyalets du Kurdistan sont une partie du Diarbekir, et Chrezour, auquel était rattaché autrefois le pachalik de Mossoul. Le Kurdistan est une grande plaine bornée au nord par le Taurus; à l'est et à l'ouest comprise entre la Perse et le Djezireh (Mésopotamie). Il faut citer encore Chehrezour, siège du gouvernement, Kerkouk, Djézireh et Schirwan.

أماسيا، توكات، أنغورا، سكوتاري، بروسا، كوتاهيا و... [...] 5 - كوردستان، وكركوك هي كبرى مدنها"[1] . وصدر في نفس العام كتاب دروس الجغرافيا لمؤلفه كورتامبر (Cortambert, 1856: 249) حيث يذكر كركوك وكوردستان ويشير إلى أنه فيما يتعلق بـ"كوردستان، تنبغي الإشارة إلى أطلال نينوى وكركوك الجذابة. هذه هي بلاد الكورد وهم شعب مستقل"[2] .

وفي كتاب تركيا وشعوبها، 1857م، يتحدث آنري ماثيو (Mathieu, 1857: 26) عن الإمارات الكوردية، وفيما يتعلق بإمارة قلاجوالان يشير إلى أن "كوردستان تركيا هي جزء من ميديا، وبعض الولايات التي تقع على ضفاف دجلة وجزء من إيران. وإمارة قلاجوالان تضم كل جنوب كوردستان. وفيها مدينتا السليمانية وكركوك الكبيرتان والأخيرة هي كوركورا القديمة عينها" [3].

وجاء التعريف بكركوك في المعجم الكوني لبيرير (Pierer, 1860: 437) طبعة 1860م، على هذا النحو: "كركوك لواء ضمن إيالة كوردستان تركيا"[4] .

وفي كتاب جغرافيا الكون الحديثة، 1861م، في مبحث تركيا الآسيوية، يتحدث خوزي مانوئيل رويو (Royo, 1861: 41, 42) عن أن تركيا تنقسم إلى سبعة أقسام في هذه القارة، ويورد أسماء المدن الكبيرة في كل قسم، وفي النقطة الخامسة يقول إن "كبرى مدن كوردستان هي كركوك" [5].

وفي معجم الموسوعة الملكية، طبعة لندن 1862م، يقول رايت (Wright, 1862: 384) في موضوع كركوك "كركوك مدينة في كوردستان وهي مركز المنطقة [...] بنيت فوق تلة ومن المستحيل تسلق جدرانها. وهي محاطة بسور،

1 Turkey in Asia may be divided into seven parts: 1. Asia Minore or Anatolia, chief towns: Smyrna, Trebizond, Sivas, Amasia, Tokat, Angora, Scutari, Brusa, Kutaiah, and […] 5. Kurdistan, chief town: Kerkouk.

2 Kurdistan. On y remarque Mossoul, les curieuses ruines de Ninive et Kerkouk. C'est le pays des Kurdes, peuple à peu près independent.

3 Le Kurdistan turc occupe une partie de l'ancienne Médie et les provinces situées entre le Tigre et la Perse. […] La principauté de Kara-Djiolan comprend tout le Kurdistan méridional, et a pour villes principales Solemanieh et Kerkouk, autrefois Corcura.

4 Kerkuk, liwa im türkischen Ejalet Kurdistan.

5 Kurdistan, c. pl. Kerkuk.

ويوجـد إلى الشـمال منهـا مجموعـة ينابيـع نفـط لا تنضـب"[1] .

وفي كتـاب العـمارة العالميـة، 1863م، يقـول يوهـان هاينريـش كـراوس (Krause, 1863: 99, 100) عـن كركـوك: "تقـع كركـوك في كوردسـتان السـفلى، عـلى تلـة كبـيرة. وهـي محميـة بأسـوار وأبـراج تحيـط بهـا"[2] .

وفي معجـم الموسـوعة الكاثوليكيـة للعـام 1865م، يقـول فيرتـسر (Wertzer et al, 1865: 255) إن "كركـوك هـي مدينـة أسـقف كوردسـتان"[3] .

وفي المعجـم الجغـرافي للعـام 1866م، يؤكـد مككلـوف (McCulloch) عـلى كوردسـتانية كركـوك، ويقـول "كركـوك (ديميتريـاس حسـب سـترابو، وكوركـورا حسـب بطليمـوس) مدينـة كبـيرة في تركيـا الآسـيوية، تقـع في كوردسـتان السـفلى وهـي عاصمـة لأحـد السـناجق"[4] .

وتضـع الموسـوعة الجغرافيـة، 1867م، لمؤلفهـا نايـت (Knight, 1867: 434, 435) كركـوك ضمـن إطـار كوردسـتاني، حيـث تقـول "كوردسـتان - التجـارة مـع كركـوك التـي هـي السـوق الرئيسـة لمنتجـات كوردسـتان، نشـطة جـداً"[5] .

وفي نـشرة مجمـع نانتـس الأركيولوجـي والتاريخـي للعـام 1868م، يقـول فنسـان فوريسـت وإيميـل غريمـو (Forest & Grimaud, 1868: 228, 231) إن "كوركـورا، كركـوك الحاليـة، تقـع في بلـد يضـم هـذه المدينـة الشـهيرة الخربـة، وهـذا البلـد هـو كوردسـتان". ويبـين في محـل آخـر أن "كركـوك مدينـة في تركيـا الآسـيوية في كوردسـتان السـفلى وهـي عاصمـة إيالـة شـهرزور"[6] .

1 Kerkouk/Kirkook, A city of Kurdistan, the capital district, […] It stands on an eminence which is nearly perpendicular on all sides, and is surrounded by a mud wall with towers. On the north there are a number of springs that produce an un-exhaustible supply of naphtha.

2 Kirkuk in Nieder Kurdistan liegt grösstheils auf einem Berge, dessen gipfel und Seitenwände durch Mauern und Thürme festigt sind.

3 Kerkuk, évâché du Kurdistan.

4 Kerkouk (Demetrias, Strab; Corcura, Ptol.), a large town of Asiatic Turkey, in Lower Kurdistan, cap. Sandjak.

5 Kurdistan - The commerce with Kerkuk, which is the chief market for the produce of Kurdistan, is very active.

6 Cor-cura, aujourd'hui Kerkouk, dans le nom du pays qui enclot ces ruines célèbres, le Kordistan. […] Kerk-

ويصف المعجم الكوني التاريخي والجغرافي، 1869م، بقلم بويي (Bouillet, 1869: 11) كركوك بأنها "كوركورا" الواقعة "في تركيا الآسيوية، في كوردستان"[1] .

أما ويليام فرنسيس أينسورث (Ainsworth, 1872: 11) الذي كانت له أبحاث سابقة حول الشرق الأوسط وكوردستان، ووضع خارطة طريق لسكة حديد في كوردستان، يتحدث في كتابه الموسوم "قطار الفرات"، في العام 1872م، عن طريقة ربط مدن ميسوبوتاميا وكوردستان ببعضها، ويذكر أن "أربيل وكويسنجق وكركوك تقع إلى الشرق من دجلة عند قدمات جبال كوردستان"[2] .

وفي موسوعة الهند والجنوب للتجارة والصناعة، 1873م، يشير إدورد بلفور (Balfour, 1873: 228) إلى نفط كركوك ويقول "نفط كركوك يُستهلك في أسواق جنوب – غرب كوردستان، لكن نفط كفري يذهب إلى بغداد وأطرافها"[3] .

وفي طبعة نيويورك 1880م، للموسوعة الإنجيلية، عندما يأتي مككلينتوك (McClintock, 1880: 135, 137) على ذكر موضوع كركوك يشير إلى مشاهدات بورتر ويقول: "يحلل بورتر آبار كركوك النفطية في كوردستان السفلى والتي ذكرها سترابو فيما مضى". وهو أيضاً يكرر المعلومات التي أوردها غيره ويقول "يستهلك نفط كركوك عموماً في أسواق جنوب - غرب كوردستان" [4].

وفي العام 1887م، في المعجم الحديث للجغرافيا الكونية، يقول لوي فيفيان دو سان مارتن (de Saint - Martin, 1887: 92) "كركوك مدينة كبيرة في كوردستان السفلى"[5] . وفي مجلة تبشير اليهود، يقول المبشر البريطاني أبستاين

Couk, ville de la Turquie d'Asie dans le bas Kurdistan, chef-lieu d'eyalet de Keresour.

1 Kerkouk, Corcura, v. de la Turquie d'Asie (Kourdistan)…

2 Arbil, Koj Sanjak and Kirkuk lie to the east of the valley of the Tigris, at the foot of the Kurdistan mountains.

3 The Kirkook naphtha is principally consumed by the markets in the south-west of Kurdistan, while the pits not far from Kufri supply Baghdad and its environs.

4 Porter thus describes the naphtha springs at Kirkuk in Lower Kurdistan, mentioned by Strabo. […] The Kirkuk naphtha is principally consumed by the markets in the southwest of Kurdistan, while the pits not far from Kufri supply Bagdad and its environs.

5 Kerkouk est la cité la plus considérable du bas Kurdistan.

(Epstien, 1893: 34) الـذي أوفـد إلى كوردسـتان في العـام 1893م، لتبشـير اليهـود بالديانـة المسـيحية، تحـت عنـوان مهمـة بغـداد: "كانـت جولتـي التبشـيرية الأخـيرة إلى كوردسـتان وحولـتُ كركـوك إلى مركـز للوعـظ الإنجيـلي" [1].

وفي المجلـد الرابـع عـشر مـن طبعة العـام 1894م للموسـوعة البريطانيـة، اختصار سـمرفيل (Sommerville, 1894: 51)، تـرد معلومـات عـن التجـارة والمعـادن في كركـوك، وتـرد معلومـات مثـيرة عـن سـكانها، حيـث جـاء في هـذا المصـدر مـا يـأتي: "كان الاسـم الرسـمي لكركـوك هـو شـهرزور. ويـتراوح عـدد سـكانها بـين 12000 و 15000 نسـمة، غالبيتهـم كـورد مسـلمون ويوجـد أسـفل قلعتهـا حـي يهـودي"[2] .

1 Last missionary journey I undertook was to Kurdistan, making Kerkouk our | centre for preaching the Gospel.

2 The official designation of Kerkúk is Shahr Zul. The inhabitants, from twelve to fifteen thousand in number, are chiefly Mohammedan Kurds; there is a Jewish quarter beneath the citadel.

الاستنتاجات

هـذا البحـث الكرونولوجـي المقتضـب عـن كركـوك في الصحائـف الغربيـة، يبـين أن كركـوك شـهدت مـن الناحيـة السياسـية تغيـرات جذريـة. فالهويـة الجغرافيـة السياسـية لكركـوك تتغـير منـذ تهميـش وإضعـاف الإمـارات الكورديـة في أواخـر القـرن السـابع عـشر. وتبـين هـذه المصـادر أن كركـوك كانـت جـزءاً مـن إمـارة قلاجـوالان وشـهرزور، لكـن السـلطات العثمانيـة اجتـزأت كركـوك مـن تلـك الإمارات عنـوة. كـما يتبـين مـن هـذه المصـادر أن غالبيـة سـكان كركـوك كانـوا مـن الكـورد وأنهـم تعرضـوا بعـد سـقوط الدولـة العثمانيـة وقيـام الدولـة العراقيـة الحديثـة لتغيـير ديموغـرافي عـرف بالتعريـب.

والـذي يهـم هنـا، هـو أنـه بالرغـم مـن أن شـعوب المنطقـة وربمـا الكـورد أيضـاً نسـوا الهويـة الكوردسـتانية والجغرافيـا السياسـية لكركـوك، إلا أن الوثائـق والمصـادر تتحـدث عـن كوردسـتانية كركـوك مـن الناحيتـين السياسـية والديموغرافيـة.

الأبحـاث الخاصـة بمـاضي كركـوك عـن طريـق الوثائـق والمصـادر الغربيـة قليلـة، لكـن هـذا البحـث القصـير قـد يكـون بدايـة لأبحـاث أخـرى أشـمل وأعمـق في المسـتقبل.

المراجع

- Académie des inscriptions et belles - lettres. (1773) Mémoires de littérature, Académie royale des inscriptions et belles lettres. Vol 59. Paris: C. Panckouke.

- Ainsworth, William Francis. (1872). The Euphrates Valley Railway. London: Adams and Francis.

- Balbi, Adriano (1850). Handbuch der Erdbeschreibung, Volym 2. Braunschweig: G. C. E. Meyer.

- Balfour, Edward. (1873). Cyclopædia of India and of Eastern and Southern Asia, Commercial, industrial and Scientific: Products of the Mineral, Vegetable and Animal Kingdoms, Useful Arts and Manufactures, Vol III. Madras: Scottish and Lawrence Presses.

- Beck, Christian Daniel. (1822). Allgemeines repertorium der literatur, vol III. Leipzig: Carl Cnobloch.

- Bouillet, Marie Nicolas. (1869). Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, Vol I, Paris : Hachette

- Bourguignon, J. B. (1786). Atlas moderne portatif. Paris: Laporte.

- Braconnier, Édouard. (1845). Application de la géographie à l'histoire, vol I. Paris: Simon.

- Brewster, David. (1830). The Edinburgh encyclopaedia, Vol VII. Edinburgh: Joseph & Edward Parker.

- Brookes, Richard. (1820). The general gazetteer: or, Compendious geographical dictionary. London: Bumpus.

- Chancellor, L., Russell, J., Tooke, W. (1835). Penny Cyclopaedia of the Society for the Diffusion of Useful Knowledge, Vol III. London: Charles Knight.

- Cortambert, Eugène. (1856). Leçons de géographie. Paris: Librairie de l'Hachette et C.

- Cortambert, Eugène. (1838). Traité élémentaire de géographie. Paris: Bureau de la Bibiliothèque Eccléssiastique.

- Cortambert, Eugène. (1840). Leçon de Gégraphie. Paris: L. Hachette.

- D'Omalius D'Halloy, Jean Julien. (1840). Notion Élémantaires de Statistique. Bruxelles: Libraire Encyclopédique de Périchon.

- D'Anville, Jean Baptiste Bourguignon. (1773). Mémoires de littérature de Académie royale des inscriptions et belles lettres, Vol 59. Paris: Pancoucke.

- D'Anville, Jean Baptiste Bourguignon. (1773). Atlas Moderne Portatif. Paris: Laporte.

- de Marsy, François - Marie. (1766). Histoire moderne des chinois, des japonais, des indiens, des persans, des Turcs, des Russiens, etc. Vol 8. Paris: Sailant & Nyon et Desaint.

- Delamarche, Charles - François. (1799). Les usages le la sphère: et des globes céleste et terrestre. Paris: College de Cervais.

- Dufresnoy, Nicolas. L. (1768). Méthode pour étudier la géographie, Vol VII. Paris: Rollin & De Bure.

- Eppstein, J. M. (1893). The Bagdad Mission, Jewish Missionary Intelligence, vol 9. London: Jewish

Converts Institution.

- Fick, Johan Christian. (1817). Geographisch - statistische beschreibung aller staaten und nationen der erde. Nürnberg: Friedrich Kampe.

- Forest, Vincent & Grimaud, Émile. (1868). Bulletin, Société archéologique et historique de Nantes et de Loire - Atlantique, Vol VIII. Nantes : Guéraud et Civ, Imprimerie - Librarie.

- Goschler, Johann & Wetzer Heinrich Joseph & Velte, Benedikt. (1865). Dictionnaire encyclopédique de la théologie catholique, Vol XXIV. Paris: Gaume frères et J. Duprey.

- Grandperret, Claude - Louis. (1834). Traité Classique de Géographie contenant la Géographie Naturelle et la Géographie Politique, Vol II. Paris: Auguste Delalain.

- Guthrie, William. (1839). Géographie universelle, physique, politique et historique, Vol3. Paris : Hyacinthe Langlois.

- Hager, Johan Georg. (1747). Ausführliche Geographie: Von Dänemark, Norwegen, Schweden, Preußen, Pohlen, Ungarn, der europäischen Türkey, Rußland, Asien, Afrika, Amerika und von den unbekannten Ländern, Vol 3, Chemnitz: Johann Christoph und Johann David Stößel.

- Haidinger, Wilhelm. (1848). Bericht über die Mittheilungen von Freunden der Naturwissenschaften in Wien. Wien: Braumüller und Seidel.

- Hammer - Purgstall, Joseph von & Hellert, J.J. (1852). Histoire de l'Empire ottoman: depuis son origine jusqu'à nos jours, Vol IX. Paris: Bellizard Barthès, Dufour & Lowell.

- La Crois, François Pétis. (1722). Histoire De Timur - Bec, Connu Sous Le Nom Du Grand Tamerlan, Empereur des Mogols & Tartares: en forme de journal historique de ses victoires & conquetes dans l'Asie & dans l'Europe par Cherefeddin Ali natif D'Yezd. Paris : Robert - Marc D'Espilly.

- Hübner, R. (1745). Vollständige Geographie: Von Dänemarck, Norwegen, Schweden, Preußen, Polen, Rußland, Ungarn, Türckey, Asia, Africa, America und von den unbekannten Ländern. Vol 2. Hamburg: Conrad König.

- Kenny, William Stopford. (1856). Kenny's school Geography; or, Earth and Heaven.London: Thomas Allman and Son.

- Kilian, A. J. (1825). Dictionnaire géographique universel, Vol II. Paris: Les Éditeurs.

- Kinneir, John McDonald. (1813). A Geographical Memoir of the Persian Empire. London: John Murray.

- Knight, Charles. (1854). The English cyclopædia: a new dictionary of Universal Knowledge, Vol V. New York: D. Appleton and Company.

- Knight, Charles. (1867). The English Cyclopaedia: Geography, Vol III, London: Bradbury, Evans.

- Krause, Johan. Heinrich. (1863). Deinokrates, oder, Hütte, Haus und Palast, Dorf, Stadt und Residenz der alten Welt. Vienna: Verlag von Freidr. Mauke.

- Landman, Georg (1835). A universal gazetteer; or, Geographical dictionary of the world. London: Orme.

- Luca de, Ferdinando. (1843). Instituzione Elementari di Geografia. Napoli: Stamperia e Cartiere del Fibreno.

- Mac Carthy, J. (1824). Nouveau Dictionnaire Géographique Universel. Paris: L'Auteur.

- Macgregor, John. (1843). Commercial Tariffs And Regulations Of The Several States Of Europe And America. London: Charles Whiting, Beaufort House, Strand.

- Malisset d'Hertereau, , J. B. A. (1785). La parfaite intelligence du commerce, vol I. Paris: Lami & Deville.

- Malte - Brun, Conrad & Mentelle, Edme. (1803). Géographie Mathématique, Physique et Politique de Toutes les Parties du Monde, Vol X. Paris : H. Tardieu & Laporte.

- Malte - Brun, Conrad & Mentelle, Edme. (1827). Universal geography: or A description of all parts of the world, Vol I. Philadelphia: Anthony Finley.

- Marshall, John. (1832). A new universal gazetteer, containing a description of the principal nations. New York: Joseph P Mott.

- Mathieu, Henri. (1857). La Turquie et ses différents peuples, vol II. Paris: Typ. Morris et Comp.

- Maunder; Samuel. (1840). The etymological compendium: Treasury of Knowledge, part II. London: Longman, Orme, Brown, Green, & Longmans

- McClintock, John. (1880). Cyclopaedia of Biblical, Theological, and Ecclesiastical Literature, vol 9 Rh - St, New York: Harper.

- McCulloch, John Ramsay. (1849). A dictionary, Geographical, Statistical, and Historical of countries, places and principal natural objects in the world, Vol II. New York: Longman, Green, Longman, and Roberts.

- McCulloch, John. Ramsay. (1866). A dictionary, geographical, statistical, and historical, vol III, London: Longmans, Green and Company.

- Mentelle, Edme. (1804). Cours complet de cosmographie, de géographie, de chronologie et d'histoire. Paris: Bernard.

- Miles, John. R. (1846). A dictionary of scripture geography. Manchester: Johnson and Son.Mornand, Joubert. (1854). Tableau historique, politique et pittoresque de la Turquie et de la Russie. Paris: Paulin et le Chevalier.

- Morse, Jedidiah & Morse, Richard. (1821). A new universal gazetteer. New - Haven: Sherman Converse & Silas Andrus.

- Morse, Jedidiah & Parish, Elija. (1808). A New Gazetter of the Eastern Continent; or a Geographical Dictionary. Boston: Thomas & Andrews.

- La Croix, Louis - Antoine. (1769). Géographie Moderne, Vol II. Paris: Jean - Thomas Herissant.

- Olivier, G. A. (1801). Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse, vol IV. Paris:H. Agasse.

- Otter, Jean. (1748). Voyage en Turquie et en Perse. Avec une Relation des expéditions de Tahmas Kouli - Khan, Vol I. Paris: Freres Guerin.

- Pagnozzi, G. R.. (1882). Geografia Moderna Universale Ovvero Descrizione Fisica, Statistica, Topografica. Firenze:Vincenzo Batelli.

- Pierer, Heinrich August. (1860). Pierer's Universal - Lexikon der Vergangenheit und Gegenwart, Vol IX. Altenburg: Verlagsbuchhandlung von Pierer.

- Porter, Ker Robert. (1822). Travels in Georgia, Persia, Armenia, ancient Babylonia, Vol II. London: Longman, Hurst, Rees, Orme, and Brown.

- Poujoulat, Baptistin. (1853). Histoire de Constantinople, comprenant le Bas - Empire et l'Empire Ottoman, vol II. Paris: Amyot.

- Rees, Abraham. (1819). The Cyclopædia: Or, Universal Dictionary of Arts, Sciences, and Literature, Vol 39. London : Longman, Hurst, Rees, Orme & Brown.

- Reitmeir, Guiseppe Stefano. (1821). Compendio di geografia moderna ad uso della gioventù. Napoli: Nella Stamperia di Gennaro Reale.

- Rennell, James. (1830). The geography system of Herodotus examined and explained, by a comparison, Vol I. London: C. J. G. & F. Rivington.

- Ritter, Carl. (1841). Die Erdkunde im Verhältniss zur Natur und zur Geschichte des Menschen, Vol I. Berlin: S. Reimer

- Royo, José Manuel. (1861). Nueva jeografía universal. Madrid: Garnier Hermanos.

- Rühs, Friedrich & Spiker, Samuel Heinrich. (1814). Zeitschrift für die neueste Geschichte die Staaten - und Völkerkunde, Vol I. Berlin: Realschulbuchhandlung.

- Saint - Martin de, M.Vivien.(1878). L'Année géographique, Issues 15 - 16. Paris: Lahure.

- Saint - Martin de, Louis Vivien . (1887). Nouveau dictionnaire de géographie universelle. Vol III. Paris: Libraire Hachet Cie.

- Silliman, Benjamin et al. (1839). The American journal of science, Vol 37, no 2. New Haven: B. L. Hamlen.

- Smet de, J.J. (1842). Nouvelle Géographie Elémentaire. Bruxel : Gand.

- Sommerville, Maxwell. (1894). Encyclopedia Britannica, vol XIV. Philadelphia: Sherman & Co.

- Sternschuss, P. H. (1848). Journey to Kerkuk, Jewish Missionary intelligence. Vol XIV. London: London Society House.

- Thacker, William. (1823). The Oriental magazine, and Calcutta review, Vol I. Calcutta: St. Andrew's Library.

- Wahlen, Auguste & van Beveren Jacques Joseph. (1843). Moeurs, usages et costumes de tous les peuples du monde, Vol II. Bruxelles: Librairie Historique - Artistique.

- Wilkes, John. (1812). Encyclopædia Londinensis, Vol XI. London: Adlard.

- William Guthrie, Langlois. (1819). Abrégé de la Nouvelle Géographie Universelle, Vol II. Paris: Langlois.

- Wright, Thomas. (1862). The royal dictionary - cyclopædia, for universal reference, vol III. London: London Printing and Publishing Company.

مراجع كوردستانية كركوك
نظرة تاريخية

أ. م. د. عثمان علي[1]

كركـوك واحـدة مـن المـدن التاريخيـة في هـذه المنطقـة، وقـد اسـتمرت فيهـا الحيـاة عـلى مـدى أربعـة إلى خمسـة آلاف سـنة، وكانـت لهـا أسـماء مختلفـة عـلى مـر العصـور. واسـمها الحـالي ظهـر في أواخـر القـرون الوسـطى. والـذي يهـم تاريخيـاً هـو أن كركـوك في كل الحقـب التاريخيـة التـي عرفـت عنهـا، كانـت جـزءاً مـن المجتمـع الكـوردي أو مـن المنطقـة التـي نعيـش فيهـا الآن والتـي تعـرف بكوردسـتان. كانـت كركـوك تشـكل جـزءاً مـن جميـع السـلطات والإمبراطوريـات التـي ظهـرت في المنطقـة وسـيطرت عـلى كل كوردسـتان. ودون أن يخـوض المـرء في التفاصيـل، فقـد كانـت كركـوك، حتـى في فـترة حكـم الإمـارات، خاضعـة لسـلطة إمـارة بابـان أو جـزءاً مـن إمـارة أردلان.

ومـع وجـود الكثـير مـن الأدلـة والوثائـق المختلفـة التـي تثبـت كوردسـتانية كركـوك، نجـد كلاً مـن الأخـوة العـرب والتركـمان، ولأهـداف سياسـية، يريـدُ نفـيَ كوردسـتانية هـذه المدينـة. وفي هـذه الحـال، لا بـدّ مـن ردّ علمـي وتاريخـي عـلى

1 أستاذ مساعد في قسم التاريخ في جامعة صلاح الدين، وجامعة ساكاريا- تركيا. نال الدكتوراه في جامعة تورنتو- كندا.

أولئـك، وعـلى هـذه التسـاؤلات: مـن الـذي عـاش عـلى هـذه الأرض عـلى مـدار التاريـخ؟ مـا هـي القوميـة الأقـدم عـلى هـذه الأرض؟ متـى جـاء الأخـوة العـرب والتركـمان إليهـا؟ مـاذا يقـول الرحالـة والكتّـاب الأجانـب عـن هـذه المدينـة؟ مـن الـذي حكـم هـذه المدينـة ومـن يشـكل الأغلبيـة ولمـن تتبـع هـذه الأرض؟

في معـرض السـعي للإجابـة عـلى هـذه التسـاؤلات مـن خـلال هـذا البحـث، مـن الـضروري كخطـوة أولى حسـم مسـألة تسـمية مدينـة كركـوك بهـذا الاسـم. ثـم وكخطـوة ثانيـة، سنشـير إلى التاريـخ القديـم للكـورد في هـذه المنطقـة. وفي الخطـوة الثالثـة سـنتطرق إلى تاريـخ مجـيء العـرب والتركـمان إلى ميسـوبوتاميا عمومـاً وإلى أرض كركـوك بصـورة خاصـة.

مدينة كركوك من حيث التسمية

زار الباحـث الآثـاري، أوسـتن لايـارد، كوردسـتان في القـرن التاسـع عـشر الميـلادي، ويقـول: "هاجـم الملـك الآشـوري سـنحاريب قـرى ومـدن شـمال نهـر بـلاد مـا بـين النهريـن واسـتطاع أن يفـرض سـيطرته عـلى المنطقـة، واسـتقر في مدينـة أربخـا وشـيد فيهـا قـصراً لإدارة شـؤون المدينـة، وكان هـذا الحاكـم آشـورياً" [1]. وهـذه إشـارة إلى أن سـكان مدينـة أربخـا كانـوا يعرفـون منـذ القـدم بالجبليـين. وهـذه إشـارة إلى أن الجـد الأكـبر لهـذه المنطقـة كـوردي، وأن هـذه المدينـة كانـت قائمـة حتـى قبـل ظهـور الآشـوريين.

يشـير بعـض الأدلـة التاريخيـة إلى أن سـكان هـذه المدينـة أحفـاد للكوتيـين. ومـع ذلـك تشـير الأبحـاث الأركيولوجيـة إلى أن هـذه المنطقـة كانـت تعـرف باسـم أربخـا أو آرفـا، وهـذه الحقيقـة أوردهـا الآثـاري سـس سـتريك في دائـرة المعـارف الإسـلامية

1 Layard, Austen Henry, Sir, 1817-1894.Discoveries in the ruins of Nineveh and Babylon; with travels in Armenia،
Kurdistan and the desert: being the result of a second expedition undertaken for the Trustees of the British Museum. New york, Harper publishers , 1873 , p.120, by Layard, Austen Henry, Sir, 1817-1894.

بخصوص كركوك، حيث يشير إلى مدينة أربخا (كركوك الحالية). كذلك يشير كل من سدني سميث (Sidney Smith) وأج غاد (H. Gadd) بشأن كركوك إلى أن مدينة كركوك هي المدينة المعروفة تاريخياً بـ"أرابخا" [1]. وفي عصر البابليين أشير إلى هذه المدينة باسم (آميخة).

ونعلم أيضاً بأن العلماء البريطانيين، وخاصة إدوارد شيري ورفاقه الذين قاموا، في العام 1925م، بحفريات وتنقيب عن الألواح التاريخية، يدرجون مدينة كركوك ضمن مجموعة نوزي في قرية يوغان تبة (تركَلان) التي تقع على مسافة عشرة أميال جنوب غرب كركوك. وهذه الألواح تظهر أن اللهجة التي كان يتكلم بها شعب أرابخا قريبة من لهجات شعوب شمال نهر دجلة كالكوتيين والحوريين والميتانيين[2] . ويرى المؤرخون بصورة عامة أن هؤلاء الجبليين هم أسلاف الكورد وأن الكورد أنفسهم هم الذين كانوا يعيشون في هذه المنطقة (كركوك) [3].

كما أن الاسم القديم لكركوك هو اسم أحد آلهة الآشوريين. وفي عصر بارني، يتحدث الكاتب بطليموس عن كوركورا/ كور كورا (باليونانية القديمة Κόρκυρ) وهذه الإشارات كلها هي إلى اسم كركوك. أو إلى منطقة باباكركر التي تقع على مسافة خمسة كيلومترات فقط من مركز مدينة كركوك. وفي عصر السلوقيين كانت تعرف باسم (كردخاي بيت سلوق) وهي تسمية باللغة الآرامية تعني: (قلعة السلوقيين) وتقع بين النهرين. وكانت الآرامية في تلك الفترة لغة التفاهم بين شمال العراق وبلاد الشام [4].

تعرف منطقة كركوك في المصادر التاريخية، وخاصة المصادر التاريخية الآرامية

1 LES CONTRATS DE KERKOUK AU MUSÉE BRITANNIQUE ET AU MUSÉE DE L 'IRAK. C. J. Gadd. Tablets from Kirkuk. (Extrait de la Revue cTAssyriologie el ... publiée par V. Scheil en 1925 (Rev. d'Assyr, XXII. 143).

2 C. J. Gadd, "Tablets from Kirkuk", royal Asiatic society (RA) XXIII (1926) 49-161.

3 Gernot Wilhelm, THE HURRIANS, translated from German by, JENNIFER BARNES, with a chapter by DIANA L. STEIN Aris & Phillips Ltd- Warminster- England. 1989 p.59.

4 مدينة كركوك كوردية بالمراجع والوثائق/ piv one – أغاني https://www.piv.one/vb/t30821.html…mp3

الشرقية والسريانية والآشورية باسم (بيت غرماي) بالسريانية (ܒܝܬ ܓܪܡܐ) أو "بيث غارماي" أو "بيت غارم". وأصل الكلمة بالسريانية يعني (بيت العَظَمة). في الفترة (226 - 150 ق.م) كان اسم كركوك آرخيا، ديث سلوخ وكانت عاصمة غارما. وفي فترة الحكم الساساني (226 - 651م) كانت مدينة كركوك تعرف باسم مدينة الغارما. وقد أشارت المصادر السريانية إلى اسم بيت غارما. وهي تضم مدينة كركوك والتي عرفت أيضاً باسم كردخا. وجاء في باب سيلخ حيث بنى الملك سيليوكوس الأول (حوالى 280 - 225 ق.م) برجاً داخل القلعة. وفي فترة حكم الساسانيين كانت المدينة مركزاً للنسطوريين. وكان الملك السلوقي الأول يسكن في مدينة كارمايا.

في عهد شهبور الثاني (279 - 310م) وفي عهد يزدجرد الثاني، قتل الآلاف من المسيحيين النساطرة في المدينة. وبعدها تحسنت أوضاع المسيحيين، عندما أصبح أحدهم مستشاراً لخسرو الثاني (591 - 628م)، وبعد ذلك عُرفت مدينةُ هذا المستشار (يازدين) بمدينة كرخي يازدين[1] .

كما تبيّن للكتاب العرب من خلال المصادر السريانية أن إقليم بيت غارما كان يضم مدينة اسمها كارخينا، ويمكن الجزم إلى حد بعيد بأن المقصود من اسم كارخينا هو مدينة كركوك.

ونقل الاستاذ عوني الداودي عن توفيق وهبي أن كركوك مدينة قديمة وأن واحدة من الكتابات المسمارية في مدينة أربيل تزودنا بمعلومات خاصة من التقويم الجغرافي المعروف عن سرجون الأكدي (2530 - 2473 ق.م). ويورد التقويم المذكور كلمة بلاد أربخ التي تعني مدينة كركوك[2] . وجاءت كلمة أرابخا في كتاب (فاتحة انتشار المسيحية في إمبراطورية الإيرانيين، "ميسوبوتاميا وإيران"، 100 - 537) بمعنى مدينة كركوك.

1 Kramers، J.H. “Kirkuk”.

2 عوني الداودي: "كركوك، المدينة الضاحكة بالنار والنور"، http://cabinet.gov.krd/articles/detail.asp?lngnr=14&sma-p=01010400&rnr=84&anr=514

يشير الدكتور شاكر خصباك في كتابه (العراق الشمالي) إلى أن: السومريين ثم الأكديين ومن بعدهم الحكام الكوتيون اتخذوا من مدينة أرابخا، التي تقع بالقرب من مدينة كركوك الحالية، عاصمة لهم. كما يذكر الدكتور شاكر خصباك في كتاب (الكورد والمسألة الكوردية)[1] ، أن هذا الاسم الذي يدل على كركوك الحالية، وردَ للمرة الأولى في عهد التيموريين في مؤلف شرف الدين علي اليزدي (ظفرنامة) الذي تم تأليفه في حوالى (1424 - 1425م)[2] .

ويتبين من خلال قراءة تاريخ هذه المدينة (أرابخا)[3] أنها بنيت من قبل الكوتيين. فقد جاء في السجلات التاريخية للملك الآشوري تكلت - نزت الأول (1218 - 1255 ق.م) أنه هو الذي استولى على بلاد أرابخا . لكن العالم اللغوي، مصطفى جواد، الذي يحاول التطرق إلى تاريخ كركوك من الناحية اللغوية، يقول: "الأسماء التي أُطلقت على كركوك، كرخيني أو كارخاني أو كارخين، لا تدلنا على شيء من تاريخها إلى اليوم، مثل الكثير من بلاد العالم التي لايزال تاريخها مجهولاً، ويجب توفير فرصة لتبديد عدم الوضوح هذا من خلال إنجاز أركيولوجي أو بيانات جديدة"، لكن كافة الآراء القائمة إلى الآن خاطئة، لأنها تلعب على حروف الكلمات، فتارة يسمونها كرخ سلوقا، وأخرى كرخا بيت سلوق (مدينة السلوقيين). وعلى هؤلاء الذين يعملون بناءاً على هذه الفكرة أن يتحدثوا عن كركوك نفسها بدقة وبموضوعية ولا يخدعوا أنفسهم بتشابهٍ بين بعض أسماء"[4] .

ولهذا يعود مصطفى جواد ليقول: "ليست ثم علاقة بين كرخ وكرخ سلوقي، ومدينة كرخيني مدينة قائمة بذاتها تشمل مدينة كركوك نفسها. وهناك أيضاً

1 كذلك الدكتور شاكر خصباك في "الكورد والمسألة الكوردية" ص51، ط2، بيروت 1959.

2 جبار قادر، "كركوك، تاريخ عريق وواقع مرير". http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=46585 الحوار المتمدن- العدد 1331 – 28/9/2005 – 13:53. المحور: القومية، المسألة القومية، حقوق الأقليات وحق تقرير المصير.

3 عوني الداودي – كركوك – المدينة الضاحكة بالنار والنور. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2157

4 كركوك في التاريخ – www.mesopot.com/old/adad5/74.htm – mesopot.com
كركوك في التاريخ، د. مصطفى جواد/ بغداد – كركوك

كتّـاب يشـيرون إلى كلمتـي بابـة وكوركـور، الكلمـة التـي أشـار إليهـا بطليمـوس والتـي تعنـي بالتركيـة النـور والنـار. وكلمـة بابـة كوركـور هـذه لم تسـتخدم أبـداً قبـل مجـيء العثمانيـين، لأن كلمـة بابـة بالتركيـة تعنـي أب. وكوركـور بالتركيـة تعنـي النـور والنـار".

الـذي نفهمـه نحـن مـن تسـمية باباكوركـور هـو أنهـا اسـم لإنسـان ولا علاقـة لهـا بزمـن الآشـوريين. كـما أن هـذا الاسـم ظهـر قبـل أربعمائـة سـنة مـن الآن فقـط[1].

أول اسـتخدام لكلمـة كركـوك كإسـم، جـاء في القـرن التاسـع الهجـري (الخامـس عـشر الميـلادي) مـن قبـل الـ"قـرة قوينلـو". وأول كتـاب ظهـر فيـه هـذا الاسـم هـو "ظفرنامـة" الـذي كتـب باللغـة الفارسـية في العـام 1393م[2] ، الـذي يـروي قصـة هجـوم تيمورلنـك عـلى مدينـة كركـوك، كان ذلـك أول ذكـر لاسـم كركـوك في كتـاب. وعـن الاسـم، يقـول البعـض إن كركـوك كلمـة آريـة تعنـي "القلعـة"، لكـن إضافـة لاحقـة إليهـا غيّرهـا لتثبـت عـلى "كركـوك"، ويقـول البعـض أن كلمـة كركـوك جـاءت مـن "كار كـوك"، لكـن الكلمتـين دمجتـا مـع مـرور الزمـن وكانـت النتيجـة ثبـوت اسـم "كركـوك" [3].

ولحسـم مسـألة الاسـم، يمكننـا القـول بـأن أرابخـا هـو الاسـم القديـم لكركـوك، وتسـمية كرخـين في العـصر الإسـلامي السـابق لظهـور قـرة قوينلـو أطلقـت عـلى مدينـة في إقليـم كرمـكان (باجرمـي) الـذي يبـدو بأنـه كركـوك.

1 عوني الداودي "كركوك" المدينة الضاحكة بالنار والنور".
http://cabinet.gov.krd/articles/detail.asp?lngnr=14&smap=01010400&rnr=84&anr=5 14

2 G. Le Strange، The Lands of the Eastern Caliphate. Mesopotamia، Persia، and Central Asia from the Moslem conquest to the time of Timur، (Cambridge: Cambridge University Press، 1905)، 92 note 1.

3 Kramers، J.H. ، Kirkuk ، Encyclopdeia of Islam ، 2nd Ed. http://referenceworks.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/kirkuk-SIM_4390?s.num=0&s.rows=20&s.f.s2_parent=s.f.book.encyclopaedia-of-islam-2&s. q=Kirkuk.

كركوك في العصور التاريخية القديمة:

كركـوك هـي واحـدة مـن مـدن الـشرق الأوسـط القديمـة، وكانـت منـذ القـدم مركـزاً تجاريـاً هامـاً. ومـع أن هنـاك الكثـير مـن الآراء المختلفـة المتعلقـة بتاريـخ نشـوء هـذه المدينـة وبنـاء قلعتهـا، إلا أن أغلـب المعلومـات يبـين أن قلعة كركوك شـيدت بـين العامين (4500 - 3500 ق.م). وهنـاك إشـارة واضحـة، في النصـوص التـي عـثر عليهـا في نـوزي، إلى أن الكوتيـين كانـوا مـن قدمـاء سـكان كركـوك الحاليـة والمناطق المحيطـة بهـا. والكوتيون فـرع مـن قدمـاء سـكان كوردسـتان وكان لهـم دور كبـير في بنـاء مدينـة كركـوك [1]. وهناك إجـماع بـين المؤرخـين عـلى أن هـؤلاء القـوم مـن الكـورد. وربمـا كانـت السـطور القليلة في أعـلاه إشـارة واضحـة إلى كوردسـتانية هـذه المدينـة.

كان الأرابخيـون (سـكان كركـوك) في أيـام تعاظـم نفـوذ الكوتيـين، يحكمـون سـومر وأكـد لأكـثر ن قـرن مـن الزمـان: أي في 2116 ق.م. ولهـذا، وكـما توضـح لنـا سـجلات (بوغـاز كويـي) حـاول الملـك الحـوري كيكلـب أتـل (2230 - 2116 ق.م) مـن أطـراف نهـر الخابـور، الـذي كان يقيـم في عاصمتـه القريبـة مـن عامودا في شـمال سـوريا، توسـيع منطقـة نفـوذ مملكتـه. وسـجلت هـذه المحـاولات مـن قبـل (أتـل - شـين) عـلى قطعـة مـن البرونـز عـثر عليهـا في أسـس معبـد نـزكال في بـلاد سـومر. هـذه القطعة التـي كتبت بالخـط المسـماري وباللغـة الأكديـة، تقـول: "أتـل - شـين ابـن أيـن شـترمات ملـك بـلاد أوركيـش ونـاواز التـي تضـم كل الأراضي الواقعـة بـين نهـري خابـور وديـالى"[2] .

بعـد سـقوط نينـوى على يـد الميديـين في العـام 612 ق.م، باتت المناطـق الواقعة شرق دجلـة وشـمالها ضمـن سـلطة الميديـين. وهـذا يضـم كركـوك وأربيـل والمناطـق التابعـة لهـما[3] .

1 كوران إبراهيم صالح، كركوك في العهد العثماني بين العامين 1909-1876م، الص 18-17.

2 جمال رشيد، تاريخ كركوك القديم، موكريان 2008، ص32.

3 كوران إبراهيم صالح، كركوك في العهد العثماني بين العامين 1909-1876م، ص 24.

بعد مجيء الأسكندر الكبير إلى هذه المناطق في العام 331 ق.م، اجتاز نهر الزاب الصغير واقترب من مصادر النفط في أربخا. ويشير الكاتب اليوناني بلوتارخ إلى أن الأسكندر الكبير توجه بعد معركة كوكاملا عن طريق أربخا إلى بابل. وفي طريقه قام بترميم قلعة كركوك [1].

كركوك في العصر الإسلامي

عن بدايات قدوم جيش الإسلام إلى كركوك، تُجمع كافة المصادر على أن العرب جاؤوا إلى كركوك في عهد عمر ابن الخطاب في العام 637م وقد تم فتح هذه المناطق على يد هاشم ابن عتبة ابن فرقد. ويشير البلاذري في (فتوح البلدان) إلى دور هاشم ابن عتبة وأشمس قيس الكندي[2] .

وعموماً يتزامن ظهور العرب والتركمان مع بدايات التاريخ الإسلامي حيث جاؤوا إلى المنطقة نتيجة لأحداث متنوعة. لكن الذي يهم هو: من الذي كان يعيش في كركوك وأطرافها قبل وصول هؤلاء إليها؟ لا شك أن الكورد كانوا هم السكان الأصليين.

ولهذا الغرض يمكننا أن نفيد من تاريخ عدد من الحضارات والدول المختلفة التي عاشت على أرض كوردستان، ويعتبرون أسلاف الكورد. مثل الدول السومرية، الكوتية، الميتانية، الميدية...إلخ. حتى عندما جاء جيش الإسلام لفتح المنطقة بصورة عامة، لا توجد إشارة إلى وجود العرب في هذه المنطقة، بل أن هذه المنطقة كانت تعرف بـ(إقليم الجبال) وكانت موطن الكورد[3].

ولعرض آراء الرحالة الجغرافيين بخصوص كركوك، نقتبس الآتي من كتاب (هوية كركوك) لمسعود عبدالخالق:

1 جمال رشيد، تاريخ كركوك القديم، موكريان 2008، ص 55.

2 1 فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، القاهرة 1957، ص 407، مقتبس من: بشكو حمة طاهر آغجلري، "مدينة كركوك بين العامين 1926-1917م"، ص 34.

3 للمزيد عن تاريخ حكام مدينة كركوك، أنظر: بشكو حمة طاهر آغجلري، كركوك بين العامين 1926-1917م، الص 42-21.

ا - رحالة العالم الإسلامي، ومنهم إبن بطوطة في كتاب (تحفة النضار في غرائب الأمصار - ص 208) يصف تلك المناطق بأنها مساكن الكورد، ويقول: "لما زرت أصفهان، كان الطريق يعج بخيام الكورد" .

ب - يقول القلقشندي في (نهاية الإرب في أنساب العرب): يوجد الكورد في عشرين موقعاً، منها بلاد كرخيني (كركوك) وداقوق.

ت - إبن حوقل (977)، ياقوت الحموي 1178م).

ج - إبن المهلهل، القزويني، أبو الفدا (732هـ = 1331م).

خ - إبن فضل العمري، إبن خلدون (1406م).

د - الأصطخري (346هـ = 957م).

كل هؤلاء أشاروا إلى الكورد في شمال جبل حمرين، ولم يذكروا العرب والتركمان.

الملاحظ في كتابات هؤلاء الرحالة من غير الكورد، هو أن جغرافيا كركوك كانت جزءاً من كوردستان، وكان الكورد غالبية سكان المنطقة على مدى العصر الإسلامي. لكن ذلك لا يعني نفي وجود أقوام أخرى في هذه المدينة ومحو كل أثر لهم. وحكمت هذه المنطقة شعوبٌ أخرى غير كوردية من تركمان وعرب، لكن مع ذلك لا يمكن أن يتخذوا من ذلك معياراً لحقهم ونفي حقوق الكورد. فلو أننا طبقنا هذا المنطق غير العلمي سيكون من حق العرب أن يقولوا بأن الأندلس وإسبانيا أراض عربية، لأن العرب حكموها فترة، أو أن نقول بأن إستانبول وأضنة ليستا مدينتين تركيتين لوجود كثير من الكورد يعيشون فيهما!

وعلينا أن لا ننسى بأن كركوك كانت جزءاً من الحكم الميدي. وبعد تحالفهم مع إمبراطورية بابل ضد الآشوريين، تمكنوا من احتلال مدينة الموصل، عاصمة الآشوريين، والقضاء على هذه الإمبراطورية القوية. وكان الميديون يسمون كركوك (كي هرك).

وبخصوص اسمها أيضاً، يورد ياقوت الحموي اسم كركوك بصيغة (كرخيني)، ويقول في وصف المدينة: مدينة مشيدة على تلة تغطي بعضاً من الأرض وبنيت عليها قلعة، وتقع بين داقوق وأربيل.

ومع ذلك، كشفت التنقيبات والتحقيقات عن لوحة تاريخية في قرية تركلان التابعة لكركوك وتبعد عشرة أميال عن المدينة، أنها كانت جزءاً من الحدود الجغرافية للكاشيين (الذين يقول بعض المؤرخين أنهم أسلاف الكورد) الذين استولوا على بابل في العام 1600ق.م.

باختصار، كركوك اسم تاريخي متأصل وكان جميع المؤرخين العرب والمسلمين يسمون المنطقة (باجرمي) أو (كرميك)، وكان الاسم قد تغير تدريجياً إلى كرخيني ثم إلى باجرمي.

وبعد أن أصبحت مناطق كوردستان، في فترات متفرقة، في النصف الأول من القرن السادس عشر أي بعد معركة جالديران في العام 1514م، جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، نظم العثمانيون أغلب هذه المناطق في ولاية اسمها ولاية شهرزور، حيث كان مركز الولاية أول الأمر في شهرزور وكانت عاصمة الإيالة أولاً في قلعة زَلْم، لكنهم نقلوها فيما بعد إلى كُولْعَنبر.

وفي أواخر القرن السادس عشر نقل العثمانيون عاصمة الولاية من كُولْعَنبر إلى كركوك. وبهذا باتت كركوك عاصمة إيالة شهرزور، ويعتبر هذا نقطة تحول هامة في تاريخ مدينة كركوك وإيالة شهرزور. والسبب في هذا التغيير كان قرب العاصمة القديمة للإيالة، أي كُولْعَنبر، من إيران، ما جعل المنطقة ساحة رئيسة للمعارك والعمليات العسكرية بين الدولتين العثمانية والصفوية. وبهذه النقلة تحولت مهمة هذه الإيالة، ومركزها كركوك، من المواجهة مع إيران إلى الإشراف على منطقة شهرزور الواسعة [1].

بقيت إيالة شهرزور حتى العام 1779م. حيث ضُمت بعد ذلك، مع البصرة، إلى ولاية بغداد. وفي فترة حكم سليمان باشا الكبير، أعيد في العام 1849م تشكيل

1 دكتور بختيار سعيد محمود شواني، كركوك وولاية شهرزور في العهد العثماني، http://www.gulan-media.com

إيالـة شـهرزور مـن ألويـة كركـوك والسـليمانية وروانـدز. وكانـت مدينـة كركـوك مركـز الولايـة، لكـن ذلـك لم يسـتمر، حيـث ضُمّـت منطقـة شـهرزور وكركـوك مـرة ثانيـة إلى ولايـة بغـداد.

وهكـذا يبـدو جليـاً أن ولايـة شـهرزور كانـت واحـدة مـن كـبرى الولايـات في النصـف الأول مـن القـرن السـابع عـشر[1] .

وبالرغـم مـن أن الدكتـور فاضـل بيـات يحـاول إثبـات أن كركـوك وأربيـل، لم تكونـا ضمـن ولايـة شـهرزور، لأن غالبيـة سـكان المدينـة مـن المكـون التركـماني. إلاّ أنّ المكاتبـات الإداريـة العثمانيـة وتاريـخ ولايـة شـهرزور يثبتـان عكـس مـا ذهـب إليـه. بـل لقـد كانـت ولايـة شـهرزور، بمـا فيهـا كركـوك، خاضعـة لفـترة طويلـة لسـلطة إمـارة بابـان، وقـد ورد اسـم شـهرزور وكركـوك في أغلـب الأحيـان معـاً، حيـث يقـول المسـتشرقان مينورسـكي وبـوزوورث في موضـوع خـاص بشـهرزور ضمـن دائـرة المعـارف الإسـلامية إن هـذه المنطقـة قبـل مجـيء الإسـلام كانـت جـزءاً تاريخيـاً وثقافيـاً وعرقيـاً مـن ولايـة كرمايـة (كركـوك).

ويقـولان بهـذا الخصـوص: في النهايـة لم يبـق لحكـم الأردلانيـين أثـر في شـهرزور، ومـذذاك أصبحـت شـهرزور جـزءاً مـن الحكـم البابـاني الـذي يسـتمد شرعيتـه مـن إسـتانبول، وقـام إبراهيـم باشـا بتوحيـد مناطـق أربيـل، كويسـنجق، شـهربازار، روانـدز، حريـر وكولعَنبر موسـعاً بذلـك إمـارة بابـان في كوردسـتان، والتـي كانـت يومهـا جـزءاً من ولايـة شـهرزور[2] .

وحسـب (قانونامـة) السـلطان سـليمان القانـوني التـي كانـت الدولـة العثمانيـة تحكـم العـراق بموجبهـا، كانـت كركـوك جـزءاً مـن ولايـة شـهرزور.

وفي أيـام حملـة السـلطان سـليمان القانـوني في العـام 1534م، والتـي كانـت تهدف إلى اسـتعادة بغـداد مـن الصفويـين، مـرّ السـلطان بكركـوك وأسـكن فيهـا عـدداً مـن العوائل

1 فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي - دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية/ مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007، الص 250-348.

2 1 . V. Minorsky-C.E. Bosworth, Shahrazūr, http://referenceworks.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/shahrazur-SIM_6772?s.num=17&s.q=+S%CC%B2h%CC%B2ahriz%C5%ABr.

التركيـة لتعزيـز الإدارة التركيـة فيهـا، وأوكل العثمانيـون منصـب رئيـس إدارة المدينـة إلى تلـك العوائـل (البابانية)[1] .

مـر الرحالـة العثـماني الشـهير أوليـا جلبـي، في العـام 1655م، بكوردسـتان، وعندمـا يـروي قصـة توجهـه مـن بغـداد صـوب كوردسـتان، يقـول في المبـدأ: "هـذا الدرويـش الفقـير، مـع يوسـف كتخـودا، في أرض كوردسـتان، يزودكـم بمعلومـات عـن شـهرزول: شـهرزول، لورسـتان، بـلاد العماديـة التـي مررنـا بهـا". الجديـر بالإشـارة أنـه عنـد الحديث عـن الأماكـن التـي زارهـا، يتحـدث عـن كل قلعـة ومدينـة كانـت عـلى طريقـه. أو يتحـدث عـن القـلاع القائمـة عـلى أرض كوردسـتان. وفي الصحيفـة 184 مـن مخطوطتـه يشـير إلى قلعـة كركـوك ويسـميها (كركـوك شـهرزور)[2] .

كانـت حـدود ولايـة شـهرزور التـي كان مركزهـا كركـوك، تمتـد مـن حـدود ولايـة بغـداد جنوبـاً إلى الموصـل وحكومـة العماديـة المتمثلـة في إمـارة العماديـة شـمالاً. وكانت هـكاري وآذربيجـان تقعـان إلى الشـمال وبـلاد فـارس إلى الـشرق مـن الولايـة. كانـت الولايـة تعـرف في بعـض الأحيـان بإيالـة كركـوك ولم يكـن عـدد سـناجق كركـوك يقـل عن عشريـن.

عـدد سـناجق هـذه الإيالـة التـي كانـت كركـوك عاصمتهـا، كان إلى ازديـاد. فهـا هـو الرحالـة الفرنـسي أوتـير الـذي زار كركـوك مرتـين في الفـترة (1735 - 1739م) يقـول: "كركـوك هـي عاصمـة شـهرزور التـي هـي جـزء مـن كوردسـتان، وتتكـون حكومـة شـهرزور مـن 32 سـنجقاً" [3].

كانـت هـذه الإيالـة أول الأمـر تابعـة لإيالـة لورسـتان، وبعـد فـترة قصـيرة اسـتقلت عنهـا ولم تكـن بـأي شـكل ضمـن سـلطة ولايـة بغـداد أو ولايـة الموصـل، بـل كانـت كسـائر الإيـالات الأخـرى في الدولـة العثمانيـة محكومـة مـن إسـتانبول وكان يعـين لهـا والٍ مـن هنـاك مبـاشرة. واسـتمر هـذا الوضـع بالنسـبة لإيالـة شـهرزور طـوال القرنـين

1 كوران إبراهيم صالح، كركوك في العهد العثماني بين العامين 1909-2876م، الص 33-32.

2 أنظـر: نـص مخطوطـة أوليـا جلبـي، المجلـد الرابـع، ص 184. د. بختيـار سـعيد محمـود شـواني: كركـوك وولايـة شـهرزور في العهـد العثـماني، http://www.gulan-media.com

3 بيات، الص 349-148.

السادس عشر والسابع عشر. وفي نهاية القرن السابع عشر أصبحت كركوك من جديد معتركاً للأحداث نتيجة تعاظم قوة إمارة بابان، بفضل أحد أقوى أمرائها، سليمان باشا ببة.

فقد تمكن سليمان باشا ببة من ضم بعض سناجق كركوك إلى إمارته، ومنها: درنة، زنكنة، حرير، كويسنجق، أربيل وقرة داخ. بل أن الأمير البابانى تمكن من قتل والي شهرزور المدعو دلاور باشا. وكان هذا الأمير البابانى قد فكّر في السيطرة على مدينة كركوك، بعد أن سيطر على منطقة شهرزور في العام 1689م، إلاّ أنّ والي شهرزور، دلاور باشا، حاول التصدي لرغبة أمير بابان، فكان أن قتله سليمان ببة في السنة التالية. وهكذا دخلت كركوك ضمن دائرة سلطة أمير بابان. وردّاً على هذا التطور عيّنت إستانبول والي بغداد، حسن باشا، متسلماً على كركوك. وكانت تهدف بذلك إلى إعادة الاستقرار إلى المنطقة. لكن التعاون بين الدولتين العثمانية والصفوية أدى في نهاية القرن السابع عشر إلى القضاء على انتفاضة سليمان باشا[1] .

كانت كركوك أول الأمر مركز ولاية شهرزور حتى العام 1879م عندما تم نقل مركز الولاية إلى مدينة الموصل. وقد أثبت لنا الشاعر شيخ رضا الطالباني هذه الحقيقة في بيت شعر باللغة التركية مفاده: "صارت الموصل عاصمة ونافع أفندي والياً، ويل لكم يا رعية ويا أهالي". ويبدو أن نافع أفندي هذا كان والياً أو موظفاً كبيراً في كركوك لكنه كان ظالماً ولهذا يبشر الشاعر الأهالي والرعية بالويل والثبور. وفي وقت سابق يذكر شيخ رضا كركوك وإمارة بابان في قصيدة يحكي من خلالها أيام طفولته ودراسته الأولية، فيقول ما معناه:

أذكر حين كانت السليمانية دار ملك بـــــابان
لا يحكـــمها العجم ولا يستعبدها آل عثمـــان
الشيخ والملا والزاهد يصطفون على باب السراي
وكانت كعبة ذوي الحـــــاجـــــات، تلةُ سَيْوان

1 د. بختيار سعيد محمود شواني: كركوك وولاية شهرزور في العهد العثماني، http://www.gulan-media.com

وصل شيخ رضا إلى إستانبول للمرة الأولى عندما كان في الثلاثين من عمره، وعندما مر بمنطقة بهدينان، زار قرية بريفكان فيها. حيث مرقد الشيخ نورالدين البريفكاني الذي كان صديقاً مقرباً لوالده الشيخ عبدالرحمن خالص، وهناك تحدث من خلال قصيدة بالفارسية عن زيارته، فقال ما مفاده: "جئت من ولاية شهرزور أقصد بلاد الروم" (مازلنا نحن الكورد نسمي تركيا بلاد الروم)، ما يدل على أن كركوك كانت حينها مركزَ ولاية شهرزور. وهكذا يخبرنا شيخ رضا من خلال أشعاره أن كركوك كانت عاصمة ولاية شهرزور. لكن هذا المركز نُقل في العام 1879م من كركوك إلى الموصل. هذا، ومن الناحية التاريخية هناك مجموعة وثائق، منها الخريطة التي أعدت في فرنسا ونشرت في لندن في العام 1794م، وتقع فيها كركوك في قلب كوردستان. وحسب تلك الخريطة فقد قسمت كوردستان إلى قسمين أحدهما يقع ضمن الدولة العثمانية والقسمُ الأصغر يقع ضمن دولة القاجاريين[1] .

كوردستانية كركوك: كتابات الرحالة والموسوعات العالمية

تشير الموسوعة البريطانية إلى كوردستانية كركوك، إذ جاء فيها: "كركوك مدينة في شمال العراق (145 ميلاً/ 223 كيلومتراً) شمال بغداد، وهي عاصمة وطنية يربطها ببغداد طريق بري وسكك حديدية. تقع قرب سلسلة جبال زاغروس في إقليم كوردستان العراق" [2].

وتقول الموسوعة الدانماركية عن كركوك: "كركوك مدينة الحقول النفطية، تقع شمال شرق العراق. وهي جزء من كوردستان وتبعد عن بغداد 250 كيلومتراً".

وفي آخر تعريف لها بكركوك، تقول الموسوعة الألمانية: "تعود كركوك تاريخياً إلى

1 لقاء مع كل من د. جبار قادر، دكتور نوري الطالباني وجلال جوهر http://www.khaktv.net و http://kurd1.ir

2 31. A. Clément، "Excursion dans le Kourdistan Ottoman Méridional de Kerkout à Ravandouz، " Le Globe. Journal 2 Géographique organe de la Société de Géographie de Genève pour ses Mémoires et Bulletin، t. V، fasc. 3، (1866): 198-200.

كوردستان. وقد أخضعت كوردستان والعراق في العام 1638م لسيطرة العثمانيين، وأخضعتا في أثناء الحرب العالمية الأولى لسيطرة بريطانيا".

وتقول دائرة المعارف الإسلامية عن كركوك: "كانت السلطة الحقيقية في هذه المنطقة في يد رؤساء العشائر المحليين من منطقة أردلان. ثم تمكنت الدولة العثمانية من خلال الاعتماد على نشاطات باشوات رواندز من فرض سلطتها على هذه المدينة".

وأشار التقويم (سالنامة) رقم خمسة لولاية الموصل، في العام 1912م، إلى عدد سكان كركوك، وقدّر عدد سكانها بـ94588 نسمة وعدد سكان مركز قضاء كركوك بـ41137 نسمة، كما أشار إلى أن غالبية سكانه هم من الكورد بالدرجة الأولى وأن العرب والتركمان يأتون ثانياً من حيث العدد.

وقد مر الكاتب الفرنسي جان أونارة في العام 1774م بكوردستان، وقال عن كركوك "كركوك هي عاصمة ولاية شهرزور وجزء من كوردستان".

كما زار الكاتب الألماني، الدكتور روهر، كوردستان في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ثم ألّف كتاباً بعنوان (طريق بغداد) يتحدث فيه عن نفط كوردستان، ويقول: "زرت منابع النفط في كركوك بنفسي، كما زرت المنابع الأخرى المحيطة بباباكوركور..." والذي تجدر الإشارة إليه هنا هو أنه وضع مدينة كركوك ضمن إطار كوردستان.

ويتحدث العالم والرحالة التركي شمس الدين سامي، في الصحيفة 3845 من المجلد الخامس من كتابه الموسوم (قاموس الأعلام)، عن مدينة كركوك، ويذكر أن عدد سكانها ثلاثون ألفاً ويقدر عدد الكورد بثلاثة أرباع هذا العدد، ويقول إن الربع الآخر يتكون من الأقليات والديانات الأخرى مثل العرب والتركمان. وأشار إلى أن عدد اليهود فيها 760 شخصاً والكلدان 460.

ويشير علي جواد في كتاب (تاريخ وجغرافيا ولغات الممالك العثمانية) إلى أن "كركوك هي مركز سنجق شهرزور".

وفي رحلتـه إلى مناطـق كوردسـتان في الفـترة (1872 - 1873م)، زار المهنـدس الـروسي يوسـيب يوسـف، المعـروف باسـم (جيرنيـك)، مدينـة كركـوك وقـدر عـدد سـكانها بمـا يـتراوح بـين 12000 إلى 15000 نسـمة، وأكـد عـلى أن سـكان كركـوك عمومـاً مـن الكـورد خـلا أربعـين عائلـة أرمنيـة.

قدوم التركمان إلى العراق

فيـما يتعلـق بقـدوم التركـمان إلى العـراق عمومـاً وإلى كركـوك خصوصـاً، نجـد أن المـؤرخ التركـماني النِّجـار، الأسـتاذ الدكتـور سـنان معـروف أوغلـو، الـذي يعمـل الآن أسـتاذاً في جامعـة جـلال بايـار في تركيـا، يشـير في الصحيفـة 54 مـن كتابـه الشـهير (شـمال العـراق في زمـن العثمانيـين) إلى بدايـات قـدوم التركـمان إلى العـراق. وقـد اعتمـد في ذلـك آراء أغلـب المؤرخـين والعالمـين بتاريـخ التركـمان، ويرجـع تاريـخَ قدومهـم إلى أيـام الحكـم الأمـوي (العـام 674م = 54هــ)، عندمـا جاء القائـد الأموي عبداللـه ابـن زيـاد بألفـي مقاتـل تركـماني مـن بخـارى إلى مدينـة البـصرة مـن أجـل ضرب حركـة الزنـج والقضـاء عليهـا. ومنـذ ذلـك اليـوم زاد عـدد التركـمان في العـراق بحسـب التقلبـات والأحـداث التاريخيـة التـي شـهدتها الـدول الإسـلامية الأخـرى، وصـولاً إلى اليـوم.

ولـو عدنـا إلى التاريـخ نجـد أن الأسـماء التركيـة والعربيـة لم ترسـخ في هـذه المدينـة، ولا توجـد بـين أيدينـا، حتـى أواسـط القـرن التاسـع عـشر، مصـادر تبـين العـدد الحقيقـي للتركـمان. لكـن بعـد انتصـاف القـرن التاسـع عـشر، نجـد في كتابات عـدد مـن الرحالـة أو المسـتشرقين الذيـن زاروا كركـوك، أو اعتمـدوا المصـادر التركيـة، أو زاروا الدولـة العثمانيـة، إشـارات إلى عددهـم في مدينـة كركـوك. ولكـن كـما يقـول أسـتاذي الدكتـور جبـار قـادر، لا نسـتطيع الاعتـماد الكامـل عـلى تلـك المصـادر كأسـس علميـة، لأن الإحصائيـات التـي أجراهـا الرحالـة لم تكـن عامـة، هـذا أولاً.

ثانيـاً، إن الرحالـة أو المسـتشرقين عندمـا ذهبـوا إلى كركـوك لم يمكثـوا فيهـا غـير

أيـام قليلـة، وإذا طـال مكوثهـم فيهـا لم يبقـوا أكـثر مـن خمسـة عـشر أو عشريـن يومـاً، وهـذه الفـترات لا تكفـي أبـداً لتعـداد سـكان مدينـة بالكامـل وإحصـاء قومياتهـا فذلـك يحتـاج إلى كثـير مـن الوقـت.

ثالثـاً، أجريـت تلـك الإحصائيـات بطريقـة السـوق. فالشـخص الـذي أجـرى تلـك الإحصائيـة، إنمـا ذهـب إلى السـوق وراقـب النـاس في السـوق، وقـدّر مـن خـلال مشـاهداته وملاحظاتـه أن عـدد السـكان هـو كـذا، وأن نسـب مكونـات المدينـة هـي كـذا.

ظهـر أغلـب الإحصائيـات في النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع عـشر. فمثـلا الـروسي يوسـيب يوسـف المعـروف بجيرنيـك، خـلال رحلتـه إلى مناطـق كوردسـتان بـين العامـين 1872 و1873، زار كركـوك وقـدر عـدد سـكانها بمـا بـين اثنـي عـشر ألفـاً وخمسـة عـشر ألفـاً مؤكـداً عـلى أن غالبيـة سـكان المدينـة كانـوا مـن الكـورد، إلا أربعـين عائلـة مـن المسـيحيين أو الأرمـن.

ويقـول البـارون إدوارد نـودا عـن تعـداد سـكان كركـوك: "بحسـب التقاريـر التـي اطلعـتُ عليهـا في تركيـا، فـإن عـدد سـكان كركـوك هـو 17500 نسـمة، مـن بينهـم 4500 جنـدي تابـع للدولـة". والمقصـود بجنـود الدولـة هنـا، الأتـراك أو التركـمان الذيـن كانـوا يعيشـون في المدينـة وقـد جـيء بهـم كقـوة عسـكرية، أي أنهـم حتـى ذلـك الوقـت ماكانـوا يعتـبرون مـن أهـالي كركـوك.

ومـع التغيـيرات التـي طـرأت عـلى السـلطة في المنطقـة، نجـد بصـورة عامـة أن الحـكام الكـورد كانـوا هـم المتنفذيـن في المدينـة. حيـث تشـير المصـادر والوثائـق العثمانيـة إلى سـلطة أمـراء أردلان ثـم إلى سـلطة أمـراء بابـان في كركـوك.

ظهـرت في كثـير مـن مـدن كوردسـتان معسـكراتٌ عثمانيـة، ومنهـا قشـلة كركـوك التـي شـيدت لهـذا الغـرض. وكانـت كركـوك نفسـها مركـز تجمـع المسـؤولين العسـكريين، وكان المسـؤولون الإداريـون فيهـا يتبعـون الدولـة العثمانيـة. ومـن هنـا تبـدأ العمليـة. ففـي العـام 1895م، يشـار إلى أن ربـع سـكان كركـوك ليسـوا مـن

الكـورد. وهنـاك مسـألة أخـرى كثـيراً مـا يلفهـا النسـيان وهـي أن الجنـود العثمانيـين والمسـؤولين في الدولـة لم يكونـوا يعتـبرون جـزءاً مـن أهـالي المدينـة في أيـة إحصائيـة، لأنهـم أجانـب وكانـوا يرحلـون عنـد انتهـاء فـترة خدمتهـم العسـكرية، أو عنـد انتهـاء وظائفهـم أو مأمورياتهـم.

قدوم العرب والتركمان إلى كركوك:

بصـورة عامـة توجـد في كركـوك عشـيرتان عربيتـان هـما عشـيرة التكريتيـين وعشـيرة العبيديـين. وفيـما يتعلـق بعشـيرة التكريتيـين في كركـوك، فقـد رافـق هـؤلاء، في القـرن السـادس عـشر، السـلطان مـراد الرابـع في سـوريا، وكافأهـم الأخـير بمنحهـم أراضي في قـرى جنـوب غـرب كركـوك وأسـكنهم في مدينـة تكريـت، وقـد تـم إسـكانهم في كركـوك، كـما حـدث مـع سـائر العشـائر العربيـة مثـل العبيـد والجبـور خـلال فـترة الحكـم الملـكي في العـراق. وجـاءت عشـيرة العبيـد إلى كركـوك بعـد وقوعهـم في مشـاكل في الموصـل واسـتقروا في منطقـة الحويجـة في العـام 1935م في أيـام حكومـة ياسـين الهاشـمي[1] .

في الفصـل الثـاني مـن كتـاب (القضيـة الكورديـة العراقيـة) للأسـتاذ نـبراس الكاظمـي، إشـارة إلى سياسـة التعريـب العمليـة في العهـد الملـكي حيـث جـرت أولاً مـن خـلال إسـكان عشـيرة العبيـد في منطقـة مـشروع ري الحويجـة. وكان العبيـد قد هاجـروا قبـل 400 عـام مـن نجـد ليسـتقروا في شـمال جبـل سـنجار الـذي يشـكل جـزءاً مـن إقليـم الجزيـرة، ثـم اسـتقروا في كركـوك. وجـاءت شـمر أيضـاً مهاجـرة مـن الجزيـرة العربيـة إلى هـذه المنطقـة. فدفعـت موجـات شـمر العبيديـين دفعـاً إلى منطقـة الحويجـة ليشـكلوا عبئـاً عـلى البيـات وعـزة (العزاويـين) فاضطـر هـؤلاء

1 يناقـش أسـتاذي الفاضـل جبـار قـادر حمـلات التعريـب بدقـة الباحـث والأكاديمـي النزيـه في: "كركـوك: قـرن ونصـف مـن التريـك والتعريـب"، المنشـور في (الملـف العراقـي)، العـدد 99، آذار 2000، الـص 46-42. وكذلـك بحثنـا الموسـوم "السياسـات الحكوميـة في كركـوك خـلال العهـد الملـكي (1958-1921م)، في كتـاب "كركـوك، مدينـة القوميـات المتآخيـة"، لنـدن 2002، الـص 189-151. نـوري الطالبـاني، "كركـوك ومحـاولات تغيـير واقعهـا"، لنـدن 1997، ص7.

إلى النـزوح إلى كركـوك، وتحـول بعضهـم إلى تركـمان، ولم يكـن للعبيـد وجـود رسـمي في هـذا القضـاء إلا مـع بدايـات العهـد الملـكي [1].

وعـن قـدوم التركـمان، فـإن التركـمان عمومـاً يـرون أن أجدادهـم كانـوا في العراق في أيـام الفتوحـات الإسـلامية والحكـم الأمـوي والعبـاسي وسـكنوا في المدينـة قبـل ذلـك وبعـده، وخاصـة في عهـد السـلاجقة. جـاء السـلاجقة إلى العـراق في العـام 1055م، يقودهـم طغـرل بيـك وحكمـوا العـراق ثلاثـة وسـتين عامـاً. ويعتقـد المـؤرخ العراقـي عبدالـرزاق الحسـيني أن تركـمان العـراق كانـوا جـزءاً مـن جيـش السـلطان مـراد الرابـع وأنهـم عندمـا احتلـوا العـراق، بعـد طـرد الصفويـين في العـام 1638م، كانـت مهمتهـم حمايـة الطـرق التـي تربـط بـين الولايـات[2] .

وبعـد تنامـي النفـوذ الـتركي في العـراق، واحتـلال مدينـة بغـداد في العـام 1115م، امتـدت المناطـق التـي كانـت خاضعـة لسـيطرة طغـرل بيـك حتـى شـمال ميسـوبوتاميا لتشـمل مناطـق الموصـل وأربيـل وكركـوك. وأدى ذلـك إلى ظهـور العديـد مـن الإمـارات والدويـلات التركمانيـة، ومنهـا إمـارات الموصـل وأربيـل وكركـوك، بـين دولتـي قـرة قوينلـو وآق قوينلـو والمسـيحيين، وقـد اعتنـق بعضهـم المسـيحية.

خضعـت تلـك المناطـق لسـيطرة التركـمان قبـل ظهـور الدولـة العثمانيـة في العـام 1515م بقرنـين، عندمـا أصبحـت تلـك الإمـارات التركمانيـة جـزءاً مـن الدولـة العثمانيـة وصـاروا بمـرور الزمـن جـزءاً هامـاً مـن مكونـات مدينـة كركـوك.

كانـت كركـوك في العهـد العثـماني جـزءاً مـن ولايـة شـهرزور[3] . ظهـر العثمانيـون عـلى مـسرح الحكـم وتمكنـوا مـن حكـم العـراق لأربعمائـة سـنة، وكانـت كركـوك في نهايـة الحكـم العثـماني مـن الناحيـة الإداريـة قضـاءً تابعـاً

1 نبراس الكاظمي/ القضية الكردية العراقية من خلال أربعة كتب (4-2)، الجزءان الأول والثاني، مطبعة الزمان، بغداد 1946.
http://www.alhurra.com/a/iraqi-kurdish-story/400801.htm

2 Turkmenlerin Rolu Irakta Nasıl Okunmalı…

3 عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الخامس، ص104.

لولايـة الموصـل أو شـهرزور، ولم تكـن لـواءً = محافظـة. وبعـد الاحتـلال البريطاني للعـراق في العـام 1918م أصبحـت جـزءاً مـن المملكـة العراقيـة في العـام 1921م.

عهد الانجليز والحكم الملكي في العراق:

في العـام 1921م عندمـا شُـكلت الـوزارة العراقيـة الأولى، لم تكـن مسـألة كركـوك وولايـة الموصـل قـد حُسـمت بعـد، لـذا يمكـن أن نصـف الفـترة الممتـدة بـين العامـين (1917 - 1925م) بأنهـا كانـت فـترة الحكـم الانجليـزي المبـاشر لكركـوك، لدرجـة أنهـم كانـوا يديرونهـا بأنفسـهم، ومـع أن هـذه الفـترة تتخللهـا ثـورة الشـيخ محمـود الحفيـد التـي انطلقـت في العـام 1919م، وكانـت النتيجـة أن أقـر الانجليـز بالسـلطة المحليـة للشـيخ محمـود، لكـن الانجليـز كانـوا مدركـين لمقاصـد الشـيخ محمـود وأنـه كان يخطـط لضـم كركـوك إلى أولى حكومـة كورديـة يؤسسـها. ويبـدو أن السياسـة الانجليزيـة كانـت قـد قـررت مسـبقاً إلحـاق ولايـة الموصـل بالعـراق، فلـم يستسـيغوا نوايـا الشـيخ محمـود، فـكان أن ألقـي القبـض عليـه ونُفـي إلى الهنـد، لكـن بفضـل الضغـوط التـي مارسـها الثـوار الكـورد، أعـاد الانجليـز الشـيخ محمـود، فشـكل الحكومـة الثانيـة لمملكتـه (1922 - 1924م) وكان هـذه المـرة أيضـاً يطمـع في كركـوك، فاسـتطاع ضـم جـزء مـن كركـوك يصـل إلى جمجـمال إلى سـلطته، لكنـه لم يتمكـن مـن ضـم كركـوك إليهـا [1].

ومـع أن بريطانيـا بذلـت جهـوداً كبـيرة لفصـل كركـوك عـن كوردسـتان، بالرغـم مـن إشـارات كثـيرة تـدل عـلى أنهـم كانـوا يعرفـون بـأن كركوك جـزء من كوردسـتان. وفي شـتاء العـام 1919م، شُـكل مجلـس لـواء كركـوك عـلى أسـاس قومـي ودينـي وكان يتألـف مـن إثنـي عـشر عضـواً، سـتة منهـم مـن الكـورد، وثلاثـة مـن التركـمان، إلى جانـب عـربي ومسـيحي ويهـودي.

1 Othman Ali, "British Policy and the. Kurdish Question in Iraq: 1918-1932" (Ph.D. Dissertatii, University of Toronto, Toronto, 1992).

وفي العـام 1921م، كان الكـورد عمومـاً يعارضـون تنصيـب ملـك عـلى العـراق. وفي تقريـر لـه، يقـول ضابـط سـياسي بريطـاني في كركـوك: أصـوات الكـورد هـي غالبيـة الأصـوات. وفي العـام 1919م، صـوّت أغلـب النـواب الكـورد في كركـوك لصالـح الانضـمام إلى كوردسـتان المسـتقلة التـي يحكمهـا الشـيخ محمـود، وكانـوا ضـد الالتحـاق ببغـداد. ومـع أن إدمونـدز سـلك كل السـبل لمعـاداة الشـيخ محمـود وكوردسـتان المسـتقلة. لكنـه كان حينهـا مجـرد ضابـط سـياسي في كركـوك. يقـول: مـع أن وجهـاء كركـوك يشـكلون الأغلبيـة في إدارة المدينـة، فالحقيقـة هـي أن الكورد هـم الأغلبيـة في المدينـة. صحيـح أنّ أغلـب وجهـاء كركـوك مـن التركـمان، لكـن أغلبهـم ينحـدر مـن أصـول كورديـة، كـما هـي الحـال مـع وجهـاء نفـزي وتـرزي[1] .

وجـاء في بحـث لقيـس قـرة داخـي في العـام 2007 عـن النـواب الكـورد في مجلس النـواب ببغـداد في فـترة الحكـم الملـكي (1925 - 1958م): "إسـتناداً إلى بحـث أجـري في تلـك الفـترة، قبـل تعريـب المنطقـة، كانـت نسـبة الكـورد في كركـوك تـتراوح بـين 75 - 80%". كـما هـو موضـح في الجـدول الآتي:

نسبة ممثلي القوميات في مجلس النواب العراقي في العهد الملكي
1925 - 1958

رقم الدورة	السنة	الأعضاء الكورد	التركمان	العرب	غيرهم
1	1925	4	1	صفر	صفر
2	1928	3	1	صفر	صفر
3	1930	3	1	صفر	صفر

1 KURDS TURKS & ARABS. Home. POLITICS, TRAVEL & RESEARCH IN NORTH-EASTERN IRAQ... LONDON: First Edition 1957.p.266.

4	1933	2	1	1	صفر
5	1935	3	2	صفر	صفر
6	1937	4	1	1	صفر
7	1937	4	1	1	صفر
8	1939	5	1	صفر	صفر
9	1943	5	1	صفر	صفر
10	1947	6	2	صفر	صفر
11	1948	6	2	صفر	صفر
12	1953	5	3	صفر	صفر
13	1954	4	4	صفر	صفر
14	1954	4	4	صفر	صفر

النتيجة:

نستنتج من هذا البحث أنّ كركوك مدينة كوردستانية وهذه المدينة كانت قائمة قبل ظهور الآشوريين وعلى مدى التاريخ، وكان أغلب سكانها من الكورد مع مكونات أخرى في المدينة كالتركمان والعرب والكلدان واليهود والمسيحيين الذين جاؤوا في المرتبتين الثانية والثالثة. وخاصة العرب والتركمان الذين قدموا إلى المدينة في فترات مختلفة نتيجة لأحداث وتطورات مختلفة واستقروا فيها.

وذُكرت حقيقة كوردستانية هذه المدينة في المصادر الأجنبية ومصادر أخرى مثل قانوننامة السلطان سليمان القانوني. ووثائق أوليا جلبي (الرحالة والمسؤول الرفيع المستوى في الدولة العثمانية) هي أفضل وأهم إقرار بكوردستانيتها فقد زار المدينة بنفسه عندما كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها. ويكشف أوليا جلبي الذي أوفد مرات عديدة كممثل عن السلطان وعن والي وان (ملك أحمد مصطفى) إلى مناطق الدولة العثمانية، الكثيرَ من الحقائق المتعلقة بكوردستانية كركوك. بل أن الموسوعات العالمية ونصوص الكتّاب الأجانب هي خير دليل على صحة رأينا.

المصادر

* د. بختيار سعيد محمود شواني: كركوك وولاية شهرزور في العهد العثماني، http://www.gulan - media.com

- Sinan Marufoğlu, Osmanlı döneminde Kuzay Irak 1831 - 1914, İstanbul: Eren yayıncılık, 1998, s. 54.

- William Benton & Helen H.B.Benton, Encylopadia Britannica, 15 EDITION, Printed in - U.S.A - 1974, P 834.

مقتبس من كوران صالح إبراهيم، كركوك في زمن العثمانيين بين العامين 1876 - 1909م، حمدي للطباعة والنشر، من منشورات مكتب الفكر والتوعية للاتحاد الوطني الكوردستاني، 2007، ص48.

* أنظر نص مخطوطة أوليا جلبي، المجلد الرابع، ص184.

* أنظر تقويم ولاية الموصل، 1330هـ/ 1912م، ص229.

* أنظر تقويم ولاية الموصل، 1330هـ/ 1912م، ص229.

* للاطلاع على نص المخطوطة، أنظر الملحق رقم (2).

* للاطلاع على نص المخطوطة، أنظر الملحق رقم (1).

* للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، أنظر الوثيقة العثمانية BOA. I__DEH_00203 التي تشير إلى سلطة أمراء بابان في كوردستان وتحلل أوضاع ولاية كوردستان في تلك الفترة.

* للمزيد من المعلومات حول حكام مدينة كركوك، أنظر: بشكو حمة طاهر آغجلري، مدينة كركوك بين العامين 1917 - 1926، الص 21 - 42.

* للاطلاع على نص صحيفة السالنامة، أنظر الملحق رقم (3).

* للاطلاع على نص صحيفة السالنامة، أنظر الملحق رقم (3).

* جمال رشيد، تاريخ كركوك القديم، موكريان 2008.

* لقاء مع كل من د. جبار قادر، دكتور نوري الطالباني وجلال جوهر على موقع خاك: http://www.khaktv. net و http://kurd1.ir

* فتوح البلدان، تحقيق: صلاح المنجد، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1957 ، ص 407 ، مقتبس من: بشكو حمة طاهر آغجلري، مدينة كركوك بين العامين 1917 - 1926.

* كامران كويخوا، كركوك في ضوء نصوص نوزي، 2007.

* الكورد و كوردستان في أولى موسوعة تركية في التاريخ "قاموس أعلام - شمس الدين سامي"، ترجمها عن التركية العثمانية أمين بوز أرسلان، ترجمها إلى الكوردية: أحمد تاقانه، ط1، أربيل، 2008.

* كوران صالح إبراهيم، كركوك في العهد العثماني بين العامين 1876 - 1909م.

* مجموعة باحثين: كركوك مدينة القوميات المتآخية، ط 1، محفوظة مركز كربلاء للبحوث والدراسات، لندن، المملكة المتحدة، 2002.

* أنظر نص مخطوطة أوليا جلبي، المجلد الرابع، ص187.

الملاحق:

خريطة ولاية كوردستان في عهد عبدالحميد الثاني

الملحق رقم (1)

نص مخطوطة أوليا جلبي التي تشير إلى أرض كوردستان

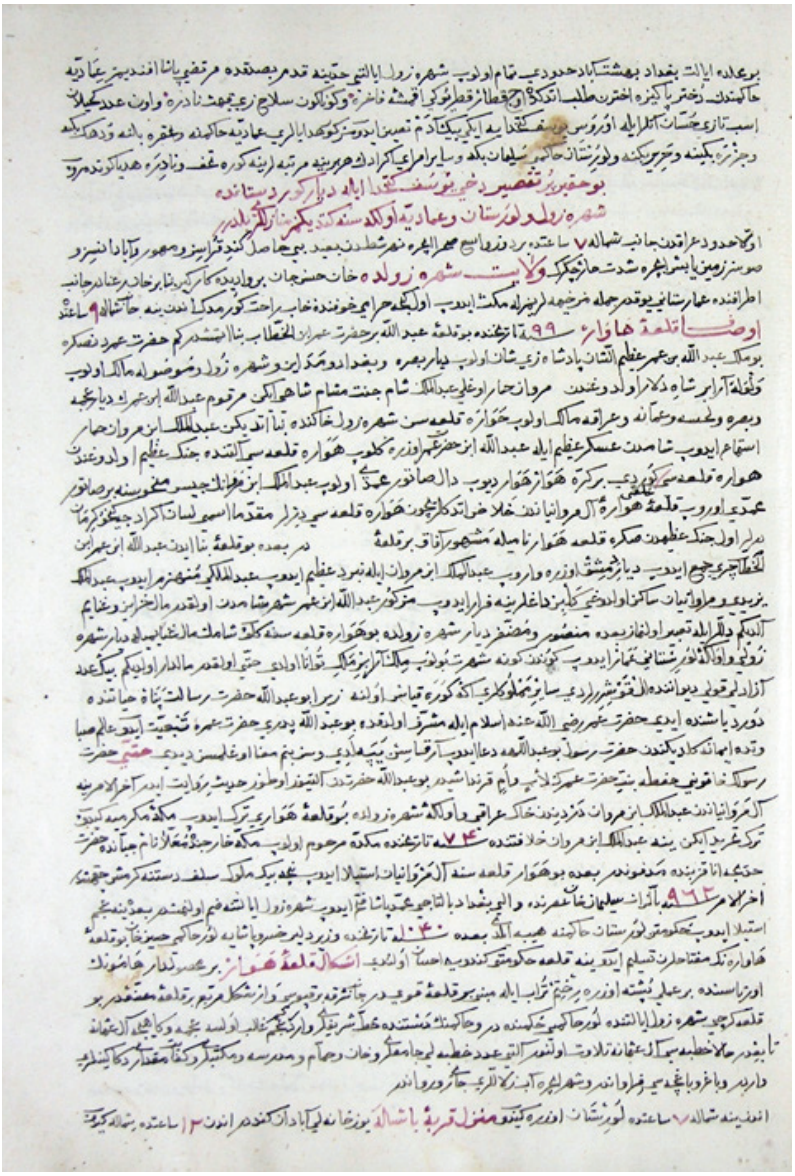

الملحق رقم (2)

نص مخطوطة أوليا جلبي التي تشير إلى قلعة كركوك وتسميها كركوك شهرزور

كركوك في الوثائق العثمانية والتركية

محمد بايراك

بما أن كركوك كانت في فترة الحكم العثماني مركزاً إدارياً تابعاً لولاية الموصل، فقد اقترن اسما المدينتين ببعضهما البعض. وفي إطار ولاية الموصل كانت هناك وحدات إدارية كثيرة مركزها كركوك، كما كانت هناك وحدات إدارية تابعة لمدينة الموصل. ولهذا فإن إقليم الموصل – كركوك يقع جغرافياً في ميسوبوتاميا، وهناك تداخل بينهما من حيث المصادر النفطية والتكوين السكاني. وهذه المدن التي تعرف في المصادر التاريخية بالجزيرة العليا، أسست على جغرافيا تعتبر امتداداً طبيعياً لكوردستان.

ويؤكد الأستاذ الدكتور بسيم داركوت، الجغرافي التركي المعروف، على هذه الحقيقة كالآتي: "الموصل وأطرافها، من حيث طبيعتها العجيبة، سواء من حيث مناخها وأرضها ذات الطبيعة الرسوبية، لا تسقط فيها الأمطار بالكميات اللازمة. وفيما يتعلق بنباتاتها الطبيعية تختلف كثيراً عن العراق شبه الصحراوي، وبنفس الطريقة فإنها من حيث التكوين السكاني وتساقط الأمطار تتشابه لدرجة أكبر مع دياربكر (آمد). وكانت الموصل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى تعتبر في عموم المصادر الغربية خارج إطار العراق وتندرج ضمن إطار الجزيرة العليا"[1] .

1 الأستاذ د. بسيم داركوت، قدم معلومات هامة بهذا الخصوص تستحق اعتبارها مصدراً هاماً.

وجـاب الرحالـة كاتـب جلبـي في نهايـة القـرن السـادس عـشر، رفقـة الجيـش العثـماني، هـذه المنطقـة. وذكـر في كتـاب مـوارد كشـف الظنـون أن: منطقـة ميسـوبوتاميا تنقسـم إلى ثلاثـة أقسـام هـي كوردسـتان والجزيـرة والعـراق. ومـن خـلال هـذا المصـدر والمصـادر المشـابهة نتوصـل إلى النتيجـة المعروفـة اليـوم، وهـي أن "إقليـم الجزيـرة، هـو المنطقـة التـي تضـم الموصـل وشـهرزور والعثـماني وشـمال عـراق اليـوم".

هـذه الأراضي، التـي شـهدت منـذ القـدم مجـيء وذهـاب الكثـير مـن الحضـارات، ثـم أصبحـت بسـبب نفطهـا مصـدر المصالـح الغربيـة. وكانـت حضـارات آشـور وبابـل أهـم تلـك الحضـارات. فبعـد أن حكـم الآشـوريون هنـا 1300 سـنة، خضعـت المنطقـة لحكـم الصفويـين والاسـكندر الكبـير والسلوكسـيين والساسـانيين. وهـذه المنطقـة التـي ضمـت إلى الأراضي الإسـلامية في عهـد الخليفـة عمـر ابـن الخطـاب، خضعـت بعـد ذلـك لحكـم العباسـيين والسـلاجقة والأتابكيـين والأيوبيـين والجنكيزيـين والتيموريـين وآق قوينلـو وقـرة قوينلـو والصفويـين، ونتيجـة معركـة جالديـران في أيـام يـاووز سـليم ارتبطـت بالدولـة العثمانيـة[1] .

ويشـير شـمس الديـن سـامي، العـالم العثـماني/ الـتركي، إلى أنـه إضافـة إلى الأيوبيـين، وكانـت دولتهـم دولـة النبـلاء الكـورد، كانـت ثـم إمـارات كورديـة كثـيرة في منطقـة الموصـل وديـاربكـر والجزيـرة[2] .

وبالطريقـة نفسـها يقـول (قامـوس الأعـلام) لمؤلفـه شـمس الديـن سـامي، والـذي يعتـبر أولى موسـوعة تركيـة: "ولايـة الموصـل، وتضـم كركـوك، اسـم يطلـق عـلى المنطقـة التـي تؤلـف (شـمال شرق الجزيـرة وجنـوب شرق كوردسـتان) ويبلـغ تعـداد سـكانها 300280 نسـمة"[3] .

ويتـوزع هـذا العـدد عـلى الموصـل 159680 نسـمة، شـهرزور 89000 نسـمة،

1 كاتب جلبي، يورد الكثير من المعلومات الدقيقة المتعلقة بكوردستانية كركوك والتي تنبغي الإفادة منها.

2 شـمس الديـن سـامي: قامـوس الأعـلام، إسـتانبول 1896، المجلـد 5، الـص 2943-384. م. بايـراك: الكـورد والكفـاح الوطنـي الديمقراطـي. دار أوزغـة للنـشر، أنقـرة 1993، الـص 39-38.

3 نفس المصدر السابق.

والسـليمانية 51600 نسـمة. ومنـذ ذلـك الحـين، وبسـبب التغيـرات في الهيـاكل الإداريـة، كان عـدد الكـورد في الموصـل 59380 مسـلماً و14900 أيزيـدي، ومجمـوع الكـورد 74280 نسـمة. أمـا العـرب، التركـمان، السريـان، اليهـود والمذاهـب الأخـرى فكانـوا يشـكلون مـا تبقـى مـن ذلـك العـدد (المصـدر المذكـور، الـص 186 - 187).

ويعـرّف نفـسُ المصـدر كركـوك بأنهـا "وحـدة إداريـة ضمـن كوردسـتان التـي مركزهـا في شـهرزور"، وتكوينهـا السـكاني: "ثلاثـة أرباعهـم مـن الكـورد والبقيـة أتـراك وعـرب وغيرهـم، 760 منهـم يهـود و460 منهـم كلـدان" (المصـدر المذكـور، ص151).

وقـد انعكسـت خصوصيـة كركـوك هـذه عـلى المصـادر العسـكرية التركيـة حتـى زمـن قريـب: لم يكـن ثـم عـرب في شـمال الموصـل وفي السـليمانية. فهـذه المناطـق يعيـش فيهـا الكـورد. والتركـمان يعيشـون في كركـوك وأربيل وآلتـون كوبـري (...) وعرب الصحـراء وكـورد المناطـق الأخـرى أغلبهـم قبائـل رحالـة أو شـبه رحالـة"[1] .

وفي حـدود تلـك الفـترة كان يعيـش في المنطقة، إضافـة إلى الكورد والعـرب والتركمان، الكـورد الأيزيديـون، الكلـدان، السريـان، الأرمـن واليهـود، وكان هنـاك أيضـاً عـدد صغير مـن اللاتـين والبرتسـتانت، مـا يظهر التنـوع العرقـي في المنطقة[2] .

لا شـك أن للنسـب السـكانية أهميتهـا في هـذه النقطـة. لـذا يمكـن الاعتـماد عـلى التركيبـة الإداريـة للمنطقـة في إلقـاء نظـرة فاحصـة عـلى هـذه الأعـداد. فأذكركـم أولاً بـأن الإحصائيـات العثمانيـة عمومـاً كانـت تعتـبر الديـن أساسـاً للتكويـن السـكاني دون الالتفـات إلى القوميـة، بينـما المؤسسـات الدوليـة تعتمـد الأسـاس القومـي في هـذا المجـال[3] .

وجـاء في تقويـم (سـالنامة) ولايـة الموصـل (1306/ 1890): ولايـة الموصـل تتكـون مـن ثـلاث مجموعـات: الأولى وهـي القسـم الأكـبر يؤلفُهـا الكـورد في مناطـق الموصـل،

1 الأستاذ الدكتور مكرمين خليل إينانج، أتراك أوغوز في الموصل والجزيرة، الخطوط الرئيسة لتاريخ الأتراك الأوغوزيين.

2 خندق إيران – العراق في الحرب العالمية الأولى، دار نشر رئاسة أركان آتاسة، أنقرة 1979، الص 33-24.

3 للاطـلاع عـلى الإحصائيـات العثمانيـة التـي اعتمـدت الديـن أساسـاً، أنظـر في وثائـق الأرشـيف المتعلقـة بالموصـل – كركـوك (1525/ 1919)، دار نـشر المديريـة العامـة لرئاسـة الـوزراء، أرشـيف الدولـة، أنقـرة 1993.

شـهرزور، السـليمانية، عقـرة، دهـوك، زاخو، سـنجار، أربيـل، الصلاحية (كفـري)، رواندز، كولْعَنبر، كويسـنجق وزيبـار. ويوجـد قسـم آخـر مـن الكـورد ضمـن المجموعـة الثانية ضمـن إطـار العشـائر والقبائـل بصـورة شـبه رحالـة يمتهنـون تربيـة الأغنـام والماشـية [1].

ويـورد عثـمان علي توفيـق في مؤلفَيـه (القاموس الجغـرافي للملكة العثمانيـة 1902) و(تقريـر الجيـش المرتبـط بالباشـا العثـماني) معلومـات هامـة عـن كورديـة المنطقـة، فيقـول مثـلاً: "تقـع ولايـة الموصـل شـمال الجزيـرة، وإلى الـشرق منهـا توجـد إيـران، وإلى الشـمال توجـد ولايـات وان وبتليـس وديار بكـر، وتحيطهـا مـن الغـرب وحـدات إداريـة كثـيرة". ويقـدر عـدد سـكان الولايـة بخمسـمائة ألـف [2].

وهنـا أود الإشـارة إلى أن وحـدة كركـوك الإداريـة حتـى الأعـوام (1309/1893) كانـت تسـمى في المكتبـات الرسـمية (شـهرزور)، لكـن التشـابه بـين الوحـدات الإداريـة (الكثـيرة) التـي تقـع إلى الجنـوب مـن ديار بكـر وحلـب أدى إلى أخطـاء إداريـة، لـذا تقـرر في الأخـير، في العـام 1893، العـودة إلى اسـتخدام اسـم كركـوك.

انتهـت الحـرب العالميـة الأولى بهزيمـة الدولـة العثمانيـة، وتـم في 20 تشريـن الأول 1918 التوقيـع عـلى هدنـة مـودروس، وكانـت ولايـة الموصـل لاتـزال تحـت سـلطة العثمانيـين. لكـن الوحـدات العسـكرية العثمانيـة انسـحبت في إطـار الهدنـة وتـم تسـليم المنطقـة للانجليـز. وبـدأت المشـكلة الرئيسـة مـن هنـاك.

"في البـدء تـم القبـول بفكـرة جمـع الكـورد حـول قائـد واحـد ليديـروا شـؤونهم تحـت إشراف الضبـاط الانجليـز. وبمـرور الوقـت كانـت القـرارات المتعلقـة بمصـير الكـورد تتخـذ في ضـوء تطـورات الأحـداث. وفي مطلـع كانـون الأول زار المفـوض السـامي الموقـت، ولسـن، السـليمانية ووقـع اتفاقـاً مـع رؤسـاء العشـائر الكورديـة. وقـضى الاتفـاق بإقامـة فدراليـة كورديـة في مركـز السـليمانية يرأسـها الشـيخ محمـود البرزنجـي" [3].

1 إحصائيات الولاية، توفيق أفندي: سالنامة ولاية الموصل، الموصل، (1306/1890)، الص 100-1.

2 علي توفيق، القاموس الجغرافي للمملكة العثمانية، إستانبول (1316/1902)، ص21.

3 للاطلاع على وثائق وتقارير تلك الفترة، أنظر: قضية الموصل – كركوك وتقسيم كوردستان في وثائق عصبة الأمم، دار نشر ميد إستانبول، 1991.

لكـن الهـدف الحقيقـي للشـيخ محمـود البرزنجـي كان إقامـة دولـة كورديـة مسـتقلة. لـذا فـإن علاقاتـه مـع الانجليـز سرعـان مـا سـاءت. وأعلـن الشـيخ محمـود البرزنجـي في أيـار 1919 العصيـان في وجـه السـلطة الانجليزيـة في بغـداد. وفي أواسـط حزيـران، تـم القضـاء عـلى العصيـان ونُفـي الشـيخ محمـود. وبعـد ذلـك تـولى الضبـاط الانجليـز إدارة المنطقـة بأنفسـهم.

لكـن التوتـرات لم تتوقـف عنـد هـذا الحـد. فقـد كان الكـورد عمومـاً، وخاصـة أهـالي المنطقـة، يشـعرون بأنهـم قـد تعرضـوا للخيانـة.

ولحـل هـذه المسـائل تقـرر أن يـدار العـراق مـن قبـل رئيـس عـربي تحـت إشراف الضبـاط الانجليـز، وهكـذا أعلـن في آب 1921 عـن فيصـل ابـن الشريـف حسـين ملـكاً عـلى العـراق.

الموصل – كركوك في وثائق لوزان

رفعـت الأحـزاب المعاديـة للاتحـاد والترقـي في إسـتانبول، وكذلـك الكماليـون الذيـن جـاؤوا إلى الأناضـول، شـعار "التحـرر معـاً والحريـة معـاً". كـما صـادق آخـر مجلـس نـواب عثـماني، تزامنـاً مـع مجلـس نـواب تركيـا في أنقـرة، عـلى حـدود "الميثـاق الوطنـي" التـي تضـم الأراضي التـي يعيـش عليهـا الكـورد والأتـراك.

وجـاء في الفقـرة الأولى مـن "الميثـاق الوطنـي" الـذي تمـت المصادقـة عليـه في اجتـماع سري لمجلـس النـواب العثـماني، في 28 كانـون الثـاني 1920: "المناطـق الواقعـة ضمـن وخـارج نطـاق المناطـق المشـمولة بالهدنـة، والتـي يشـكل فيهـا المسـلمون والعثمانيـون الأغلبيـة السـكانية، لا يمكـن فصلهـا، عمليـاً أو حكـماً، ولأي سـبب عـن الوطـن الأم". وفي كلمـة ألقاهـا مصطفـى كـمال في الأول مـن أيـار 1920 في البرلمـان، قـال: "حدودنـا الوطنيـة تمـر مـن جنـوب الأسـكندرونة، باتجـاه الـشرق وتضـم الموصـل والسـليمانية وكركـوك"[1] .

1 السياسـة القوميـة الخارجيـة لأتاتـورك، دار نـشر وزارة الثقافـة 1992، الـص 132-13، ترجمـة د. عثـمان سـوئمز، الميثـاق الوطنـي

وقبل لوزان، تحدث عصمت إينونو عن أهمية حدود الميثاق الوطني، التي تضم أساساً الأراضي التي يعيش فيها الأتراك والكورد، كالآتي: "الهدف الذي ضحينا جميعاً من أجل تحقيقه هدف نزيه وحق. وهذا الهدف هو في سبيل كلمتين: الميثاق الوطني" [1].

لكن مصطفى كمال، أعلن منذ كانون الثاني 1923 موقفه الحقيقي تجاه الموصل بهذه الكلمات: "الموصل تهمنا كثيراً، أولاً، لأن الموصل تضم مصادر النفط الذي يدرّ ثروات لا نهاية لها. وثانياً، وهو في الأهمية يضاهي السبب الأول، القضية الكوردية. فالانجليز يريدون إقامة حكومة كوردية هناك. وإذا استطاعوا ذلك، فستنتشر الفكرة عند الكورد الموجودين ضمن حدودنا. ولمنع هذا لا بد أن تمرر الحدود من الجنوب" [2].

وهكذا نجد أن مصطفى كمال ربط المطالبة بالموصل بحجتين: الأولى، مصادر النفط التي تشكل مورداً لا ينضب، والثانية، القضية الكوردية.

وهاتان الوجهتان، مازالتا قائمتين بصورة من الصور منذ بدء مشكلة الموصل وإلى يومنا هذا. ففي حين يشعر الكورد بالحيف لتقسيم الكتلة الكوردية ويدافعون عن اتحاد الكورد – الأتراك على أساس المساواة، فإن السلطات التركية تتعامل مع القضية من منطلق المصادر النفطية وإعاقة الكورد!

يوسف ضيا بيك، الذي دخل أول برلمان تركي نائباً عن بتليس، ثم أعدم الحياة في العام 1925 نتيجة التمرد الكوردي، قال في مطلع العام 1923 في كلمته الشهيرة في البرلمان والتي استقبلت بالتصفيق: "ما لم تحل مشكلة الموصل – كركوك، فإن أي اتفاق سلام مستقبلي سيؤدي إلى مشكلة كبرى". ولدى إشارته إلى مركز الموصل، قال: "أنا لا أريد الموصل، فليعطوها لمن يشاؤون، إن الحصول

والموصل – كركوك، مجلة كركوك، أنقرة، آذار – تموز.

1 علي ناجي كرجان، مؤتمر لوزان وعصمت باشا، إستانبول 1943، ص40.

2 مصطفى كمال، كلمات أسكي شهر - إزميت – في العام 1923. الجمهورية، 7/6/1991 (لا ينقل د. برينجك، الذي نقل هذه الكلمات، الجزء الأول منها. أنظر: مجلة تيوري، شباط 1995).

على السليمانية وكركوك سيحقق وحدة الصف الكوردي التركي" [1].

أبدى الكورد، الذين لم يكونوا يستسيغون سيفر، دعماً كبيراً للوفد الذي كان يرئسه عصمت إينونو، الكوردي النِّجار. وقد جاء في مذكرات عصمت باشا: "على مدى النضال القومي أيد الكورد قلباً وقالباً التعايش. وفي لوزان دافعوا عنا (نحن الأتراك والكورد) كقضية واحدة وأمة واحدة"[2] .

وبينما تم حل المشاكل الأخرى في لوزان بسهولة، فإن المحادثات كانت تتعثر عندما يتعلق الأمر بكركوك – الموصل. وكان الجانبان، من أجل الاحتفاظ بالموصل، يلوذان بالتحليلات التاريخية والجغرافية والعرقية والديموغرافية، ويناديان بأطروحات ونظريات متخالفة. وكان الجانب التركي يتشبث بسيادة دامت قروناً وببعض المصادر المحلية. وكان الانجليز يشيرون إلى المصادر الغربية ويقومون بإبراز الهوية الكوردية. باختصار، كان كل من الجانب التركي والجانب الانجليزي يلعب بالورقة "الكوردية".

وكان الجانب التركي يحتج بحجج إثنوغرافية، تعتمد على أحدث الإحصائيات التركية، التي تذكر أن عدد سكان ولاية الموصل هو 503000 نسمة وتشير إلى أن تعداد العشائر الكوردية والتركية والعربية الرحالة يبلغ 170000 نسمة. وعن الوحدات الإدارية: السليمانية وكركوك والموصل، التابعة لولاية الموصل تشير تلك الإحصائيات إلى هذه الأرقام: 263830 كوردياً، 146960 تركياً، 43201 من العرب، 18000 من الأيزيدية (الكورد)، و13000 من غير المسلمين.

وفي مقابل ذلك، كان الانجليز، اعتماداً على إحصائيات 1921، يطرحون هذه الأعداد بخصوص سكان ولاية الموصل في أقضية الموصل، أربيل، كركوك والسليمانية: 185763 عربياً، 452720 كوردياً، 65895 تركياً، 62225 مسيحياً، و16865 يهودياً.

وانتقد عصمت باشا بشدة اعتبار الأيزيدية من السكان المسيحيين، وقال:

1 السجل الرسمي للبرلمان التركي، المجلد 4، دار نشر إيش بانك التركية، أنقرة 1985، ص163.

2 عصمت إينونو، المذكرات، المجلد 2، أنقرة 1987، ص202.

"الأيزيديـة كـورد، وتقاليدهـم وطبيعتهـم تشـبه التقاليـد والطبيعـة الكورديـة، ولا يختلفـون عـن بعضهـم البعـض إلا مـن حيـث المذهـب. لـذا فـإن فصـل هـؤلاء عـن أولئـك ليـس بصـواب. ومثلـما أن تقسـيم أفـراد شـعب واحـد إلى كاثوليـك وبروتسـتانت واعتبـار كل منهـما ينتمـي إلى قوميـة مختلفـة ليـس صحيحـاً فـإن فصـل الأيزيديـة عـن الكـورد إجحـاف"[1] .

1 مؤتمر السلام في لوزان، السجل الرسمي، ترجمة أ.د. سيهال ميراي، تقديم عصمت إينونو، المجلد 1، الكتاب 1، دار نشر جامعة أنقرة، قسم العلوم السياسية، 1969، ص345.

النتيجة

كـما نلاحـظ، فـإن الكـورد في الإحصائيتـين يشـكلون أغلبيـة ملحوظـة. وكان يعتمـد عـلى الكـورد وسـيلةً لحسـم كافـة الأمـور. فمـن أجـل الحصـول عـلى المزيـد مـن مصـادر النفـط، ومحـاصرة القضيـة الكورديـة في المسـتقبل، كان الجانـب الـتركي يريـد الإبقـاء عـلى الموصـل – كركـوك في إطـار الميثـاق الوطنـي. وكانـت بريطانيـا مـن منطلـق الموقـع الجيوسـياسي وبغيـة الاسـتحواذ عـلى المنطقـة الغنيـة بالـثروات الطبيعيـة تحـت الأرض، تقـترح سـلطة حكـم ذاتي للشـيخ محمـود البرزنجـي كحـل سـهل للمشـكلة، قبـل رفعهـا إلى لجنـة الموصـل وعصبـة الأمـم. وبعـد كثـير مـن الأخـذ والـرد والمنـاورات الذكيـة البريطانيـة، أحبطـت المسـاعي التركيـة، وآلـت القضيـة إلى مـا هـي عليـه اليـوم.

باختصـار، كان الكـورد هـم الذيـن دفعـوا ضريبـة لـوزان. مـا يعنـي أن الـدول الغربيـة وفي مقدمتهـا بريطانيـا سـاومت بميسـوبوتاميا وكوردسـتان، وضحـى الأتـراك بالكـورد مـن أجـل ضـمان حصولهـم عـلى أرض الأناضـول.

ممثلية لواء كركوك في العهد الملكي بين العامين 1921 - 1958

د. آري بادينانى

تعد مدينة كركوك مدينة كبيرة مقارنة بالمدن التي كانت قائمة وقتئذ، وبنيت في الأصل كقلعة على تلة دائرية، على عهد اللولوبيين الذين حكموا المنطقة ، حوالي 2500 سنة ق.م، ودخلت المدينة وتوابعها تحت حكم الخوريين والميتانيين لفترة من الزمن وكذلك الكوتيين[1]، ثم سيطر عليها الآشوريون بين سنوات (668ق.م – 626 ق.)[2]، وأسكنوا عددا كبيرا من الآشوريين فيها ، وسميت المقاطعة باسم حاكمها. أحتل المقدونيون المنطقة، وأصبحت كركوك تابعة للاسكندر المقدوني، وبعد وفاته أصبحت ضمن ممتلكات سلوقس (312ق.م – 235ق.) ، وعرفت بـ (كرخا ديبيث سلوقس) وظلت كذلك حتى العام 256 ق.م، عندما احتلها الفرثيون، ثم الفرس ، حتى دخلها المسلمون[3].

كانت مناطق كركوك ميدان حرب بين الدول والإمبراطوريات، ومنطقة شد وجذب للهجرات التي رافقت الجيوش أو القبائل، ما أدى إلى دخول أعراق وفئات

1 جمال رشيد احمد ، كركوك في العصور القديمة ، دار ئاراس للطباعة (اربيل ، 2002) .

2 عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق قديما وحديثا ، ط3 ، مطبعة العرفان ، (صيدا ، 1958) ، ص218

3 عزيز سامي ، "كركوك عبر القرون" ، مجلة الإخاء (قارداشليق)، العددان (11-10) ، (بغداد ، 1973)، ص3

جديـدة إلى المنطقـة أثـرت عـلى ديمغرافيتهـا. لاسـيما في عهـود دول القـره قوينلـو والآق قوينلـو والعثمانيـين ، ثـم هجـرات القبائـل العربيـة التـي كانـت تتنـازع فيـما بينهـا عـلى الـكلأ والمـاء ويدفـع بعضهـا بعضـاً ليسـيطر عـلى مناطقهـا، وهـذا كان ماثـلاً للعيـان في مناطـق كركـوك لاسـيما قبائـل العسـاف والعبيـد والجبـور والبـو حمـدان في مناطـق ملحـة وداقـوق، بعـد عبورهـم سلسـلة جبـال حمريـن.

دخلـت كركـوك رسـميا ضمـن سـيطرة الدولـة العثمانيـة بموجـب معاهـدة سـنة 1555م بـين الدولـة الصفويـة والدولـة العثمانيـة[1]. أصبحـت كركـوك مركـز ولايـة عثمانية عرفـت بــ شـهرزور في القـرن التاسـع عـشر، يتبعهـا عـدد مـن الألويـة وهـي كركـوك وأربيـل والسـليمانية[2]، وظلـت تعـرف باسـم شـهرزور إلى سـنة 1892[3]، مـع أنهـا أصبحت لـواءً ضمـن ولايـة الموصـل عندمـا اتخـذت الموصـل شـكل ولايـة قائمـة بذاتهـا سـنة 1879م[4]، وقـد اختلفـت التسـميات التـي عرفـت بهـا كركـوك عـبر الأدوار التاريخيـة، ومنهـا كرخـا ديبيـث سـلوقس ، كرخـا ، كاركـوك، كاراخـورا، باجرمـي وغيرهـا[5].

كان سـنجق (لـواء) كركـوك بموجـب سـالنامة سـنة 1911، يتألـف مـن أقضيـة كركـوك واربيـل وروانـدوز وكويسـنجق ورانيـة وكفـري (الصلاحيـة)[6]، وفي عهـد الحكومـة العراقية التـي شـكلها الانكليـز كان لـواء كركـوك يضـم خمسـة أقضيـة بموجـب كتـاب وزارة الداخليـة المرقـم (7711) في 23 - 25 نيسـان 1921، وهـي كركـوك وتتبعـه خمـس نـواحٍ هـي (ملحـة، التـون كوبـري، شـوان، قـره حسـن، طـاووق)، وقضـاء كفـري وتتبعـه ثـلاث نـواحٍ وهـي (طوزخورماتـو، زنكنـة، قـره تبـة،) وقضـاء اربيـل ويضـم اربـع نـواحٍ وهـي

1 عـلي شـاكر عـلي ، تاريـخ العـراق في العهـد العثـماني 1638 – 1750 : دراسـة في أحوالـه السياسـية ، مطبعـة أوفسـيت الشـعب ، (الموصـل ، 1984) ، ص ص 154 ، 197-196

2 عزيز سامي ، المصدر السابق ، ص 23 .

3 الأرشـيف العثـماني ، الموصـل وكركـوك في الوثائـق العثمانيـة 1726 – 1916م ، ترجمـة د. خليـل عـلي مـراد و د. عـلي شـاكر عـلي ، (الموصـل ، 1995) ، نسـخة خطيـة محفوظـة في مكتبـة مركـز دراسـات الموصـل ، ص 24 .

4 إبراهيـم خليـل أحمـد ، "التشـكيلات الإداريـة والعسـكرية في ولايـة الموصـل أواخـر العهـد العثـماني" ، مجلـة بـين النهريـن ، العـددان (38-37) ، (الموصـل ، 1982) ، ص 148-147 .

5 عبد الجبار محمود السامرائي ، "كركوك مدينة الذهب الأسود" ، مجلة الفيصل ، العدد (134) ، (السعودية ، 1988) ، ص 13-12.

6 كمال مظهر احمد ، كركوك وتوابعها: حكم التأريخ والضمير، ج1 ، مطبعة رينوين، (اربيل ، د.ت)، ص 41.

(مخمـور، قـوش تبـة، كويـر، شـقلاوه)، وقضـاء كويسـنجق ويضـم ناحيـة طـق طـق، وقضـاء روانـدز ويتألـف مـن أربـع نـواحٍ وهـي (ديـره ، برادوسـت، شـيروان، بالـك)[1]، وقـد طـرأت عـلى كركـوك تغيـيرات إداريـة بعـد أن تأسسـت الدولـة العراقيـة في 23 آب 1921م، وقسـم العـراق إلى أربعـة عـشر لـواءً (محافظـة)، وكان لـواء كركـوك احدهـا وقسـم إداريـا إلى أربـع أقضيـة تتبعهـا عـشر نـواح[2].

الاحتلال البريطاني لكركوك وآثاره

احتلـت بريطانيـا كركـوك عـلى مرحلتـين، إذ اسـتطاعت خـلال شـهري نيسـان وأيـار مـن سـنة 1918 السـيطرة عـلى كركـوك وتوابعهـا، لكـن الظـروف العسـكرية التـي مـرت بهـا القـوات العسـكرية البريطانيـة كانـت سـبباً في تراجعهـا وتركهـا المنطقـة، مـما سـهل عـودة العثمانيـين للسـيطرة عـلى المنطقـة مـن جديـد[3]. يـورد لونكريـك (Longrigg) بـان الانسـحاب شـكل نقمـة عـلى العلاقـات البريطانيـة مـع الأهـالي في المنطقـة ، بسـبب المظـالم التـي ارتكبهـا الأتـراك ضـد السـكان بحجـة عـدم مقاومـة الأهـالي للانكليـز[4].

وجـد الانكليـز بـأن الـضرورات العسـكرية تقتـضي التقـدم تجـاه كركـوك والتـون كوبـري مـن جديـد في محاولـة لمنـع إرسـال وحـدات مـن الجيـش العثـماني إلى جبهـة دجلـة، فقـد تحـرك رتـل بريطـاني بقيـادة الجـنرال لايـن (loin) نحـو كركـوك في 18 تشريـن الأول 1918 ، فاحتـل طـوز خورماتـو ثـم طـاووق (داقـوق) ، وفي 23 مـن تشريـن الأول تمكـن مـن احتـلال تـازة خورماتـو، وواصـل تقدمـه نحـو كركـوك فلـم تصمـد أمامه القـوات العثمانيـة ، فانسـحبت مـن كركـوك إلى التـون كوبـري ، فاحتلهـا الانكليـز في 28

1 عبدالله غفـور، التشـكيلات الإداريـة في جنـوبي كورسـتان 2007-1921 (إرادات ملكيـة، مراسـيم جمهوريـة، القـرارات، البيانـات، أوامـر)، ط2، مطبعـة خـاني (دهـوك ، 2008)، ص 10-9.

2 الياهو دنكور ، الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936 ، دنكور للطبع والنشر ، (بغداد ، 1937) ، ص ص 59 ، 123 .

3 محمد امين العمري ، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى 1914 - 1918 ، ج 3 ، مطبعة النجاح ، (بغداد : 1935) ، ص 154-168 .

4 سـتيفن همسـلي لونكريـت ، العـراق الحديـث مـن سـنة 1900 إلى سـنة 1950 :تأريـخ سـياسي ، اقتصـادي واجتماعـي ، ج 1 ، ترجمـة وتعليـق : سـليم طـه التكريتـي، مطبعـة حسـام ، (بغـداد : 1988) ، ص 162 - 163 .

تشريـن الأول، ثـم احتلـوا التـون كوبـري في 31 مـن الشـهر نفسـه[1].

وقـد أسـس الانكليـز مجلـس إدارة مؤلـف مـن (12) عضواً لمسـاعدة الحاكم السـياسي البريطـاني ، كان سـتة منهـم مـن الكـورد وهـم (احمـد خانقـاه، احمـد حمـدي افنـدي، جميـل بابـان، عمـر آغـا، الشـيخ حميـد الطالبـاني، رضـا بـك)، وثلاثـة مـن التركـمان وهـم (مجيـد افنـدي، حسـين بـك النفطجـي، حاجـي جميـل) وحسـين العـلي عـن العـرب وقسـطنطين افنـدي عـن المسـيحيين وحسـقيل افنـدي مـن اليهـود[2]. ويذكـر التقريـر البريطـاني عـن كركـوك، بـأن الانكليـز أبقـوا عـلى موظفيهـا القدمـاء أي موظفـي الزمـن العثـماني وزعـماء القبائـل مـن الاقطاعيـين والاغـوات لان السـلطات البريطانيـة لم تتبـع سياسـة مركزيـة قاسـية في منطقـة كردسـتان خوفـاً مـن إثـارة زعـماء القبائل فيهـا، الذين كانـوا يتمتعـون بنـوع مـن الاسـتقلال الـذاتي خـلال العهـد العثـماني[3].

استفتاء العام 1918:

بعـد أن أحكمـت بريطانيـا سـيطرتها عـلى العـراق ، أرادت وزارة الخارجيـة البريطانية الوقـوف عـلى رغبـة الشـعب العراقـي في نـوع الحكـم الـذي يرغـب بـه[4]، فأبرقـت وزارة الخارجيـة إلى وكيـل الحاكـم الملـكي البريطـاني العـام – ولسـن (Wilson) في 30 تشريـن الثـاني 1918 ، تطلـب فيهـا أن تقـوم السـلطات البريطانيـة باسـتفتاء الأهـالي في العـراق حـول النقـاط الآتيـة:

1. تأليف حكومة عربية مستقلة تحت حماية بريطانيا .
2. رئاسة الحكومة من قبل أمير عربي .
3. الشخص الذي يرغبونه في رئاسة الحكومة[5].

1 محمد أمين العمري ، تاريخ حرب العراق ، ص -206 268 .

2 كمال مظهر احمد ، كركوك وتوابعها: حكم التأريخ والضمير، ج1، ص 107-106.

3 علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق 1921-1914، أطروحة دكتوراه (جامعة بغداد، كلية الآداب، 1991)، ص 236.

4 محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ج3، المطبعة العصرية (بغداد:1925) ، ص 22.

5 عبـد اللـه الفيـاض ، الثـورة العراقيـة الكـبرى سـنة 1920 ، مطبعـة الإرشـاد ، (بغـداد : 1963) ، ص 167؛ عـلي الـوردي ، لمحـات

ويذكـر الأدهمـي أن فكـرة الحكومـة الوطنيـة وتنصيـب أمـير عـربي كانـت تـدور في الأذهـان وقتـذاك[1]، أمـا ولسـن فقـد أراد أن يبرهـن العكـس لحكومتـه حيـث عمـل جاهـدا في بيـان رغبـة الشـعب العراقـي في اسـتمرار الإدارة البريطانيـة المبـاشرة بشـتى الوسـائل، فقـد اسـتدعى الحـكام السياسـيين ، وطلـب منهـم الحصـول عـلى المضابـط المؤيـدة لسياسـته عـن طريـق مقابلـة رؤسـاء العشـائر والشـخصيات البـارزة سراً[2]. وجرى الاسـتفتاء في اغلـب مناطـق العـراق ، ومـن بينهـا منطقـة كركـوك وفـق إرادة ولسـن مـن خـلال جهـود الحـكام السياسـيين وفـق الخطـة التي رسـمها ولسـن (البطش والإرهـاب)[3].

الاستفتاء في كركوك

تمكنـت السـلطات البريطانيـة مـن الحصـول عـلى مضبطتـين في لـواء كركـوك جاءتـا وفـق إرادة ولسـن ، فقـد حملـت الأولى (17) توقيعـا مـن رؤسـاء العشـائر العربيـة والكورديـة والوجهـاء في منطقـة كفـري فضلـت رئاسـة أمـير عربي، مـع التأجيل في مسـألة التعيـين ، وطالبـت أيضـا بوحـدة العـراق في ظـل "الحمايـة والمسـاعدة البريطانيتـين". أمـا المضبطـة الثانيـة، فقـد حملـت (17) توقيعـا أيضـا مـن وجهـاء ورؤسـاء العشـائر في منطقـة كركـوك ، أكـدت عـلى وحـدة العـراق في ظـل "المسـاعدة البريطانيـة"[4].

لم يعـبر الاسـتفتاء عـن رغبـة الشـعب العراقـي عـلى اختـلاف مناطقـه لاقتصـاره عـلى عـدد معـين مـن الأشـخاص والمتمثـل برؤسـاء العشـائر والوجهـاء المتنفذيـن الذيـن تجتمـع مصالحهـم مـع مصالـح الانكليـز، فمثـلا في منطقـة كركـوك ، لم يشـمل الاسـتفتاء جميـع مناطـق اللـواء، وحملـت المضبطتـان (34) توقيعـا فقـط وهـذا يـدل عـلى أن

اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج5 ، القسم الأول ، مطبعة الشعب ، (بغداد، 1972) ، ص 67.

1 محمد مظفر الأدهمي ، المجلس التأسيسي العراقي، ج1، دار الشؤون الثقافية (بغداد:1989)، ص 41.

2 عبدالله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى سنة 1920 ، ص 167 .

3 محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ص 24.

4 إبراهيـم خليـل احمـد ، ولايـة الموصـل دراسـة في تطوراتهـا السياسـية 1922-1908، رسـالة ماجسـتير (جامعـة بغـداد، كليـة الآداب، 1975)، ص 436 .

العـدد الأكـبر مـن سـكان اللـواء لم يشـملهم الاسـتفتاء ، وهـذا يؤكـد بطلانه ، خاصـة وان لـواء كركـوك فيـه عـشرات العشـائر ، إلى جانـب أبنـاء المـدن. ويقـول عـلي الـوردي في هـذا الصـدد ان الضابـط الانكليـزي المـشرف عـلى الاسـتفتاء في داقـوق وصلتـه برقيتـان تؤكـد إحداهـما عليـه بـان تكـون المضبطـة مؤيـدة لـلإدارة البريطانيـة، والأخـرى تؤيـد القبـول بأمـير عـربي، فلـم يكـن أمامـه إلا أن ينظـم مضبطتـين وتـم توقيعهـما مـن قبـل الوجهـاء والرؤسـاء لتجـاوز المشـكلة التـي وقـع فيهـا.

وبعـد عقـد مؤتمـر القاهـرة في سـنة 1921، وترشـيح الأمـير فيصـل لعـرش العـراق، تـم عـرض المسـألة عـلى العراقيـين ، وكانـت أغلبيـة المضابـط التـي تـم إعدادهـا في منطقـة كركـوك ضـد ترشـيح الأمـير فيصـل، فـإن عـدد الأصـوات التـي جـاءت لصالـح الأمـير فيصـل لا يتعـدى (300) صـوت بينـما الأصـوات التـي جـاءت ضـده أكـثر مـن (6000) صـوت، أي (5%) فقـط مـن الأصـوات كان لصالـح الأمـير فيصـل[1]. وهـذه كلهـا دلالات واضحـة عـلى ان المنطقـة كانـت ذات غالبيـة كورديـة وغـير مقتنعـة بجعلهـا ضمـن المنطقـة العربيـة، وقـد تبـين ذلـك جليـاً في مناقشـات مؤتمـر القاهـرة ، إذ جـرى تحديـد المناطـق الكردسـتانية في العـراق مـن تلـول حمريـن التـي تفصـل بـين السـكان العـرب وغـير العرب ، وقـد اخـبر الضابـط الانكليـزي يونـك الـذي حـضر المؤتمـر الأمـير فيصـل خـلال مناقشـة القضيـة الكورديـة صراحـة بان "السياسـة البريطانية تسـتهدف تشـجيع القوميـة العربية لا الاسـتعمار العـربي"[2].

اسـتطاعت بريطانيـا تذليـل العقبات التـي وقفت بوجهها، لاسـيما ثـورة العشرين وتمرد العشـائر، وكجـزء مـن سياسـتها لاحتـواء الوضـع، بـاشرت بالعمل على بنـاء الدولـة العراقية، فـكان لهـا ذلـك في آب 1921، ومـن اجـل بناء مؤسسـات الدولـة وتحديد شـكل العلاقة بين العـراق وبريطانيـا، كان لابـد مـن وجـود مجلـس نيـابي يقـوم بهـذه المهمة ، وتقرر تشـكيل مجلـس تأسـيسي للبـت في ثلاثـة أمـور وهـي إقـرار المعاهـدة العراقيـة البريطانيـة لسـنة 1922، والمصادقـة عـلى القانـون الأسـاسي (الدسـتور)، وتشريـع قانون للانتخابـات في البلاد.

1 كمال مظهر احمد ، كركوك وتوابعها: حكم التأريخ والضمير، ج1، ص 139-138.

2 المصدر نفسه، ص 134.

أخـذت انتخابـات المجلـس التأسـيسي وقتـاً طويـلاً نتيجـة لاضطـراب الأوضـاع الأمنية وبخاصـة في مناطـق السـليمانية وكركـوك، إذ اسـتكملت الانتخابـات التـي بـدأت في تشريـن الثـاني مـن سـنة 1922، في سـنة 1924. وجـرى انتخـاب (88) نائبـاً. وقـد أسـفرت تلـك الانتخابـات في لـواء كركـوك عـن فـوز خمسـة نـواب ، يمثـل ثلاثـة منهـم أبنـاء المدن ونائـب واحـد للعشـائر ، ونائـب واحـد للطائفـة اليهوديـة ، وهـم عـلى التـوالي، صالـح بـك النفطجـي والشـيخ حبيـب الطالبـاني عـن مدينـة كركـوك ، وجميـل بابـان عـن بلـدة كفـري، ودارا بـك الـداودة واسـحق افرايـم[1]. وهـذا يعنـي أن النـواب الكـرد كانـوا يمثلـون (75%) ، لأن السـيد اسـحق افرايـم كان يمثـل الكوتـا للمكـون اليهـودي الـذي يبلـغ عـدد الذكـور منهـم حـوالي (500) شـخص فقـط، (25%) للمكـون التركـماني، ولم يكـن لعـرب كركـوك تمثيـل في المجلـس التأسـيسي.

ومـن الجديـر بالذكـر إن بعـض المصـادر يشـير إلى أن عوائـل النفطجـي والهرمـزي مـن العشـائر الكرديـة، إلا أن الثقافـة التركمانيـة غالبـة عليهـم كونهـم مـن الطبقـة الارسـتقراطية القريبـة مـن السـلطة، فضـلاً عـن عائلـة اليعقـوبي التـي بالاصـل مـن الكـورد المسـيحيين الذيـن اسـلموا، ففـي اربيـل لا زالـت هـذه العائلـة متمسـكة بإرثهـا القومـي الكـردي. لكننـا سـجلنا أبناءهـا الذيـن تـم ذكرهـم في هـذه الدراسـة ضمـن العوائـل التركمانيـة، لأنهـا اليـوم تعـد نفسـها تركمانيـة. وهناك أسـماء كثيرة تحـوم حولها الشـكوك مـن ناحيـة العـرق. مثـل عائلـة فتاح باشـا الـذي كان الانكليـز يعدونـه تركمانيا وجـاء اختيـاره ليكـون متصرفـاً لكركـوك كونـه "يحظـى باحـترام الكـورد"[2]، لكـن الدلائـل تشـير إلى انـه مـن القوميـة الكورديـة، حيـث إن أبنـاءه ولاسـيما سـليمان فتـاح كان عـلى صلـة وثيقـة بالثـورات الكورديـة وبشـكل خـاص انتفاضـة كفـري بقيـادة إبراهيـم خـان دلـو سـنة 1920.

ناقـش المجلـس التأسـيسي العراقـي الأمـور التـي تشـكل مـن اجلهـا، فقـد شـكل المجلـس لجنـة لدراسـة لائحـة القانـون الأسـاسي وقـد مثـل لـواء كركـوك في هـذه اللجنـة

1 محمد مظفر الادهمي ، المجلس التأسيسي العراقي، ج 2 ، ص 309 .

2 كمال مظهر احمد ، كركوك وتوابعها: حكم التأريخ والضمير، ص 112.

النائـب الكـردي دارا بـك الـداودة[1]. وصـادق المجلـس عـلى اللائحـة في 10 تمـوز 1924[2].

رفعـت الحكومـة العراقيـة لائحـة قانـون انتخـاب النـواب الى المجلـس التأسـيسي في 21 تمـوز 1924، وتقـرر تشـكيل لجنـة تمثـل الألويـة كافـة، ضمـت (15) اسـما بينهـم نائـب كركـوك الشـيخ حبيـب عـلي الطالبـاني[3]. وتـم إقـرار اللائحـة في 2 آب 1924[4].

رسـم القانـون الأسـاسي (الدسـتور) نظـام الحكـم في البـلاد "العـراق دولـة ذات سـيادة وهـي مسـتقلة حـرة ملكهـا لا يجـزأ ولا يتنـازل عـن شيء منـه وحكومتهـا ملكيـة وراثيـة وشـكلها نيـابي"[5]، كـما جـاء في المـادة (28) مـن القانـون الأسـاسي أن "السـلطة التشريعيـة منوطـة بمجلـس الأمـة مـع الملـك ومجلـس الأمـة يتألف مـن مجلـسي الأعيان والنـواب..."[6].

نـال أحـد أبنـاء كركـوك شرف العضويـة في مجلـس الأعيـان ، فقـد اختـار الملـك فيصل الأول عبـد اللـه صـافي اليعقـوبي عضـواً لمجلـس الأعيـان وقـد تكـرر تعيينـه في المجلـس ، وبقـي عضـواً فيـه طـوال سـت عـشرة سـنة (1925 - 1941)[7].

تمثيل كركوك في مجلس النواب

يتألـف مجلـس النـواب بالانتخـاب بنسـبة نائـب واحـد عـن كل عشريـن ألف نسـمة مـن الذكـور[8]، دورة المجلـس أربعـة اجتماعات، ويجتمع المجلس سـتة أشـهر من كل سـنة، ويعطـل سـتة أشـهر في الحـالات الاعتياديـة[9]. وقـد قسـم العراق بموجـب المـادة الثانية من

1 محاضر المجلس التأسيسي العراقي ، ج 1 ، الجلسة (6) في 10 نيسان 1924، ص 127 .

2 جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد (237) ، 27 تشرين الأول 1924.

3 جريدة الوقائع العراقية ، العدد (242) في 13 تشرين الثاني 1924 .

4 جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد (264)، 29 كانون الأول 1924.

5 الحكومة العراقية ، القانون الأساسي وتعديلاته ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1954) ، المادة الأولى .

6 المصدر نفسه ، المادة (28) .

7 مجيد خدوري ، نظام الحكم في العراق ، ترجمة فيصل نجم الدين الأطرقجي ، مطبعة المعارف ، (بغداد، 1946) ، ص 185-182.

8 الحكومة العراقية ، القانون الأساسي وتعديلاته، المادة (36) .

9 المصدر نفسه ، المادة (38) ، الفقرتين (1، 2)

قانـون انتخـاب النـواب لسـنة 1924، إلى ثـلاث مناطـق انتخابيـة، وكان لـواء كركـوك ضمن المنطقـة الانتخابيـة الأولى، وضـم أربعـة أقضيـة هـي كركـوك (المركـز) وكفـري وجمجـمال وطوزخورماتـو تتبعهـا إحـدى عـشرة ناحيـة، وعُـدّ كل قضـاء منطقـة انتخابيـة باسـتثناء قضـاء كركـوك تـم تقسـيمه إلى منطقتـين انتخابيتـين، تضـم الأولى مدينة كركـوك وناحيتي قـره حسـن وملحـة، أمـا الثانيـة فتضـم ناحيتـي التـون كوبـري وشـوان ورحالـة عشـائر العبيد[1].

بـدأت الانتخابـات النيابية للـدورة الأولى في جميـع الألوية العراقية في 8 حزيـران 1925، لانتخـاب (88) نائبـاً في المجلـس، وقـد فـاز عـن لـواء كركـوك (4) نـواب هم الشـيخ حبيب الطالبـاني وسـعيد الحـاج حسـين ورفيـق خادم السـجادة ونشـأت إبراهيم (تـركي)[2].

اشـترط عبـد المحسـن السـعدون في تشـكيل وزارتـه الثالثـة (14 كانـون الثـاني 1928 - 20 كانـون الثـاني 1929) حـل المجلـس النيـابي ، فوافـق الملـك عـلى ذلـك ، وبالفعـل وبعـد أيـام قليلـة من تشـكيلها قامـت الحكومة بحـل المجلـس ، وأصـدرت وزارة الداخلية أوامرهـا إلى كافـة المتصرفـين بالبـدء بإعـداد الترتيبات اللازمـة للبدء في الانتخابـات الجديدة مـع الإشـارة إلى العمـل لضـمان فـوز مرشـحي الحكومـة[3].

بـدأت الانتخابـات النيابيـة في 8 شـباط 1928 ، واسـتمرت حتـى 9 أيـار مـن العـام نفسـه[4]، وجـاءت نتيجتهـا بفـوز الـذوات محمـد عـلي قـيردار وسـعيد الحـاج حسـين ومصطفـى اليعقـوبي ومحمـد فتاح الجـاف[5]. ولم يكن للعرب أي تمثيـل في الـدورات الأولى، وذلـك يعـود إلى قلـة عددهـم مـن جهـة وكونهـم قبائـل شـبه بدويـة مـن جهـة أخـرى. وكذلـك الأقليـات الدينيـة، وبالنسـبة للأقليـات فـان قانـون الانتخـاب لم يقـر نظـام الكوتـا في لـواء كركـوك.

1 فهمي عرب آغا وفاضل محمد، ماذا في كركوك، مطبعة التتويج (كركوك : 1957)، ص 24.

2 جريدة العراق ، العدد (1552) في 11 حزيران 1925 .

3 لطفي جعفر فرج ، عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، مطابع الرسالة (الكويت:1978) ، ص 250 - 252 .

4 جريدة العراق ، العدد (2439) في 27 نيسان 1928 .

5 جريدة العراق ، العدد (2451) في 11 ايار 1928 .

شكل نوري السعيد حكومته الأولى في 23 أيار 1930، واستحصل إرادة ملكية بحل مجلس النواب في 1 تموز 1930، تمهيداً لانتخاب نواب الدورة الثالثة (1 تشرين الثاني 1930 - 4 تشرين الثاني 1932) لتصديق معاهدة سنة 1930 التي وقعتها الحكومة العراقية مع بريطانيا ، بحجة ان المعاهدة وضعت البلاد في مرحلة جديدة تتطلب الرجوع إلى الشعب.

باشرت الحكومة بإجراء الانتخابات في 10 تموز 1930، وانتهت في 16 أيلول 1930 في جميع الألوية العراقية، وقد أسفرت في لواء كركوك عن فوز كل من محمد علي قيردار وحبيب علي الطالباني ومصطفى اليعقوبي وسليمان فتاح[1].

دخل العراق عصبة الأمم في الثالث من تشرين الأول من العام 1932، فاستقالت على أثره وزارة السعيد الثانية في 27 تشرين الأول 1932، على اعتبار ان مهمتها انتهت بنهاية الانتداب، فاسند الملك فيصل الوزارة إلى ناجي شوكت في 3 تشرين الثاني 1932، وأصدر إرادة ملكية بحل المجلس في 8 تشرين الثاني[2].

أراد شوكت أن يترك الانتخابات كما يريدها الشعب دون التدخل فيها ، الا ان البلاط رأى وجوب التدخل فيها لضمان فوز عدد من المرشحين المؤيدين له، وقد سبب بعض المحاولات لإيقاع الوقيعة بين شوكت والملك استقالة شوكت، فقد قدم استقالته في 11 آذار 1933 بعد ان تأكد من منح الثقة لوزارته لإثبات حياد وزارته قبل ان يجتمع مجلس النواب[3]، وكانت الانتخابات قد أسفرت عن فوز الذوات جميل بابان والشيخ حبيب الطالباني وفوزي علي ومحمد علي قيردار في لواء كركوك[4].

لم تشهد انتخابات الدورة الخامسة (29 كانون الأول 1934 - 9 نيسان 1935)، التي أجريت بعد حل مجلس النواب في 4 أيلول 1934، وقد أسفرت نتائجها عن فوز كل من خليل زكي ومحمد علي قيردار ومحمد الحاج نعمان الونداوي

1 د . ك . و، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9525 / 32020 ، وثيقة رقم (1) ، ص 3 .

2 ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عاما 1894 - 1974 ، ط 2 ، مطبعة دار الكتب ، (بيروت 1975) ، ص 208-205.

3 المصدر نفسه ، ص 223 - 2334 .

4 محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الرابعة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة 1933 ، الجلسة (1) في 18 آذار 1933 ، ص 4 .

وحبيب الطالباني وجميل بابان[1]، الا ان المجلس لم يجتمع سوى (20) جلسة فقط حيث صدرت الإرادة الملكية بحله في 29 نيسان 1935، وجرت الانتخابات في حزيران وانتهت في 4 آب 1935، وأسفرت عن فوز الذوات خليل زكي و سليمان فتاح وفائق الطالباني وعلي رضا العسكري وداود الجاف ودارا الداودة عن لواء كركوك[2].

استقالت حكومة ياسين الهاشمي الثانية على إثر الانقلاب العسكري الذي حدث في العراق في 29 تشرين الأول 1936، وتشكلت وزارة جديدة برئاسة حكمت سليمان[3]، وفي اليوم التالي لتشكيلها أقدمت على حل المجلس النيابي، وحددت يوم 10 كانون الأول موعدا لبدء الانتخابات على ان تنتهي قبل يوم 20 شباط 1937 [4]. وأسفرت نتائجها في لواء كركوك عن فوز الذوات احمد آغا الكركوكلي والشيخ عاصي العلي وعبد القادر الطالباني وحسين النفطجي ومحمد برقي ويوسف عز الدين إبراهيم[5].

وبعد اغتيال الفريق بكر صدقي (قائد الانقلاب) في الموصل بتاريخ 11 آب 1937، استصدرت الوزارة الجديدة إرادة ملكية بحل مجلس النواب في 26 آب 1937 [6]. وخضعت انتخابات الدورة الثامنة (23 كانون الأول - 22 شباط 1939) لسيطرة الحكومة التامة ، فقد وصفت هذه الانتخابات بأنها كانت " مجرد مسرحية يخرجها رئيس الوزراء (جميل المدفعي) ووزير الداخلية (مصطفى العمري)"[7]، وقد أسفرت الانتخابات في لواء كركوك عن فوز كل من حسين النفطجي واحمد اليعقوبي وجميل بابان والشيخ عبد

1 محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1934 ، الجلسة (1) في 29 كانون الأول 1934 ، ص 3 .

2 محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية السادسة ، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1935 ، الجلسة (1) في 2 تشرين الثاني 1935 ، ص 4 .

3 حسين جميل ، الحياة النيابية في العراق 1925 - 1946 : موقف جماعة الأهالي منها ، مطبعة الأديب البغدادية ، (بغداد : 1983) ، ص 229 .

4 حازم المفتي ، العراق بين عهدين ، ياسين الهاشمي وبكر صدقي ، مطبعة سومر ، (بغداد : 1990) ، ص 103 .

5 جريدة البلاد ، العدد (804) في 21 شباط 1937 .

6 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، ملفة رقم 2287 / 32050 ، وثيقة رقم (1) ، ص 1 .

7 عبد الزهرة مكطوف يوخان الجوراني ، الحياة البرلمانية في العراق 1939 - 1945 دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1983) ، ص 16 .

الوهـاب الطالبـاني واحمـد آغـا الكركـوكلي والشـيخ عـاصي العـلي[1] .

شرعـت الحكومـة بإجـراء انتخابـات الـدورة التاسـعة (12 حزيـران 1939 - 9 حزيران 1943) بعـد صـدور إرادة ملكيـة بحـل المجلـس في 22 شـباط 1939 [2]. وقـد حصـل عـلى المقاعـد النيابيـة السـتة للـواء كل مـن امـين الهماونـدي وداود الجـاف ودارا الـداودة وجميـل قـيردار وفائـق الطالبـاني ومحمـد الحـاج نعـمان الونـداوي[3].

بعـد إكـمال المجلـس دورتـه الانتخابيـة في 9 حزيـران 1943 ، صـدرت الإرادة الملكيـة بحلـه ، وقـد اصـدر وزيـر الداخليـة - تحسـين العسـكري - في وزارة نـوري السـعيد السـابعة (8 تشريـن الأول 1942 - 19 كانـون الأول 1943) أوامـره إلى المتصرفيـات ومنهـا متصرفيـة لـواء كركـوك ، لغـرض الـشروع في الانتخابـات العامـة وتمـت انتخابـات الثانويـين في لـواء كركـوك نهايـة شـهر آب 1943، وتـم انتخـاب النـواب في 5 تشريـن الأول مـن العـام نفسـه[4].

وقـد جـاءت نتيجـة هـذه الانتخابـات مؤيـدة لسياسـة السـعيد حيـث فـاز معظـم نـواب الـدورات السـابقة ، فقـد كان جميـع نـواب كركـوك الفائزيـن في هـذه الانتخابـات مـن نـواب الـدورات السـابقة وهـم جميل قـيردار وعبـد الوهـاب الطالبـاني وداود الجاف ودارا الـداودة وسـليمان فتـاح ومحمـد الحـاج نعـمان الونـداوي[5].

في اليـوم الأخـير مـن حيـاة وزارة السـويدي الثانيـة (23 شـباط 1946 - 30 أيـار 1946) صـدرت إرادة ملكيـة بتعطيـل مجلـس النـواب لمـدة سـتة أشـهر إلا ان المجلـس عـاد واجتمـع في اليـوم التـالي للبـت في الميزانيـة العامـة لسـنة 1946 الماليـة ، وبعـد ان أنهـى المجلـس مهمتـه ، اسـتصدرت حكومـة السـعيد التاسـعة التـي تولـت إدارة دفـة الحكـم في 21 تشريـن الثـاني 1946 ، إرادة ملكيـة بحـل المجلـس في يـوم تشـكيلها ، بحجة

1 جريدة الزمان ، العدد (308) في 20 كانون الأول 1973 .

2 عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج 6 ، ط7 ، دار الشؤون الثقافية (بغداد:1988)، ص 64.

3 جريدة الاستقلال ، العدد (3368) في 6 حزيران 1939 .

4 عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج 6 ، ط7 ، ص 163 .

5 محاضر مجلس النواب ، الدورة الانتخابية العاشرة ، الاجتماع غير الاعتيادي لسنة 1943 ، الجلسة (1) في 9 تشرين الأول 1943 ، ص 3 .

انتقال الوضع العالمي من حالة حرب إلى حالة سلم رغبة في استطلاع رأي الشعب في تسيير سياسة البلاد وفق نهج جديد[1].

اختلفت انتخابات الدورة الحادية عشرة (17 آذار 1947 - 22 شباط 1948) عن الدورات السابقة ، حيث جرى طبقا لأحكام قانون انتخاب النواب الجديد رقم (11) لسنة 1946، فقد اقر تصغير الدوائر الانتخابية بحيث جعل اللواء أكثر من دائرة انتخابية ، إلى جانب اعتماده أسساً جديدة كالترشيح والتزكية ، فضلاً عن رفع عدد المقاعد النيابية من (115) مقعداً إلى (138) مقعداً نتيجة للزيادة الحاصلة في عدد السكان[2]، ففي لواء كركوك وصل عدد النفوس من الذكور فيه إلى (150820) نسمة ، وبذلك يكون عدد نواب كركوك (8) نواب[3]. كما كان لانتخابات هذه الدورة طعم مختلف في ظل وجود أحزاب المعارضة العلنية التي أجيزت في نيسان عام 1946. وقد فاز عن لواء كركوك كل من سليمان فتاح ومحمد الونداوي وداود الجاف وامين الهماوندي ودارا الداودة بالتزكية ، وامين قيردار وكامل اليعقوبي وفاضل الطالباني بالانتخاب[4].

باشرت الوزارة باجراء انتخابات الدورة الثانية عشرة (21 حزيران 1948 - 30 حزيران 1952)، وقد تفننت الحكومة في استخدام الأساليب التي من شأنها إبعاد المرشحين غير المرغوب فيهم ، عن طريق رفض تسلم التأمينات ، خلال المدة القانونية والتهديد وغيرها[5].

ويبدو ان الحكومة لم تهتم إلى أمر برقيات الاحتجاج الكثيرة على الانتخابات، وواصلت جهودها في إبعاد المرشحين الذين لم ينالوا ثقة الحكومة وخير دليل على ذلك فوز جميع نواب كركوك بالتزكية وهم احمد اليعقوبي وعبد الوهاب الطالباني

1 عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج 6 ، ط7 ، ص 305.

2 عبد المجيد كامل عبد اللطيف ، الحياة البرلمانية في العراق 1945 – 1953 دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1983) ، ص 66.

3 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، ملف رقم 9525 / 32050 ، وثيقة رقم(213) ، ص 241 .

4 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9525 / 32050 ، وثيقة رقم (340) ، ص 387 .

5 عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج7، ص 327 .

وعـلي خـادم السـجادة (المنطقـة الأولى) ، وناجـي الهرمـزي (المنطقـة الثانيـة) ، وعبد الله سـليمان البيـاتي (المنطقـة الثالثـة) ، وداود الجـاف ومحمـد الونـداوي (المنطقـة الرابعـة)، وامـين الهماونـدي (المنطقـة الخامسـة)[1] .

حـل مجلـس النـواب في 30 حزيـران 1952 ، بعـد ان أنهـى دورته الانتخابيـة فأصدرت حكومـة نـور الديـن محمـود (23 تشريـن الثـاني 1952 - 22 كانـون الثـاني 1953) بيانـاً حـول انتخابـات الـدورة الثالثـة عـشرة (24 كانـون الثـاني 1953 - 28 نيسـان 1954)، حـددت فيـه يـوم 17 كانـون الثـاني 1953 موعـدا لبدئهـا ، عـلى ان تجري اسـتناداً إلى المرسـوم رقـم (6) لسـنة 1952 [2]. وقـد جـرت الانتخابـات في ظـل الأحـكام العرفيـة المعلنـة، وشـهدت تدخـلات الحكومـة باسـتخدام الأسـاليب المعروفـة السـابقة، وقـد أسـفرت نتائجهـا عـن فـوز حـزب الاتحـاد الدسـتوري بـ (77) مقعـداً ، (6) مقاعـد منهـا لنـواب كركـوك وقـد حازهـا كل مـن كامـل اليعقـوبي وداود الجـاف وابراهيـم النفطجـي وفاضـل الطالبـاني وعبدالله سـليمان البيـاتي بالانتخـاب ، بينـما فـاز امـين الهماونـدي بالتزكيـة ، وقـد فـاز مـن المسـتقلين كل مـن امـين قـيردار ومحمـود بابـان بالانتخـاب[3].

اسـتقالت وزارة الجـمالي الثانيـة في 19 نيسـان 1954 ، وقـادت هـذه الاسـتقالة الملـك فيصـل الثـاني (1953 - 1958) إلى البحـث عـن وزارة تمـاشي رغبـة البـلاط وتديـن لـه بالـولاء، واجتمـع الملـك بعـدد مـن رؤسـاء الـوزارات والأحـزاب السياسـية حـول سياسـة البـلاد الجديـدة ونوعيـة الـوزارة ، وقـد اجمـع المجتمعـون عـلى حـل مجلـس النـواب وتأليـف وزارة محايـدة. وقـع اختيـار الملـك عـلى ارشـد العمري لتشـكيل الـوزارة الجديـدة فألفهـا في 29 نيسـان 1954 ، وكانـت باكـورة أعمالهـا حـل المجلـس في اليـوم الأول مـن تشـكيلها[4].

كانـت انتخابـات الـدورة الرابعـة عـشرة (26 تمـوز 1954 - 3 آب 1954) في لـواء

1 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9525 / 32050 ، وثيقة رقم (212) ، ص 238 .

2 عبـد الكريـم ياسـين رمضـان ، الحيـاة النيابيـة في العـراق 1953 - 1958 دراسـة تاريخيـة ، رسـالة ماجسـتير، (جامعـة بغـداد ، كليـة الآداب ، 1987) ، ص 29 .

3 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9585 / 32050 ، وثيقة رقم (173) ، ص 197 .

4 عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج 9 ، ط7 ، ص 109 .

كركـوك أكـثر أهميّـة مـن معظـم الألويـة العراقيـة ، ففـي المنطقـة الانتخابيـة الثانيـة والتـي تشـمل ناحيتـي التـون كوبـري وشـوان ورحالـة العبيـد ، تدخلت الحكومة بشـكل سـافر في الانتخابـات[1]. وعـلى مـا يظهـر ان الانتخابـات في لـواء كركـوك كانـت تجـري دائماً وفقـا لإرادة الحكومـة التـي كانـت تسـيطر عـلى مجرياتهـا بشـكل كامـل.[2]

أسـفرت نتائـج الانتخابـات عـن فـوز (4) مرشـحين لحـزب الاتحـاد الدسـتوري وهـم كامـل اليعقـوبي وحبيـب سـياه منصـور الطالبـاني و داود الجـاف وحسـين خانقـاه، بينـما فـاز زيـن العابديـن قنـبر اغـا مـن حـزب الأمـة الاشـتراكي بالتزكيـة بعـد انسـحاب مرشـح حـزب الاتحـاد الدسـتوري جهـاد الونـداوي ، وفـاز ثلاثـة نـواب مـن المسـتقلين وهـم محمـود بابـان وعبدالله حسـن آوجـي، وأمـين الـذي فـاز بالتزكيـة[3].

قـدم ارشـد العمـري اسـتقالة وزارتـه في 17 حزيـران 1954 بعـد أن تمـت الانتخابـات العامـة ، فاسـند الملـك الـوزارة إلى نـوري السـعيد فشـكلها في 3 آب 1954 ، واسـتصدر إرادة ملكيـة بحـل المجلـس في 26 تمـوز 1954 بعـد ان عقـد المجلـس جلسـة واحـدة فقـط. وقـد أبرقـت وزارة الداخليـة إلى متـصرفي الألويـة ومـن ضمنهـم متصرفيـة لـواء كركـوك لاتخـاذ التدابـير اللازمـة لإجـراء انتخابـات الـدورة الخامسـة عـشرة (16 أيلـول 1954 - 27 آذار 1958) ، وحـددت يـوم 12 أيلـول 1954 موعـداً لإجرائهـا في جميـع الألويـة العراقيـة[4].

وجـرت الانتخابـات النيابيـة في اليـوم المحـدد لهـا ، دون حـوادث تذكر في لـواء كركوك، تمخـض عنهـا فـوز ممثـلي حـزب الاتحـاد الدسـتوري بالأغلبيـة وهـم كل مـن إبراهيـم النفطجـي وحسـين خانقـاه وكامـل اليعقـوبي وامـين الهماونـدي بالتزكيـة ، فيـما فـاز داود الجـاف عـن قضـاء كفـري بالانتخـاب ، وفـاز مـن المسـتقلين كل مـن امـين قـيردار

1 د . ك . و ، ملفات البلاط الملكي ، الملف رقم 1543 / 311 ، وثيقة رقم (2) ، ص 2 .

2 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9527 / 32050 ، وثيقة رقم (103) ، ص 120 .

3 د . ك . و ، ملفـات وزارة الداخليـة ، الملـف رقـم 9527 / 32050 ، وثيقـة رقـم (93) ، ص 110 ؛ المصـدر نفسـه ، وثيقـة رقـم (95) ، ص 112 .

4 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9584 / 32050 ، وثيقة رقم (81) ، ص 86 .

بالتزكيـة ومحمـود بابـان وسـلمان بيـات بالانتخـاب[1]، وفـاز عـن الأقليـة المسـيحية نعمـة اللّـه هنـدي بالتزكيـة في 29 تشريـن الثـاني 1956 ، بعـد انسـحاب كل مـن المرشـحين يوسـف اليـاس ويوسـف انطـوان[2].

أنهـى المجلـس دورتـه في 27 آذار 1958 ، وقـد اسـتصدرت حكومـة السـعيد الرابعـة عـشرة (3 آذار 1958 - 14 أيـار 1958) ، إرادة ملكيـة بحـل المجلـس ، وأصـدرت وزارة الداخليـة أوامرهـا إلى جميـع المتصرفيـات في30 آذار 1958 بإجـراء انتخابـات الـدورة السادسـة عـشرة (10 أيـار 1958 - 14 تمـوز 1958) في يـوم 5 أيـار 1958 [3].

بـدأت الانتخابـات في اليـوم المحـدد لهـا، وأسـفرت عـن فـوز (118) نائبـاً بالتزكية كان بينهـم (29) نائبـاً انتخبـوا لأول مـرة [4] ، ففـي لـواء كركـوك فـاز جميـع النـواب بالتزكيـة وهـم الدكتـور نجيـب اليعقـوبي وكاكا حمـه خانقـاه وابراهيـم النفطجـي ونذيـر قـيردار عـن قضـاء كركـوك، ومحمـود بابـان وداود الجـاف عـن قضـاء كفـري وسـلمان بيـات عن قضـاء طـوز خورماتـو ومحمـود فهمـي الهماونـدي عـن قضـاء جمجـمال ، وقسـطنطين فتوحـي عـن المسـيحيين[5] .

الحكومـات العراقيـة المتعاقبـة وعـلى مـدى سـت عـشرة دورة انتخابيـة ، لم تتوقـف عـن التدخـل في مجريـات الانتخابـات النيابيـة في جميـع الألويـة العراقيـة ومـن ضمنهـا لـواء كركـوك والـذي كان مـن السـهل عـلى تلـك الحكومـات ترشـيح نوابهـا فيـه ، وقـد تركـت هـذه الإجـراءات أثـراً سـيئاً عـلى الحياة النيابيـة في العـراق ، حيث كانـت المجالس عرضـة للحـل مـن قبلهـا ، إذ نجـد إنهـا أقدمـت عـلى حـل المجلـس ثـلاث عـشرة مـرة .

كان لنـواب كركـوك دور واضـح في الحيـاة النيابيـة تحـت قبـة مجلـس النـواب، ولاسـيما داود الجـاف وسـليمان فتـاح ومحمـود بابـان ونشـأت ابراهيـم، وجميـل بابـان ، وعـلي خـادم السـجادة وسـعيد قـزاز وغيرهـم.

1 المصدر نفسه ، الملف رقم 9585 / 32050 ، وثيقة رقم (44) ، ص 111 .

2 المصدر نفسه ، الملف رقم 9586 / 32050 ، وثيقة رقم (51) ، ص 54 .

3 المصدر نفسه ، الملف رقم 9527 / 32050 ، وثيقة رقم (375) ، ص 434 .

4 الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج 10 ، ط7 ، ج 10 ، ص 221 .

5 د . ك . و ، ملفات وزارة الداخلية ، الملف رقم 9587 / 32050 ، وثيقة رقم (1) ، ص 2 .

كان النـواب الكـرد يمثلـون الأغلبيـة بـين ممثـلي كركـوك في مجلـس النـواب العراقـي خـلال العهـد الملـكي، مـع أنهـم لم يكونـوا يمثلـون العـدد الحقيقـي لاسـيما في بعـض الـدورات الانتخابيـة، وهـذا يعـود بالطبـع الى سياسـة الحكومـات العراقيـة التـي كانـت تتدخـل بشـكل سـافر في الانتخابـات هـذا مـن جهـة كـما كانـت للأسـماء التـي فـازت في تلـك الانتخابـات مكانـة لـدى السـلطة وهـم مـن المتنفذيـن اقتصاديـا وسياسـيا واجتماعيـا وعسـكريا، وخـير دليـل عـلى التدخـل الحكومـي ، ان مـن بـين خمـس عـشرة دورة انتخابيـة، اسـتطاعت ثـلاث منهـا فقـط إكـمال دورتهـا، بينـما الـدورات الأخـرى تـم حـل المجلـس قبـل إكمالـه دورتـه الانتخابيـة. وقـد كان تأثـير الطبقـة العامـة في المجتمـع محـدوداً في سـير العمليـة الانتخابيـة، لاسـيما إذا علمنـا بـان الانتخابـات كانـت تجـري عـلى درجتـين (مرحلتـين)، لـذا فـان المتابـع لا يجـد توازنـا في التمثيـل العـددي بمـا يتناسـب مـع حجـم المكونـات، فالحالـة تختلـف مـن دورة إلى أخـرى.

مكونات كركوك حسب الدورات الانتخابية (1925 - 1958)

رقم الدورة	عدد ممثلي كركوك	الكورد	التركمان	العرب	اليهود	المسيحيون	نسبة الكورد الى المكونات الأخرى
الأولى	4	3	1	-	-	-	%75
الثانية	4	2	2	-	-	-	%50
الثالثة	4	2	2	-	-	-	%50
الرابعة	4	3	1	-	-	-	%75
الخامسة	5	3	2	-	-	-	%60

السادسة	6	5	1	-	-	-	%83
السابعة	6	4	1	1	-	-	%67
الثامنة	6	3	2	1	-	-	%50
التاسعة	6	4	2	-	-	-	%67
العاشرة	6	4	2	-	-	-	%67
الحادية عشرة	8	5	3	-	-	-	%63
الثانية عشرة	8	4	3	1	-	-	%50
الثالثة عشر	8	4	3	1	-	-	%50
الرابعة عشر	8	4	4	-	-	-	%50
الخامسة عشر	9	4	4	-	-	1	%45
المجموع	92	54	33	4	-	1	%59

كركوك – الموصل
من الأمس إلى اليوم

سعيد ڤەرۆژ

1 - تذكرة تاريخية مختصرة:

المناطق التي يشار إليها في المصادر التاريخية المختلفة بـ"شارزور"، "شهريزور"، "شهريزوور"، "شهرزور" وتعتبر كركوك مركزها الإداري، كانت عبارة عن موقع جغرافي غني بموارد طبيعية تحت الأرض وعلى سطحه، وتعيش فيه جماعات لها أفكارها وانتماءاتها القومية والعرقية جنباً إلى جنب بعض.

وقد باتت هذه المنطقة منذ اكتشاف حقول النفط الغنية فيها في القرن الماضي محط اهتمام القوى الدولية. لهذا أصبحت المنطقة بما فيها كركوك الحالية ذات ماض مختلف، بعد أن كانت في الفترات التاريخية المختلفة تخضع لسلطات محلية وأجنبية مختلفة.

كركوك التي بنيت على تلة في أرض منبسطة، "يحدها من الشمال الغربي نهر الزاب الصغير، ومن الجنوب الغربي سلسلة جبال حمرين، ومن جنوب الشرق وادي ديالى وتحيطها سلسلة جبال زاغروس من جهة شمال الشرق"[1]. يعود تاريخ بناء كركوك بصورة تقريبية إلى العام 1300 قبل الميلاد. فقد حكمها

1 دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 6، ص589، جامعة أسكي شهر أناضولو قسم الفنون الجميلة، 1997.

اللولوبيون والغوتيون والحوريون والميتانيون، وهؤلاء جميعاً يعتبرهم المؤرخون أسلاف الكورد. وإضافة إلى هؤلاء امتدت سلطة آشور، أكد، بابل، ميد، فارس، الساسانيين، الأمويين، العباسيين، الأيوبيين والعثمانيين إلى هذه المنطقة في فترات مختلفة. يعود تاريخ بناء قلعة كركوك، التي هي أول مكان سكنه الناس من المدينة، إلى القرن الثالث قبل الميلاد، أما الأبنية وعمارة محيط القلعة فتعود إلى القرن السابع عشر.

ومنذ بداياتها إلى اليوم، أطلقت على كركوك أسماء مختلفة. ففي عصر الساسانيين كانت تسمى "كرميكان"، وتسميها المصادر الآشورية "بيث غرما" وكذلك "كرها" و"بيث سلوخ" مثلما يكشف عنه غ. هوفمان. وبعد أول حكم آشوري للمدينة، شيد برج في قلعتها، ولهذا اكتسبت المدينة اسم سلوقية (سليوكس)، وحسب رواية نوري الطالباني فإن الكتّاب في العصور الوسطى كانوا يسمون المنطقة "كرميان" .

وأطلق المسيحيون هنا تسمية "Karx" على المدينة [1]. وإضافة إلى هذا وردت أسماء: كرك، أرابخا، كوركورا، كرخيني، كيركوري في فترات مختلفة. أما اسم كركوك بصيغته الحالية، فقد ورد للمرة الأولى في كتاب "تيمور" لمؤلفه شرف الدين علي اليزدي.

وتزامن قدوم العرب إلى المنطقة مع أول انتشار للإسلام في عهد عمر ابن الخطاب، ويقابل ذلك على وجه التقريب الفترة بين العامين (700 - 750م). بعد ذلك حكم الأمويون والعباسيون والحمدانيون والعنازيون هذه المنطقة. وفي العام 1185م خضعت منطقة شهرزور لحكم صلاح الدين الأيوبي، وفي العقد الثالث من القرن الثالث عشر خضعت لحكم العباسيين من جديد. وفي تلك الفترة كانت أربيل مركز المنطقة. وأدت هزة أرضية قوية ثم الاحتلال المغولي (في 1245م) إلى دمار كبير في شهرزور.

أما التركمان، فجاء أغلبهم في زمن السلاجقة في حوالى الفترة (1075 - 1100م)

1 دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 6، ص589، جامعة أسكي شهر أناضولو قسم الفنون الجميلة، 1997.

كمرتزقة وموظفين إلى المنطقة. "جيء بسكان آسيا الوسطى إلى المنطقة كعبيد ومرتزقة للعباسيين ومن تلاهم. وهؤلاء دخلوا في الإسلام مع مرور الزمن وتعلموا العربية والفارسية وأصبحوا جزءاً من تراث المنطقة". وفيما بعد مع خضوع المنطقة لسلطة العثمانيين ومع إقامة المعسكرات استقر بعض الموظفين الإداريين والجنود في المنطقة وامتلكوا فيها عقارات ومارسوا التجارة وتزاوجوا مع سكان المنطقة المحليين وارتبطوا معهم بعلاقات مصاهرة.

وهكذا ارتفع عدد السكان التركمان في عموم العراق وفي مدن مثل كركوك وأربيل وفي جنوب كوردستان. ويتبع حوالى نصف تركمان العراق وكوردستان المذهب الشيعي.

عندما جاء العرب والتركمان إلى هذه المنطقة، لم تكن المنطقة مهملة لا صاحب لها، بل كان السكان المحليون الكورد أصحابها. وفي أواخر العصر العباسي (1250م) ضُمت كركوك وأربيل ومدن منطقة شهرزور الأخرى إلى العراق.

وفي العام 1514م، وبناء على اتفاق بين الكورد والإمبراطورية العثمانية ضم قسم كبير من كوردستان الشمالية إلى الإمبراطورية العثمانية. ثم في العام 1517م، ضمت إليها دياربكر، وفي 1534م ضم العراق بما في ذلك جنوب كوردستان إلى الحكم العثماني. وفي مرحلة الصراع العثماني الإيراني، وبالرغم من أن الصفويين سيطروا عدة مرات ولفترات قصيرة على المنطقة، فإنها بقيت بصورة عامة خاضعة للحكم العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

1.1 التقسيم الإداري العثماني

بعد أن خضعت المنطقة للحكم العثماني، ترسخت فيها الإدارة العثمانية شيئاً فشيئاً. وتم حسب هذا النظام اتباع نظام الولايات في العراق العربي وفي

جنوب كوردستان. وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن (جهاننامة) كاتب جلبي، الذي نشر في العام 1732م، ذكر بأن "ولاية شهرزور تتألف من 32 وحدة إدارية (سنجق) وكركوك واحدة منها، وبعد خراب مدينة شهريزور، أصبحت كركوك مركز الولاية". وحسب (دفتر تحرير) العام 1560م، فإن ولاية شهرزور ومركزها الإداري هو "زَلْم" تتألف من عشرة سناجق وسبع نواحٍ و2014 قرية. وعدد بيوت الولاية هو 5010 بيوت. منها 4952 بيتاً مسلماً و58 بيتاً يهودياً. وعدد سكان الولاية 25 ألف نسمة. وحتى أواسط القرن السابع عشر كان عدد سناجق ولاية شهريزور أحد عشر سنجقاً. وقد شهدت مدينة كركوك في النصف الثاني من القرن السابع عشر المزيد من التقدم وباتت عاصمة الولاية[1] . ويحدد (تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني) حدود ولاية شهرزور على النحو الآتي: "تحدها من الجنوب ولاية بغداد، وتحادد من الغرب الموصل وحكومة العمادية، ومن الشمال جولة ميرغ وآذربيجان، وتتصل من الشرق ببلاد فارس".

وفي إطار القانون الإداري للولايات، الصادر عن السلطة العثمانية في العام 1870م، تم تقسيم المنطقة إلى ولايتي بغداد والموصل. ونتيجة لهذا التغيير تم في العام 1879م نقل مركز الولاية من كركوك إلى الموصل، وهكذا ضُم جنوب كوردستان المكون من سناجق الموصل وكركوك والسليمانية، خلا خانقين وتوابعها، إلى ولاية الموصل. وبعد هذا باتت الموصل المركز الإداري لجنوب كوردستان وظلت خاضعة لإدارة الإمبراطورية العثمانية حتى التوقيع على هدنة مودروس في نهاية الحرب العالمية الأولى.

1.2 ملاحظات الرحالة الاقليميين والأجانب عن كركوك

وإلى جانب ما أورده المؤرخون والجغرافيون، فإن المعلومات التي أوردها

1 مركز الدراسات الإسلامية للوقف الديني التركي، http://www.islamansiklopedisi.info/dia/pdf/c38/c380268.pdf

الرحالة حتى وقت قريب، عن ولاية شهرزور وكركوك، تحظى بأهمية كبيرة لزيادة الموضوع وضوحاً. وتزودنا هذه المصادر بمعلومات هامة تتعلق بتركيبة المنطقة من النواحي التاريخية، الجغرافية، الخصوصية الاجتماعية، الديموغرافيا، الثقافة والتكوين العرقي.

وعلى هذا الصعيد، ولزيادة الموضوع وضوحاً، أورد بعض الأمثلة. جاء في (بلدان الخلافة الشرقية) للمستوفي: "كانت شهرزور في القرن الثامن عشر مدينة مزدهرة سكانها من الكورد"، ويقول الرحالة إبن المهلهل، الذي تجول في المنطقة في تلك الفترة، عن كركوك: "تتكون منطقة شهرزور من عدد من المدن والقصبات، وهناك ستون ألف بيت كوردي في هذه المنطقة".

وفي (معجم البلدان) لياقوت الحموي الذي تم تأليفه في مطلع القرن الثامن، وأعاد ويستفيلد طبعه في لايبزغ في ست مجلدات خلال الفترة (1866 - 1873م)، يورد ذكر أربيل ويشير إلى أن: "غالبية سكانها من الكورد"، وكانت أربيل في تلك الأيام مركز ولاية شهرزور.

وفي المجلد الخامس من (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي، وهو أحد أهم المؤرخين الرسميين للدولة العثمانية، ثم معلومات هامة جداً عن كركوك، إذ يتحدث عن الموقع الجغرافي للمدينة، عدد سكانها، الأقليات القومية والعرقية فيها، المؤسسات المعنية بالخدمات الاجتماعية والثقافية، النتاجات التاريخية، الحياة التجارية، الانتاج الزراعي والموارد المعدنية المستخرجة من تحت سطح الأرض وفوقها، وعلى هذا النحو: "كركوك: في ولاية كوردستان الموصل، تقع على مسافة 160 كيلومتراً جنوب شرق الموصل على قدمات مجموعة من التلال، وعلى حدود سهل فسيح، والمدينة هي مركز سنجق شهرزور الواقع على (مضيق أدهم)... ويحاددە من الشرق قضاء السليمانية ومن الشمال قضاءا كويسنجق وأربيل ومن الغرب سنجق الموصل ومن الجنوب ولاية بغداد ومن جنوب الشرق قضاء صلاح الدين. ويضم خمس نواحي هي: ملحة،

طوزخورماتو، آلتون كوبري، كيل وشيفان، و352 قرية، وتعداد سكانها ثلاثون ألف نسمة، وفيها قلعة و36 مسجداً، سبع مدارس، 15 تكية، 12 خاناً، 1272 دكاناً، وثمانية حمامات وجسر على النهر، ومدرسة متوسطة (الرشدية)، 18 مدرسة للأطفال، ثلاث كنائس، ومعبد لليهود (كنيس).

وتقع قلعة المدينة فوق تلة، وأحياؤها على الجانب الأيمن من النهر، وثلاثة أرباع سكانها من الكورد والبقية من التركمان والعرب وغيرهم، وفيها أيضاً 760 يهودياً و460 كلدانياً".

ويتحدث الجغرافي الشهير الأستاذ بسيم داركوت عن الموصل وكركوك، ويشير إلى أنها: "تختلف عن العراق، فتكوينها السكاني، وطريقة معيشتهم يشبهان بصورة ملحوظة ما هو قائم في آمد (دياربكر). وفي الأصل، كانت جغرافيا الموصل بعد الحرب العالمية الأولى، وفي الوثائق الجغرافية الغربية مختلفة عن العراق وتعتبر جزءاً من منطقة الجزيرة".

وهناك العديد من المصادر والوثائق الأخرى التي يمكن تعدادها، لكن لا داعي للإطالة لأن الوثائق التي سبق عرضها تثبت أن كركوك وبحسب المصادر التاريخية منطقة تدخل ضمن جغرافيا كوردستان وتبين تلك المصادر أنها مدينة كوردية. إضافة إلى ذلك، فإن كركوك التي هي مركز منطقة شهرزور، ذات تاريخ موغل في القدم وكانت على مر العصور مسكناً للعديد من القبائل والقوميات وذات تراث منوع ومركزاً للتعايش بين العديد من القوميات المختلفة. وفي أيامنا هذه هي ذات غالبية كوردية ومسكن للعرب، التركمان، الآشوريين، الكلدان، السريان، اليهود والأرمن.

2 - تأسيس الدولة العراقية

سقطت الدولة العثمانية وانقسمت نتيجة الحرب العالمية الأولى، وبهذا انتهى نفوذها الذي خيّم على المنطقة 400 سنة. وأقرت الأطراف الموقعة على

هدنة (مودروس) في 30 تشرين الأول 1918م، وحسب المادة السابعة منها، بحق الحلفاء في شن هجمات واحتلال أراضٍ، في حال شعرت بوجود تهديد. فاحتلت انجلترا العراق وجنوب كوردستان وهي منطقة غنية بالبترول. ففي 7 نيسان 1918م، احتلت القوات الانجليزية كركوك والسليمانية. هذا إلى جانب التوقيع على اتفاقية سايكس - بيكو في العام 1916م والتي اعتبرت العراق وجنوب كوردستان من حصة انجلترا. وكان الانجليز قد اكتشفوا وجود النفط في هذه المنطقة في العام 1890م.

تم تأسيس الدولة العراقية في 28 آب 1921م في ظل الانتداب البريطاني، وتم تتويج الملك فيصل الأول ابن الشريف حسين أول ملك لهذه الدولة الجديدة. وفي ظل السياسة النفطية والداعمة للعرب، التي انتهجها البريطانيون، تم تقسيم المنطقة وضم الموصل وكركوك وكامل جغرافيا جنوب كوردستان إلى خريطة دولة العراق حديثة التشكيل.

لم يخضع الكورد في أي وقت لنفوذ الحكام العرب ولا لنفوذ العراق. فقد اجتمعت في وقت سابق الشخصيات البارزة، رؤساء العشائر والقبائل وعلماء الدين مع الشيخ محمود البرزنجي واتحدوا. وصدرت عن اجتماعهم رسالة موجهة إلى القائد العسكري البريطاني في كركوك، طالبوا من خلالها بإقامة حكومة كوردستان وتنصيب الشيخ محمود رئيساً لتلك الحكومة. وافق الانجليز على الطلب، وتأسست أولى حكومة لكوردستان في العام 1919م وتم تتويج الشيخ محمود ملكاً عليها. لكن بسبب المواقف المختلفة للحكام الانجليز برزت مشاكل ولم تدم حكومة كوردستان طويلاً. وفي 19 حزيران 1919م، هاجمت القوات البريطانية بتحريض من جماعة الضباط الكماليين، حكومة كوردستان واندلعت معارك بين الجانبين، أدت إلى إصابة الملك محمود بجروح ثم أسره من قبل الانجليز، فكانت تلك نهاية حكومة كوردستان.

وبعد فترة، اندلعت المعارك مجدداً، وتم إلقاء القبض على الشيخ محمود

في العام 1924م وانتهى الكفاح المسلح، وتم نفي الشيخ محمود إلى الهند.

وفي العام 1925م، ونتيجة لتقرير لجنة تابعة لعصبة الأمم، تقرر إلحاق كركوك وولاية الموصل بالسلطة المشكّلة حديثاً في العراق. وبعد تنفيذ القرار، أصدرت عصبة الأمم مجموعة توصيات وجهتها إلى سلطات الانتداب البريطاني تقضي بـ"التعامل الجيد مع الكورد، وتعيين الكورد في المدارس والمحاكم، والإقرار رسمياً باللغة الكوردية"، لكن البريطانيين أخضعوا جنوب كوردستان في العام 1934م لسلطة الحكومة العربية في بغداد ولم تنفذ مقررات وتوصيات عصبة الأمم المتعلقة بالكورد. ومنذ ذلك الحين، وبالرغم من الكثير من المد والجزر اللذين شهدتهما العلاقات بين الكورد والانجليز، لم يتصالح الطرفان أبداً. في السنوات الأولى انتهجت الحكومة العراقية سياسة معتدلة تجاه الكورد، لكن الحكومات المتتابعة بعد ذلك انتهجت سياسة تعريب ممنهجة وكانت حصة الأسد من سياسة التعريب موجهة ضد كركوك.

3 - سياسة التعريب

مع تشكيل الدولة العراقية الحديثة أصبحت مشكلة ولاية الموصل، أو الجزيرة، مشكلة عميقة بين سلطات الانتداب البريطاني وحكومة تركيا. ولتحديد مصير ولاية الموصل، عمل الجانبان خلال الفترة 1922 - 1924م، ونسّقا معاً ونقلا القضية إلى عصبة الأمم. وفي العام 1925م قررت عصبة الأمم إلحاق جنوب كوردستان "ولاية الموصل" وضمها إلى الخريطة الجديدة للدولة العراقية. وبعد تلك المرحلة، أولت الحكومة العراقية اهتماماً كبيراً بهذه المنطقة، لكي تجعلها متناسقة مع الخريطة السياسية الجديدة للدول العربية، واتبعت لتحقيق هذا الهدف العديد من الأساليب وأصدرت العديد من القرارات وكثفت جهودها لتجعل غالبية السكان في هذه المنطقة من العرب. واتخذت عدة خطوات إدارية مستعجلة، وأهملت توصيات عصبة الأمم الخاصة بإقرار

التعدديـة الثقافيـة، وبـدأت تضغـط عـلى مناطـق ولايـة الموصـل كثـيراً. وحسـب التعـداد العـام للسـكان في سـنة 1957م، كانـت النسـب السـكانية في كركـوك كالآتي: 48.% مـن الكـورد، 28.2% مـن العـرب و21.4 مـن التركـمان.

في 14 تمـوز 1958م، وقـع انقـلاب عسـكري في العـراق أنهـى الحكـم الملـكي. ولكسـب تأييـد الكـورد مهّـد الزعيـم عبدالكريـم قاسـم لعـودة رئيـس الحـزب الديمقراطـي الكوردسـتاني، مـلا مصطفـى البـارزاني، ورفاقـه مـن منفاهـم في الاتحـاد السـوفييتي إلى العـراق، كـما قـام بتعديـل الدسـتور ليصـف العـراق بأنـه "دولـة الكـورد والعـرب"، لكنـه بعـد فـترة قصـيرة خالـف الدسـتور، مـا اضطـر الكـورد لبـدء الثـورة المسـلحة في أيلـول 1961. وفي العـام 1963م انقلـب القوميـون العـرب عـلى عبدالكريـم قاسـم وأسـقطوا حكمـه مـن خـلال انقـلاب عسـكري.

بعـد هـذه المرحلـة، أجـرت الحكومـات العراقيـة، بطريقـة ممنهجـة، تغيـيرات ديموغرافيـة وانتهجـت سياسـة التعريـب في كركـوك والمناطـق المحيطـة بهـا. واتبعـت سياسـة الإبـادة مـن خـلال التهديـد، الإبعـاد، الترحيـل القـسري، التغيـيرات الإداريـة، الإبعـاد عـن الوظائـف وتغيـير القوميـة. وبهـذا انخفـض عـدد الكـورد في كركـوك بصـورة ملحوظـة. وقامـت مـن خـلال اسـتخدام القـوة، المـال والرشـوة باسـتقدام العـرب مـن محافظـات الجنـوب كالنجـف والبـصرة وإسـكانهم في كركـوك والمناطـق الأخـرى. ومـع وصـول البعثيـين إلى السـلطة وإمسـاكهم بزمـام السـلطة في العـراق مـن خـلال انقـلاب، توسـعت سياسـة التعريـب أكـثر مـن ذي قبـل، حيـث اتبعـت سـتراتيجية أشـد قـوة وتماسـكاً وفرضـت حصـاراً أشـد عـلى سـكان المنطقـة، واسـتمرت في عمليـة تعريـب لا تتوقـف.

في مطلـع سـبيعنات القـرن المنـصرم، وبضغـط مـن الاتحـاد السـوفييتي، اضطـر العـرب إلى الجلـوس عـلى طاولـة الحـوار والتفـاوض مـع الكـورد. وبعـد التفـاوض مـع مـلا مصطفـى البـارزاني تـم التوصـل إلى اتفاقيـة 11 آذار 1970م، التـي أقـرت بالحكـم الـذاتي للكـورد. وبموجـب هـذه الإتفاقيـة، تباطـأت عمليـة التعريـب

والتغيـير الديموغـرافي للمنطقـة نسـبياً. لكـن بسـبب عـدم اتفـاق الطرفـين عـلى مصـير وموقـع كركـوك، تأخـر التفاهـم والاتفـاق ثـلاث سـنوات، وقـد أحبـط عـدمُ اتفـاق الطرفـين الاتفاقيـةَ واسـتؤنفت عمليـات التهجـير القـسري والإبـادة الجماعيـة ودخـل العـداء للكـورد مراحـل أوسـع مـع عمليـات الأنفـال.

اتبعـت الحكومـات العراقيـة المتعاقبـة كافـة الإجـراءات لخفـض نسـبة الكـورد وبقيـة المكونـات لقـاء رفـع نسـبة العـرب، كـما قامـت إداريـاً بسـلخ أجـزاء مـن محافظـة كركـوك وإلحاقهـا بمحافظـات أخـرى، ففـي العـام 1976م ألحقـت قضـاء طوزخورماتـو بتكريـت، وألحقـت جمجـمال وكلار بمحافظـة السـليمانية، وكفـري بمحافظـة ديـالى، كـما كانـت قـد غـيرت اسـم محافظـة كركـوك في العـام 1972م، وأطلقـت عليهـا اسـم محافظـة التأميـم.

في 6 آذار 1975 وقّـع العـراق وإيـران إتفاقيـة الجزائـر، مـا أتـاح للحكومـة البعثيـة الهجـوم بـكل مـا أوتيـت مـن قـوة عـلى الكـورد مـا أدى إلى اضطـرار مئـات الآلاف مـن الكـورد إلى النـزوح مـن ديارهـم واللجـوء إلى الـدول المجـاورة. وكشـف التعـداد العـام للسـكان في العـام 1977م عـن تغيـرات جسـيمة في نسـب سـكان كركـوك، حيـث أظهـرت نتائـج التعـداد أن نسـبة الكـورد في كركـوك باتـت 37.53%، والعـرب 44.1% والتركـمان 16.3% والمسـيحيين 2.4%. وهكـذا وبعـد عشريـن سـنة، انخفضـت نسـبة الكـورد في كركـوك 10.77% والتركـمان 4.9%، وارتفعـت نسـبة العـرب 16.21% عـن النسـب السـابقة. أدت سياسـات التعريـب إلى نتائـج سـيئة جـداً وأحدثـت تغيـراً ديموغرافيـاً في الكثـير مـن مناطـق كركـوك. وحسـب نـوري الطالبـاني "أدى تطبيـق سياسـة التعريـب والتغيـير الديموغـرافي في كركـوك وأطرافهـا إلى آثـار خطـيرة جـداً تعـادل في خطورتهـا العمليـات الإرهابيـة، وعندمـا حـدث ذلـك، اختـار المجتمـع الـدولي السـكوت عليـه".

وقبـل حـل مشـكلة كركـوك، شـنت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة هجومهـا عـلى العـراق وأسـقطت النظـام البعثـي. وفي العـام 2005م جـرى اسـتفتاء عـلى دسـتور جديـد للعـراق وحصـل عـلى تأييد نسـبة كبيرة مـن العراقيين المشـاركين في الاسـتفتاء،

وفي نفس السنة جرت انتخابات مجلس محافظة كركوك، فحصل الكورد على غالبية المقاعد الـ41 في المجلس، حيث حصدوا 26 مقعداً فيما حصد التركمان تسعة مقاعد والعرب ستة مقاعد. وخصص الدستور العراقي المادة 140 منه لحل مشاكل المناطق التي أطلقت عليها تسمية "المتنازع عليها"، وحددت المادة 140 لحل هذه المشاكل سقفاً زمنياً ينتهي في 31 كانون الأول 2007، حيث أن المرحلة الأخيرة من مراحل الحل حسب هذه المادة هو إجراء استفتاء على مصير تلك المناطق. لكن بالرغم من مرور عشر سنوات على الموعد النهائي المحدد، إلا أن الحكومات الشيعية في العراق لم تطبق تلك المادة. ورغم المساعي العديدة التي بذلتها حكومة إقليم كوردستان، إلا أن بغداد تحججت كل مرة بحجة مختلفة لتأخير وتأجيل المسألة ولم تطبق تلك المادة ولم يجر الاستفتاء. وفي حزيران 2014 هاجم تنظيم داعش محافظة الموصل ولم يقاومه الجيش العراقي، بل انسحب دون مقاومة من كركوك أيضاً، فتولت قوات بيشمركة كوردستان حماية كركوك والمناطق المتنازع عليها وألقت على عاتقها مهمة الدفاع عنها. وفي 28 آذار 2017 قرر مجلس محافظة كركوك بأصوات 26 عضواً كوردياً في المجلس رفع علم كوردستان إلى جانب العلم العراقي في المحافظة، وكانت هذه الخطوة من الجانب الكوردي بمثابة تطبيق للمادة 140 من الدستور والتي لم تكن الحكومة المركزية في العراق تريد لها أن تطبق. وفي 25 أيلول من السنة نفسها، صوت 78% من مواطني كركوك في ظل أجواء ديمقراطية وأمام أنظار العالم بنعم لصالح استقلال كوردستان.

4 - كركوك مدينة النفط

اكتشفت بريطانيا نفط كركوك في العام 1890م، وفي العام 1916م تم التوقيع سراً على اتفاقية سايكس - بيكو بين بريطانيا وفرنسا، وأبعدت بموجبها فرنسا

عـن العـراق الـذي أخضـع للنفـوذ البريطـاني وبهـذه الطريقـة نفـذت بريطانيـا سياسـتها النفطيـة. وبـات غـاز ونفـط كركـوك موضـع اهتـمام الـدول الغربيـة التـي اهتمـت كثـيراً بهـذه المدينـة. فحسـب الوكالـة الدوليـة للطاقـة، توفـر كركـوك 6% مـن الاحتياجـات النفطيـة العالميـة و40% مـن حاجـة العـراق. ويتـم توزيـع هـذا النفـط عـلى أنحـاء العـالم مـن خـلال أنابيـب نفـط جيهـان، حيفـا، طرابلـس، الشـام وبانيـاس. وبعـد احتـلال كركـوك في 16 أكتوبـر 2017م، تقـرر إنشـاء خـط أنابيـب جديـد باتجـاه إيـران. ولنفـط كركـوك الجـم دور كبـير في مسـتقبل قيـام دولـة كوردسـتان المسـتقلة، وهـو مصـدر هـام لاقتصـاد كوردسـتان المسـتقل.

وبسـبب أهميـة كركـوك هـذه، هاجمـت القـوات العراقيـة بدعـم دولي تمثـل في إعطـاء الضـوء الأخـضر للجيـش العـربي العراقـي وقـوات الحشـد الشـعبي المدعومـة إيرانيـاً لمهاجمـة كركـوك، وسـيطرت عليهـا مجـدداً في 16 أكتوبـر 2017م. وهكـذا أعـاد سـيناريو سياسـة الدفـاع عـن النفـط نفسـه في الربـع الأول مـن القـرن الحـادي والعشريـن مسـتهدفاً اسـتقلال جنـوب كوردسـتان.

5 - ادعاءات تركيا بخصوص كركوك

بعـد تقسـيم الدولـة العثمانيـة إلى أشـلاء، توسـع التيـار الكـمالي وأسـس الجمهوريـة التركيـة الحاليـة في أنقـرة في العـام 1920م. وبالرغـم مـن أن أنقـرة لم تعـد لهـا أيـة سـلطة عـلى جنـوب كوردسـتان، لكنهـا مـن أجـل الحصـول عـلى حصـة مـن نفـط كركـوك والموصـل، فإنهـا تزعـم بـأن مشـاكلها مـع بريطانيـا أدت إلى إخـراج الموصـل وكركـوك مـن دائـرة (الميثـاق الوطنـي) وتطالـب باسـتعادتهما. وبالرغـم مـن الانتقـادات المتواصلـة التـي وجههـا البرلمانيـون الكـورد في "مجلـس الأمـة الـتركي الكبـير"، سـعى مصطفـى كـمال أتاتـورك لبسـط نفـوذ الدولـة التركيـة عـلى الموصـل وجنـوب كوردسـتان، بالرغـم مـن أنـه أقـر في محـاضر الجلسـات السريـة لهـذا المجلـس بصعوبـة السـيطرة عـلى الموصـل، لكـن الضغـوط اسـتمرت

واستمر تحذير أتاتورك من هذا، وقد قال "احتلال الموصل سهل، لكن السيطرة عليها مستحيلة".

ومازالت الادعاءات المطالبة بكركوك والموصل قائمة في وثائق الميثاق الوطني. ولكن إلى أي مدى يمكن أن يؤثر ذلك الميثاق على المعايير الدولية والحقوق والقوانين الدولية؟ وبما أن المصادقة على الوثيقة المسماة بالميثاق الوطني قد تمت خلال جلسة سرية للبرلمان التركي في 28 كانون الثاني 1920م، وتم تكليف الحكومة التركية بالإلتزام بها، لذا لا علاقة لها بالقوانين والمواثيق الدولية، والسلطات التركية تبنت العمل بهذا الميثاق من جانب واحد.

بدأت اللقاءات المرتبطة بتحديد مصير الموصل وكركوك في مؤتمر لوزان، وكان ثم حوار مثير بين رئيس الوفد التركي، عصمت إينونو، ووزير الخارجية البريطاني، اللورد كورزون، الذي كان يرأس الوفد البريطاني إلى المؤتمر. وتم التوقيع على معاهدة لوزان، لكن تركيا لم تقبل بالشروط المرتبطة بالموصل. فلم يتم التوصل إلى حل لقضية الموصل في مؤتمر لوزان، لذا نقلت بريطانيا القضيةَ إلى عصبة الأمم، التي شكلت لجنة ثلاثية برئاسة الدبلوماسي السويسري ف. ويرسين. وبعد ثمانية أشهر من المتابعة والتحقيق المستمرَّين، أعدت اللجنة تقريراً ملخصاً رفعته إلى عصبة الأمم، فعقدت العصبة في 16 كانون الأول 1925م اجتماعاً، وقيمت أوضاع المنطقة على ضوء التقرير وناقشت توصياته، وصادقت عليها بعد إجراء بعض التعديلات. وفي العام 1926م، وتنفيذاً لاتفاق وقعت عليه أنقرة، تم ضم ولاية الموصل بما فيها كركوك إلى سلطة حكومة الانتداب البريطاني التي ضمتها بدورها إلى حدود الدولة العراقية حديثة التشكيل.

وكانت توصيات تقرير لجنة عصبة الأمم تقضي بمنح تركيا 10% من نفط الموصل وكركوك، وجاء في إحدى موادها أن من حق تركيا المطالبة بحصتها من ذلك النفط نقداً، وقُدّرت حصة تركيا السنوية بخمسمائة ألف جنيه

استرليني. وتم التصويت على هذه المادة في البرلمان التركي في 6 حزيران 1926م، فتمت المصادقة عليه بـ146 نعم وصوتَي لا، وبطاقة تصويت فارغة. حصلت تركيا على هذه الحصة بدون مشاكل في الفترة الممتدة من العام 1934 حتى 1951م، وهكذا يمكننا التوصل إلى أن تركيا قد باعت كركوك والموصل منذ زمن بعيد.

ولو قمنا بتمحيص اللقاءات والاجتماعات التي جرت خلال الأعوام (1922 - 1925م) بشأن الموصل وكركوك، نجد أن الهدف الرئيس تقنياً كان الحؤول دون تحقيق الكورد لحقوقهم في الدستور الحديث للدولة العراقية الجديدة. بل أنها أعاقت منح حكم ذاتي للكورد، وهكذا خرج الكورد من تجاذبات قضية الموصل وكركوك بخفي حنين حيث لم يمنحهم الدستور أية حقوق. وبعد مرور مائة عام على ذلك التاريخ، ومهما قدمت تركيا من حجج فإنها لم يعد لها أي حق في كركوك والموصل، ولم يعد في متناولها إلا اللجوء إلى ورقة أبناء عمومتهم من القومية التركمانية لاستخدامها في سياساتها الخارجية لممارسة ضغوط جديدة وإعادة استخدام أوراقها في هذه اللعبة.

كركوك:
عُقَد التعريب

هامند رۆژه

تمهيد

تمثل كركوك صلب القضية الكوردية في الشرق الأوسط. وفي المحطة الأخيرة، اتخذت هذه المدينة رمزاً لتدمير إرادة السيادة القومية لدى الكوردستانيين. ففي الهجمة الاحتلالية الأخيرة، ديست في هذه المدينة الرموز القومية وسُحقت، إذ سارع الإيرانيون، الذين كانوا المخططين لإعادة احتلال كركوك وسائر المناطق الكوردستانية، إلى تهنئة نظرائهم الأتراك والعراقيين على: القضاء من الجذور على مشروع كوردستان المستقلة! حيث أن المشروع تم تعطيله من كركوك.

ليست كركوك مجرد مدينة أو محافظة، بل هي مركز موارد القوة البشرية والجغرافية لكوردستان. ومع كركوك، تستطيع كوردستان إكمال مشروعها السيادي. ولهذا كانت كركوك على مدى القرن الماضي مبدأ ومصدر الأحداث التي شهدها جنوب كوردستان.

ومع هذه التطورات، نتساءل: من أين جاءت مصادر أزمة كركوك لتعج

بـكل هـذه العقـد؟ ولغـرض الحصـول عـلى إجابـة، نرجـع إلى بدايـات التاريـخ الدمـوي لكركـوك ونكشـف عـن صحائفـه المخفيـة. مضمـون هـذه الصحيفـة هـو أن أزمـة كركـوك باتـت مسـألة دوليـة تتجـاوز الإرادة الكورديـة.

الموجة الأولى: العرب يصلون إلى العراق

في القـرن الثـاني، بـدأ العـرب البـدو السـاعون وراء الـكلأ الزحـف عـلى شـكل هجـرة متواصلـة صـوب أرض السـواد. اسـتمرت الموجـة الأولى لهـذه الهجـرة قرنـين أو ثلاثـة قـرون مـن الزمـن. وكنتيجـة لهـذه الهجـرة إلى صحـارى سـوريا والعـراق، تحـوّل العـرب إلى جـزء مـن النسـيج الاجتماعـي لهـذه المنطقـة (Elton L. Daniel, 2001, p.64)، ثـم تمكنـوا مـن إقامـة سـلطتين عربيتـين، الغسـانية التابعـة للـروم والحـيرة التابعـة للساسـانيين.

دامـت إمـارة الحـيرة حتـى نهايـة الدولـة الساسـانية. وكانـت العلاقـات بـين العـرب والكـورد الساسـانيين متينـة للغايـة لدرجـة أن الملـوك الساسـانيين كانـوا يودعـون أولادهـم مـن الذكـور لـدى القبائـل العربيـة لينشـأوا بـين ظهرانيهـم، وقـد نشـأ الأمـير بهـرام غـور، بهـرام الخامـس، الـذي حكـم في الفـترة (421 - 438م) (Elton L. Daniel, 2008, p81) في دار النعـمان ابـن المنـذر أمـير الحـيرة. وقـد اسـتطاع بهـرام بمسـاندة جيـش مـن عـرب الحـيرة الانتصـار عـلى أخوَيـه، نـرسي وشـهبور. حيـث دخـل بجيشـه إلى تيسـبون واحتلهـا وأعلـن نفسـه ملـكاً (حسـن بيرنيـا، 1362، 55).

وفي عهـد خـسرو الثـاني (590 - 628م) عـزل النعـمانَ ابـن المنـذر اللخمـي، بسـبب مخالفاتـه، عـن الحكـم في الحـيرة وحبسـه ثـم قتلـه. وبعـده كلـف إيـاس الطـائي بتـولي حكـم الحـيرة، ثـم هاجـم العـربَ وشردهـم بحجـة المطالبـة بأمـوال النعـمان المودعـة عنـد هـاني ابـن مسـعود الشـيباني مـن بنـي بكـر ابـن وائـل (عبدالحسـين زرينكـوت، 1363، 89)، فحمـل العـرب الغـل في صدورهـم وتفـشى

ذلك الغل بينهم ولما مزّق خسرو رسالة النبي، تحول إلى حقد كبير هو بمثابة حقد العصر.

وفي عهد الخليفة الأول، أبي بكر الصديق، بعث المثنى بن حارثة الشيباني عيناً له للتجسس في منطقة الحيرة التي كانت إمارة عربية تابعة للساسانيين، شمال غرب البصرة، وتقع على مسافة عدة فراسخ عن الكوفة والنجف. وقبلها، كان العرب الرحّل يعيشون في خيام في أرض السواد والأنبار، وكانوا يعرفون باسم تنوخ (عبدالحسين زرينكوب، 1362، 98) وكانت ثم عائلات عربية كبيرة هي عائلة عدي ابن زيد من بني تميم، وبني مورينا من آل لخم، وبُقَيلة من قبيلة أزد اليمانية.

وإضافة إلى عرب الحيرة، عاش السريان والبابليون القدماء في تلك المنطقة، وكانوا يعرفون بالنبطيين. كما عاش في الحيرة بعض اليهود، وكان أغلب العرب يعبدون الأصنام واعتنق بعضهم المسيحية وكان أغلب هؤلاء نساطرة. وكان النعمان ابن المنذر الأزدي، المعروف بالنعمان الثالث، يحكم هذه المنطقة قبل معركة القادسية (بهرام جمير روشن، 1379، 284). ويحكى أن خسرو برويز شك في ولاء النعمان فقتله وداس على جثته بالفيلة. والسبب كما يحكى هو تعاون النعمان مع بهرام الذي نشأ بين ظهراني العرب وثار على خسرو.

وبعد النعمان، أسند خسرو حكم الحيرة إلى إياس الطائي. وهكذا تراجع نفوذ العرب في المنطقة. لم يتمكن المنذر الثالث من استعادة سلطة أبيه، لذا حكم المنطقة بعد إياس قائدٌ كوردي اسمه آزادبه.

في تلك الأثناء، جاء المثنى ابن حارثة الشيباني إلى المنطقة وبدأ يحرض عرب الحيرة والأنبار على التمرد، فتصدى لهم القائد الكوردي هرمزيار في حفير عند شواطئ الخليج، في معركة عرفت بذات السلاسل، لكن هرمزيار قُتل في المعركة وبدأ العرب يزحفون شمالاً. عاد المثنى إلى المدينة عند وفاة أبي بكر، فأعاده عمر إلى العراق وأوفد معه أبا عبيد مسعود الثقفي (جرجي زيدان، 1379، 227).

عندما جاء خالد ابن الوليد إلى المنطقة، واجه كارن ابن قريانس في معركة في منطقة مزار القريبة من كوت العمارة، انتصر فيها العرب. ثم وقعت معركة ثانية في منطقة ولجة انتصر فيها خالد أيضاً، ومن هناك توجه خالد صوب أوليس ودخل فيها معركة وانتصر فيها (حسينعلي ممتحن، 1368، 132 - 134). وفي الحيرة، فر القائد الساساني آزادبه، ما رفع من معنويات العرب. وعندما بلغ خالد ابن الوليد الأنبار، بعد معركتين أو ثلاث، وقّع معه حاكم الأنبار، شيرزاد، وثيقة استسلام، فتوجه الجيش الإسلامي من هناك صوب حدود بلاد الروم.

عندها أرسل يزدجرد في طلب رستم الرخزادي ووجهه إلى العراق. فحشد رستم فلاحي السواد ضد العرب وفي معركة (بردي) على ضفاف نهر الفرات، هزم الكورد جيش العرب حيث دهست الفيلة بأقدامها أبا عبيد المسعودي الثقفي وجرح المثنى ابن حارثة الشيباني وقتلوا أربعة آلاف جندي مسلم. وطاردهم بهمن جاذويه فترة ثم توقف عن مطاردتهم (محمد جرير الطبري، أبوالقاسم بايندة، أساغير، 1365، 263).

بعد هذه المعركة بعث الخليفةُ سعدَ ابن أبي الوقاص بثلاثة آلاف مقاتل إلى العراق ليحل محل المثنى ابن حارثة الشيباني، فاجتاز سعد الفرات ونزل في القادسية، لكنه أصيب بالحمى ولم يستطع قيادة المعركة وأسند القيادة إلى خالد ابن عرفتة. وعندما اشتدت المعركة، تخلى أربعة آلاف من مقاتلي رستم عنه وانضموا إلى المسلمين، بعدما اتفقوا معهم على تقاسم الأسلاب والغنائم بعد انتهاء المعركة وإخلاء سبيلهم ليذهبوا إلى حيث يشاؤون. ويحكى أن أغلب هؤلاء كانوا من الديلم. فأدى ذلك إلى كسر عزيمة الجنود الكورد والساسانيين (عصام محمد، 1995، 271).

في اليوم الأول من المعركة، تسببت الفيلة في نفور خيل جيش العرب، وفي اليوم الثاني وصل جيش عربي من الشام. وتعلم المسلمون من الديلم أن نقطة ضعف الفيلة هي خراطيمها وعيونها فضربوها في هذه الأجزاء من

جسـمها. وهكـذا حمـي الوطيـس ودارت معركـة في اليـوم الثـاني اختلـط فيهـا الحابـل بالنابـل، وقتـل القائـدان بهمـن جاذويـه وبنـدوان (زرينكـوب، 1362، 112).

وفي اليـوم الثالـث أصيبـت الفيلـة فتراجعـت هاربـة تجـاه قـوات الجيـش الساسـاني. جـرت المعركـة باسـتخدام السـيوف والرمـاح وقتـل الكثـير مـن الجانبـين. اجتـاز رسـتم وادي عتيـق للاسـتراحة، فبـات الليلـة هنـاك، فـأدرك العـرب أن مـن عـادة الساسـانيين أن يقاتلـوا نهـاراً ويريحـوا ليـلاً، ولهـذا هاجـم جيشـان منهـم ليـلاً الجيـش الساسـاني وأوقعـوا خسـائر كبـيرة في صفوفـه.

وفي اليـوم الرابـع هبـت ريـح عاصفـة عـلى الجيـش الساسـاني، أعاقـت الرؤيـة، ولحمايـة نفسـه مـن العاصفـة اسـتتر رسـتم ببعـيره، فـرأى أحـدُ العـرب ويدعـى هـلال ابـن علقمـة البعـير وعـرف أنـه محمـل بالدراهـم والدنانـير، فقطـع بسـيفه الحبـال التـي كانـت تربـط الحمـل الـذي عـلى ظهـر البعـير ليقـع الحمـل عـلى رسـتم ويكـسر ظهـره، ومـع ذلـك توجـه رسـتم وهـو مصـاب إلى نهـر الفـرات محاولاً عبـور النهـر سـباحةً، فلمحـه هـلال وشـده إلى ضفـة النهـر وقطـع رأسـه، وحمـل الـرأس ونـادى "أقسـم أننـي قتلـت رسـتم"، وبهـذا انفـرط عقـد الجيـش الساسـاني وكتبـت لـه الهزيمـة في معركـة القادسـية (زرينكـوب، 1363، 123).

وهكـذا احتـل جيـش المسـلمين بعـد معركـة القادسـية الجانـب الغـربي مـن نهـر الفـرات، فيـما بقـي الساسـانيون والكـورد عـلى الجانـب الشرقـي منـه. لكـن جيـش المسـلمين زحـف عـلى مـدار عامـين نحـو تيسـبون واحتـل خلال فـترة قصـيرة عاصمة الساسـانيين، وغنمـوا ونهبـوا الكثـير فيهـا. وهكـذا لم تعـد ثـم مقاومـة تذكـر، وطـرَد جيـشُ المسـلمين بعـد مواجهـات عديـدة الكـوردَ والساسـانيين مـن شرق الفـرات وأجبرهـم عـلى عبـور دجلـة (عبدالعظيـم رضـائي، 1372، 210).

اقـترب الكـورد مـن مناطـق التـلال، وواصـل الكـورد والساسـانيون الانسـحاب إلى تلـك المناطـق. وانسـحب الكـورد تمامـاً إلى منطقـة التـلال عـلى مـدى أربـع سـنوات مـع اسـتمرار المعـارك والمواجهـات، لينسـحبوا منهـا إلى مشـارف الجبـال. ومـن بـين

هـذه المناطـق التـي انسـحبوا إليهـا منطقـة كركـوك التـي كانـت في تلـك الأيـام أيضـاً تعـرف بأنهـا عاصمـة شـهرزور (Homa Katouzian, 2009, 65).

الموجة الثانية: العرب يصلون إلى كركوك

في شـباط 637م، وفي فـترة معركـة جلـولاء التـي دارت في نفـس الشـهر، وصـل العـرب المسـلمون للمـرة الأولى إلى مشـارف كركـوك واحتلـوا المنطقـة بالتدريـج مـن خـلال شـن العديـد مـن الهجـمات عليهـا. ففـر بعـض سـكان المنطقـة إلى مناطـق التـلال العليـا، ورضـخ بعضهـم إلى سـلطة المسـلمين واختـار دفـع الجزيـة لهـم، وبقـي سـكان المدينـة فيهـا والتفّـوا حـول القائـد الكـوردي مهـران رازي (حسـن بيرنيـا، 1362، 69).

فأمـر مهـران رازي بحفـر خنـدق حـول كركـوك، وبـدأت أعـمال الحفـر وبقـي في المدينـة جيـش صغـير، بينـما توجـه القسـم الأكـبر مـن الجيـش صـوب جلـولاء وبـدأ بحفـر خنـدق هنـاك أيضـاً. وتوجـه سـعد ابـن أبي الوقـاص إلى حلـوان واصطـدم جيشـه بجيـش الكـورد في جلـولاء، وبـدأت معركـة طاحنـة قتـل فيهـا مهـران رازي وفـر خـرزاد نحـو قصرشـيرين وحلـوان. قتـل كثـير مـن جنـود الطرفـين وتراكـم الكثـير مـن الجثـث حـوالى المدينـة بحيـث أن رائحـة الجثـث المتفسـخة عمّـت المنطقـة كلهـا (حسـينعلي ممتحـن، 1368، 58).

جـرت مَقاتـل كثـيرة حـول كركـوك وجلـولاء، وصـدرت أوامـر مـن يزدجـرد إلى خـرزاد روخـزاد تقـضي بحشـد جيـش، فانـبرت جيـوشٌ مـن نهاونـد لتعزيـز جيـش خـرزاد، وبلغـت الأخبـار سـعد ابـن أبي وقـاص، فأرسـل بريـداً إلى الخليفة عمـر يطلـب منـه أن يـأذن لـه بالهجـوم عـلى جيـش خـرزاد، فكتـب إليـه عمـر يقـول لـه: امكـث أنـت في المدائـن وأرسـل جيشـاً مـع هاشـم ابـن عتيبـة إلى جلـولاء ليـؤدب خـرزاد (علـم در ايرانشـهر ساسـاني، بي بي سي، 2012، 27). فقـام هاشـم ابـن عتيبـة بتوجيـه فرقـد أشـمس القيـسي الكنـدي إلى مواصلـة

الفتوحات في مناطق كركوك فيما توجه هو إلى جلولاء وشهرزور.

وعندما جاء جيش المسلمين إلى جلولاء، فر قسم من سكانها صوب الجبال، وتم أسر الكثير من الأطفال والنساء والبنات، وقد كان عددهم كبيراً لدرجة أنه عندما ذكر عددهم عند عمر، قال: "أعوذ بالله من أولاد نساء جلولاء!" غنم العرب الكثير من الأسلاب بحيث ذكر بعض المصادر أن نصيب كل جيش كان ثلاثين ألف درهم (William Montgeomery, 1953, 10).

كان سعد يريد مطاردة خرزاد، لكن الخليفة عمر كتب إليه: يكفينا ما بين النهرين، ليت بين ما بين النهرين وبين أراضي ما وراء الجبال (يقصد زاغروس) جداراً لا يستطيعون ولا تستطيع العرب خرقه. فعاد سعد من هناك باتجاه منطقة كركوك. ومنذ ذلك الحين استمرت انتفاضات الكورد الذين شُردوا من ديارهم، وللقضاء عليها حشد سعد الجيوش مراراً وهاجم كركوك والمناطق الأخرى (William J. Duiker, Jackson J. Spielvogel, 145).

بعد مقتل القائد مهران رازي، اضطر الكورد الساسانيون في المنطقة وأغلب العشائر الكوردية إلى الخروج من كركوك، وبقي بعضهم في المدينة وقتل بعضهم في المواجهات، وبقي إلى جانب الكورد في المدينة قسم كبير من المسيحيين الآشوريين والمسيحيين الكورد والمزدكيين الكورد. وفرض العرب من فورهم حكم الإسلام على المدينة فخيروا سكانها بين دفع الجزية أو القتال أو الإسلام (Michael G. Morony, 1984, 565).

لم يطل العرب المكث في المنطقة، بل خلفوا وراءهم بعض المخيمات على ضفاف نهر خاصة ونهر الزاب الصغير وتوجهت بقية جيشهم صوب جلولاء، واستغرقهم الأمر خمس سنوات ليفتحوا منطقة لورستان ويتوغلوا في العمق الإيراني. وكانت شؤون المدينة تدار من قبل قائد عربي وبعض الكورد الذين تحولوا إلى الإسلام (William J. Duiker, Jackson J. Spielvogel, 15 - 149).

بعد ذلك بدأ الفارون من المدينة يعودون إليها شيئاً فشيئاً ويدخلون

في الإسلام أفواجاً. وكان الرحّل الذين يعودون في الشتاء من المراعي الجبلية إلى أطراف كركوك يضطرون إلى اعتناق الإسلام، فيما كانوا يحافظون سراً على طقوسهم الدينية القديمة، وقد عُرف هؤلاء بالزنادقة أو المانيين (Marietta Stepaniants, 2002, 162).

وتشير المصادر التاريخية العربية إلى أن المواجهات مع المشتتين الكورد في كركوك والمناطق المحيطة بشهرزور دامت طويلاً. وحسب تلك المصادر فإن الكورد الرحل كانوا كلما واتتهم الفرصة يساندون القادة المحليين المنتفضين، وعندما لا يجدون الفرصة المناسبة كانوا يرضخون مضطرين لحكم العرب المسلمين (Ann S. Lampton, 1988, 140).

كوردستان: الاستيطان العربي

أسكن جيش المسلمين قسماً منه بالقرب من المدن الكوردية لفرض تعاليم الإسلام في المنطقة. فمثلاً أسسوا البصرة أول الأمر كمعسكر تحول فيما بعد إلى مدينة جديدة. كذلك كانت الكوفة معسكراً تحول إلى مدينة عربية جديدة. وبالإضافة إلى تلك المناطق، سكن أفراد من جيش المسلمين مع عوائلهم في المدن الكوردية ودامت إقامتهم فيها (Chase F. Robinson, 2010, 198).

وتفيد المصادر بأن غالبية سكان الجانب الشرقي من الفرات كانوا من الكورد ولم يكن العرب على الجانب الغربي منه إلا قلة قليلة - قبل زحف المسلمين - لكن العرب بدأوا بعد ذلك بالعبور إلى الجانب الشرقي والاستيطان فيه. استقر العرب في القرنين الأولَين في مناطق الفرات ودجلة وحدها.

لكن سياسة توطين العرب اشتدت كثيراً في العصر الأموي، بل أن السلطات قامت في كثير من الأماكن بإجبار السكان الأصليين على إخلاء مدنهم وقراهم للعرب الذين كان أغلبهم يعمل في المجال العسكري.

وحسب المصادر، فإن قبيلة عربية تم توطينها في منطقة الموصل، ويسهب الطبري في ذكر هذه الأمور.

وهكذا اقترب العرب من مراكز مشاتي الرحل من الكورد، فكانت رحلات الشتاء للبدو العرب تلتقي في بعض المناطق مع رحلات الكورد الرحّل. وفي بعض المناطق كان الجانبان يلتقيان بهدوء وسلام ويقيمان مع بعضهما البعض بدون مشاكل، لكن المصادر التاريخية تتحدث عن أن المنطقة كانت موضع مواجهات ومشاكل مستمرة بين البدو العرب والرحل الكورد (Richard Frye, 1993, 72).

انتهج الأمويون سياسة التمييز العنصري ضد الكورد وكانوا يسمون الكورد بـ(الموالي) في إشارة إلى أنهم أذلة وعبيد. وتعني كلمة الموالي في بعض الأحيان العبيد الذين أعتقوا، وهي التسمية التي أطلقها العرب على الكورد في تلك الأيام. وكان الاسم يطلق على الكورد الذين أسلموا وعلى أهل الذمة منهم على حد سواء، وفي هذا ما لا يخفى من استصغار لهم (Touraj Daryaee, 2003, 198).

لم تكن سنتان قد مرتا بعد على معركة نهاوند، أو فتح الفتوح كما يسمونها، عندما قرر كوردي، كان قد أسر واستُعبد في معركة جلولاء ثم أسلم، أن يقتل الخليفة الثاني. هذا الرجل اسمه فيروز النهاوندي ويكنى بأبي لؤلؤة، هاجم ذات صباح الخليفة وقتله ثم عاد إلى منطقة نهاوند. وزاد هذا الأمر من الحقد والتباغض بين الجانبين وبذر بذور كراهية دامت عشرات من السنين.

وفي العصر الأموي كان القضاء والوظائف الإدارية والمناصب العسكرية محرمة على الكورد، وكانوا يرون بأن هذه المناصب هي من حق من تجري في عروقه دماء عربية. كما كانت المناصب العليا جميعاً حكراً على العرب، حتى أنهم لم يسمحوا أبداً لكوردي بإمامة جماعة فيها مصلون عرب وماكانوا يستحلون الصلاة خلف كوردي. ولم يكن العرب يسلكون نفس الدروب التي يسلكها

الكـورد، وكانـوا يلمـزون الكـورد بأنهـم "علـوج"، التـي تعنـي الجهلـة الكفـار. بـل كانـوا في أيـام الحجـاج يكـوون الكـورد ويضعـون عليهـم وشـماً يميزهـم ويمنعهـم مـن الاختـلاط بالعـرب (Marietta Stepaniants, 2002, 163).

وقـد دفعـت هـذه التصرفـات الكـورد إلى معـاداة العـرب باسـتمرار. وكانـت الجغرافيـا الكورديـة تجـذب القبائـل العربيـة باسـتمرار وعـلى مـدى 1400 سـنة، بسـبب خضرتهـا ومياههـا وخـيرات أرضهـا، ومراعيهـا ومزارعهـا الخصبـة ومصـادر مياههـا. وهكـذا توافـدت القبائـل العربيـة عـلى مـدى قـرون مـن الصحـارى باتجـاه كوردسـتان واسـتوطنوها شـيئاً فشـيئاً (Albert Habib Hourani, Malise Ruth-ven, 23 - 24).

الموجة الثالثة: تصادم الأتراك والعرب

مـع تقـدم المـد العـربي، وصلـت إلى أرض كركـوك أقـدام عنـصر ثالـث. ففـي أيـام عبدالله ابـن زيـاد (673 - 683م) تـم أسر ألـف جنـدي مـن أتـراك أوغـوز في معـارك سـيحون وجيحـون، ثـم دخـل هـؤلاء الأسرى في الإسـلام وانضمـوا إلى جيـش ابـن زيـاد وجـاؤوا إلى منطقـة كركـوك. كانـت تلـك أولى موجـات الأتـراك التـي تصـل إلى كوردسـتان.

وجـاءت الموجـة الثانيـة منهـم في عهـد الامبراطوريـة العثمانيـة، إذ تملـك التركمان أراضي وأمـلاكاً في كركـوك وسـائر مناطـق كوردسـتان. وخـلال هجـمات السـلطان سـليم انحـدر التركـمان باتجـاه العـراق. وفي عهـد السـلطان سـليمان القانـوني عندمـا تـم احتـلال بغـداد، اسـتقر التركـمان في مواقـع كثـيرة. وخـلال فـترة حكـم السـلطان مـراد الرابـع في العـام 1638م، ظهـر شريـط تركـماني امتـد من سـواحل البحـر الأبيض المتوسـط، مـاراً بـكل مـن عفريـن، أعـزاز، جرابلـس، كـري سـبي، سـنجار، تلعفـر، الموصـل، آلتـون كوبـري، كركـوك، داقـوق، طوزخورماتـو، قـرة تبـة، جلـولاء، خانقـين، قازانيـا ومنـدلي (Arshad al Hrmizi, 2003, 120).

ظهـر هـذا الحـزام التركـماني عـلى الحـدود بـين الكـورد والعـرب ليلعـب دور الخـط الفاصـل بينهـما. وبعـض هـؤلاء التركـمان مـن الأعاجـم الذيـن سـكنوا في الخـط الممتـد مـن سـنجار إلى منـدلي خـلال فـترة الهجـمات العثمانيـة. وحسـب التعـداد السـكاني للعـام 1957م، إضافـة إلى العـرب، كان الكـورد يشـكلون 13% مـن سـكان العـراق، والتركـمان 9% مـن مجمـوع سـكان العـراق، لكـن آثـار هـذا المصـدر اندثـرت فيـما بعـد.

اللغـة التركمانيـة تتبـع مجموعـة أوغـوز اللغويـة، وتركـمان العـراق مـن حيـث لهجتهـم، قريبـون إلى مجموعـة تركيـا وأذربيجـان وليـس تركمانسـتان. ومـن حيـث اللهجـات، توجـد ثـلاث لهجـات رئيسـة للتركـمان: لهجـة تلعفـر، لهجـة أربيـل، ولهجـات جنـوب كركـوك. وهكـذا اسـتقر عنـصر ثالـث في كركـوك (Yücel Güçlü - Who owns Kirkuk, 2007, 86).

الموجة الرابعة: الجغرافيا السياسية للتعريب

راحـت كركـوك ضحيـة لثـلاث ظواهـر جغرافيـة سياسـية، جغرافيـة اقتصاديـة، وجغرافيـة ثقافيـة. فهـي مـن ناحيـة الجغرافيـا السياسـية تمثـل خـط التـماس بـين كوردسـتان والعـراق، لكنهـا تـرزح تحـت ضغـوط جيوسـتراتيجيات عربيـة، إيرانيـة وتركيـة. ومـن ناحيـة الجغرافيـا الاقتصاديـة فهـي مصـدر الهيـدرو - سياسـة، أي أنهـا مصـدر للطاقـة، النفـط والغـاز، وهـذا مـا جعلهـا منـذ قـرن مـن الزمـان موضـع أخـذ ورد سـتراتيجيات الـدول. ومـن ناحيـة الجغرافيـا الثقافيـة فـإن وجـود عنـاصر متعـددة كورديـة، عربيـة، تركيـة، سريانيـة، شـيعية وسـنية جعـل المنطقـة موضـع احتـكاك ومواجهـة بـين هـذه العنـاصر.

كانـت كركـوك في العـام 1789م وحسـب التقسـيم الإداري العثـماني المركـز الرسـمي لولايـة شـهرزور. وفي العـام 1895م، جـاء تقسـيم إداري جديـد تـم مـن

خلاله تغيير اسم الولاية إلى (ولاية الموصل) وصار قضاء الموصل مركزاً للولاية وكركوك سنجقاً تابعاً للموصل، ومن هنا اختلطت مشكلة كركوك بمشكلة الموصل.

في القرن المنصرم ومع تأسيس دولة العراق، منحت هذه الدولة هوية عربية. وفي إطار التعريف العربي، بات العراق يعرف بالبوابة الشرقية للوطن العربي. وهذا التعريف ألغى أي موقع للكورد فيه. ومع أن العراق تم تعريفه في بداية العهد الجمهوري بأنه وطن مشترك للكورد والعرب، إلا أن هذا التعريف لم يجد له محلاً في الواقع العملي وبدأت سياسة إنكار الوجود الكوردي تمارس بصيغ مختلفة (غفور مخموري، عبدالله قركَيي، 2006، 50 - 78).

بعد تأميم النفط، غير البعثيون اسم محافظة كركوك إلى (محافظة التأميم). ومورست في فترة الحكم البعثي سياسات تغيير الواقع القومي والديموغرافي على أرض كركوك، ولتغيير التكوين الديموغرافي والجيو - ثقافي وتغليب العنصر العربي، تم التلاعب بالنسب السكانية في المحافظة حيث ألحقت أقضيته ونواحيه بمحافظات الموصل وصلاح الدين والسليمانية، وتم نقل آلاف المواطنين الكورد والتركمان والآشوريين إلى أربيل والسليمانية واستقدمت إلى المحافظة عشرات الآلاف من العرب الذين يعرفون بالوافدين (غفور مخموري، عبدالله قركيي، 2006، 50 - 78).

عملية التعريب لها تاريخ طويل في المنطقة، فقد كان للعرب في العام 635م إمارة عربية وحيدة هي الحيرة جنوب النجف، وكانت تابعة للإمبراطورية الساسانية، وقد نشأ بعض أمراء الساسانيين مثل بهرام الخامس عند أولئك العرب. وبصورة عامة كانت العرب تعيش فقط، حياة البداوة في حوض نهر الفرات.

بعد الغزوات العربية - الإسلامية، تم أولاً، بعد معركة القادسية تعريب حوض الفرات، لكن التعريب ما لبث أن امتد إلى حوض دجلة، وبعد سنة أو اثنتين امتدت عملية التعريب من خلال معركة جلولاء إلى حوض حمرين

وكركـوك. ومنـذ تلـك الأيـام في القـرون الوسـطى، باتـت بغـداد خـط التـماس بـين الكـورد والعـرب بعـد أن كان ذلـك الخـط في جنـوب البـصرة، أمـا في زمـن التعريـب الحديـث فقـد باتـت كركـوك تمثـل خـط التـماس بـين الكـورد والعـرب.

وهكـذا نجـد عمليـة التعريـب قـد امتـدت عـلى مـدى 1400 عـام وهـي تزحـف عـلى مهـل مـن جنـوب البـصرة وجنـوب الفـرات، لتزيـح العنـصر الكـوردي باتجـاه حـوض دجلـة، ثـم باتجـاه مرتفعـات حمريـن لتـزج بالعنـصر الكـوردي في النهايـة في المناطـق الواقعـة عنـد قدمـات السلاسـل الجبليـة. وهنـا أصبحـت كركـوك رمـزاً ودليـلاً عـلى هـذه العمليـة، وصـارت مركـزاً للـمآسي، وتنتـج هذه الرسـالة باسـتمرار. يـأتي هـذا في وقـت تريـد فيـه الحكومـات العراقيـة نقـل خـط التـماس هـذا مـن كركـوك إلى خـط آخـر يبعـد عـن أربيـل ثلاثـين كيلومـتراً وعـن السـليمانية خمسـين كيلومـتراً فقـط. وانصبـت كافـة محـاولات وجهـود البعثيـين عـلى تحقيـق هـذا الهـدف.

كركوك: الجغرافيا الطبيعية

العـراق ليـس بلـداً ذا جغرافيـا طبيعيـة موحـدة واحـدة، بـل ينقسـم عـلى ثـلاث مناطـق جغرافيـة هـي: أولاً، أرض السـواد، أو العـراق، في القسـم الجنـوبي مـن العـراق وهـو منطقـة السـهل الرسـوبي. ثانيـاً، منطقـة الجزيـرة أو الباديـة التـي تمثلهـا المنطقـة الغربيـة مـن العـراق. وثالثـاً، المنطقـة الجبليـة التـي تبـدأ مـن مرتفعـات حمريـن باتجـاه الشـمال. وهكـذا نجـد كركـوك مـن حيـث الجغرافيـا الطبيعيـة تقـع ضمـن المنطقـة الجبليـة، أي أنهـا كوردسـتانية.

وهـذا التقسـيم الطبيعـي يؤثـر عـلى التقسـيم السـياسي أيضـاً، ففـي العهـود السـابقة كان العـراق الحـالي ينقسـم إلى ثـلاث ولايـات هـي البـصرة وبغـداد والجبل. وفي العهـد العثـماني تـم تقسـيمه إلى ثـلاث ولايـات أيضـاً هـي البـصرة وبغـداد

وشـهرزور وفيـما بعـد حولـت شـهرزور إلى ولايـة الموصـل. وفي العـصر الحديـث تـم تقسـيم ولايـة الموصـل إلى محافظـات دهـوك، أربيـل، السـليمانية، كركـوك وديـالى. وبعـد أن صـارت كركـوك محافظـة تـم في وقـت لاحـق تغيـير اسـمها وسـميت محافظـة التأميـم – وبـدأت إلى جانـب هـذا التغيـير مسـاعي تغيـير التكويـن العرقي والتغيـير السـكاني والتقسـيم الجغـرافي للمحافظـة.

كركوك: الجيو - ثقافة والاثنوغرافيا

عاشـت في كركـوك عـلى طـول التاريـخ مكونـات مختلطـة بسـلام وتصالـح مـن كـورد، تركـمان، عـرب وسريـان. وباسـتثناء الوافديـن العـرب الذيـن تـم اسـتقدامهم إلى المحافظـة بصـورة تدريجيـة منـذ انتهـاء الحـرب العالميـة الأولى وحتـى نهايـة حـرب الخليـج الثانيـة، فـإن الآخريـن جميعـاً يشـكلون سـكان المحافظـة الأصليـين.

ويعتـبر الآشـوريون – السريـان أقـدم المكونـات الاثنوغرافيـة في المدينـة. ويـأتي بعدهـم الكـورد الذيـن اسـتقروا فيهـا منـذ حـوالى 2500 عـام. وفي زمـن العباسـيين (Stansfield, 2007, 70) والسـلاجقة، جـاء الأتـراك إلى المنطقـة. لكـن أغلـب التركـمان اسـتقروا في المنطقـة في أيـام العثمانيـين والصفويـين. لـذا تجـد الشـيعة مـن التركـمان يتحدثـون اللهجـة الآذريـة والتركـمان السـنة يتكلمـون التركمانيـة، واللهجتـان مختلفتـان عـن بعضهـما.

في العهـد العثـماني، رسـم التركـمان الخـط الفاصـل بـين الكـورد والعـرب، والـذي يمتـد مـن تلعفـر مـروراً بأطـراف الموصـل ثـم آلتـون كوبـري فكركـوك فبشـير، تـازة، طوزخرماتـوو، آمـرلي، داقـوق، ومنهـا إلى قـرة تبـة، قزراباط، شـاربان، خانقـين، قازانيا ومنـدلي. وفي عهـد الصفويـين عندمـا تـم احتـلال هـذه المنطقـة، تـم توطـين التركـمان الشـيعة، أي الآذريـين، فيهـا وأغلبهـم في المنطقـة الممتـدة مـن جنـوب كركـوك حتـى ديالى.

كركوك: السياسة والتعداد السكاني

لم تُـرد الحكومـات العراقيـة أبـداً إجـراء تعـداد نزيـه ودقيـق لسـكان المحافظـة. والتعـداد السـكاني الوحيـد الـذي كان موضوعيـاً بعـض الـشيء، جـرى في العهـد الملـكي، ويمكـن وصفـه بأنـه جيـد مقارنـة بالسـيئين، وجـرى في العـام 1957. أمـا عمليـات التعـداد السـكاني التـي جـرت في 1965، 1977 و1987 فقـد جـرت جميعـاً وفـق مشـيئة الحكومـات العربيـة، أي أنهـا جـرت في الأوقـات التـي كانـت فيهـا تحـارب الكـورد أو عندمـا كانـت قـد طـردت جـزءاً مـن المكـون الكـوردي مـن المدينـة، لـذا فـإن نتائجهـا لا يوثـق بهـا.

وفي العـراق الجديـد، حالـت الأسـباب السياسـية مـرة أخـرى دون إجـراء تعـداد لسـكان المدينـة، في حـين أن الدسـتور يقـضي بإجـراء التعـداد السـكاني في كركـوك في 31 تشريـن الثـاني 2007 لإكـمال مراحـل تطبيـق المـادة 140. لكـن نـوري المالـكي تـذرع بمختلـف الذرائـع للتملـص مـن إجـراء التعـداد إلى أن تمكـن مـن تأجيلـه إلى العـام 2009، ثـم تـم تأجيلـه مـن 2009 إلى 2012، وبعـد ذلـك وضـع المالـكي العمليـة عـلى الـرف رسـمياً وزحـف بقـوات عسـكرية، تحـت غطـاء عمليـات دجلـة، نحـو كركـوك، ولـولا ظهـور داعـش لـكان قـد خلـق ظروفـاً أخرى في المنطقـة.

بـيّن التعـداد السـكاني في كركـوك أن نسـبة السـكان الكـورد فيهـا كانـت 48.4% والتركـمان 21.4، والعـرب أقـل منهـما. هـذا في وقـت لم يتـم فيـه حسـاب نسـبة العـرب الوافديـن والكـورد والتركـمان المرحلـين مـن كركـوك، والذيـن لايـزال قسـم منهـم إلى اليـوم يعيـش في السـليمانية وأربيـل وبعضهـم اختـار اللجـوء إلى دول أخـرى ولم يعـد إلى المدينـة.

ويـرى خـبراء سياسـيون أن بغـداد تنـوي تغيـير ديموغرافيـا المناطـق السـنية،

ولهـذا لا تريـد إعـادة العـرب السـنة إلى ديارهـم. وهـي بهـذا تريـد أن تحـول وجـود العـرب السـنة في كركـوك وبصـورة عامـة في كوردسـتان إلى أمـر واقـع مشـابه لحالـة الفلسـطينيين في لبنـان وسـوريا والأردن! ويعتـبر هـؤلاء الخـبراء هـذه الموجـة الجديـدة عمليـة تعريـب مابعـد - حداثويـة.

النتيجة:

تـم احتـلال كركـوك مـرة أخـرى في 16 أكتوبـر 2017 مـن قبـل جيـش عـربي. وهـذه الموجـة الرابعـة مـن التعريـب التـي يتواطـأ فيهـا العـرب – الأتـراك – الشـيعة ولعبـت فيهـا إيـران دوراً حاسـماً. ويبـدو أن هـذه الموجـة سـتترك آثـاراً عميقـة في نفـس كل فـرد كوردسـتاني، لأنهـا جـاءت في أجـواء كان يفـترض فيهـا أن العـالم الديمقراطـي والمجتمـع الـدولي كانـوا فيهـا أصدقـاء للكـورد وكانـوا يباركـون للكـورد انتصارهـم عـلى داعـش. لكن أسـوأ أنـواع الاحتـلال وجرائـم الحـرب والإبـادة العرقيـة والتهجـير القـسري مـورس هـذه المـرة عـلى مـرأى مـن العـالم.

وسـتتبع عمليـة الاحتـلال موجـة رابعـة مـن التعريـب. فبعـد هـذه الهجمـة مبـاشرة احتفـل العـرب والتركـمان بهـا كأنهـا يـوم عيـد لهـم. وبـدأ العـرب الوافـدون يحتلـون مـن جديـد أراضي الكـورد ومزارعهـم وتـم تهجـير عـشرات الآلاف مـن الكـورد مـن كركـوك وطوزخورماتـو أمـام أنظـار الأمـم المتحـدة ومراقبـي حقـوق الإنسـان والعـالم الحـر دون أن يكـون هنـاك أي رد فعـل مـن أي منهـم.

ويوجـد الآن أكـثر مـن مائـة ألـف مواطـن مهجّـر مـن كركـوك، وقـد دُمـرت دُور المواطنـين الكـورد في طوزخورماتـو بالكامـل واقتُلـع عـشرات الآلاف مـن الكوردسـتانيين مـن مواطنهـم. بهـذه الصـورة تتعـرض كركـوك لموجـة جديـدة مـن التعريـب يمكـن أن نصفهـا بتعريـب مـا بعـد الحداثـة. وتدعـم تركيـا التركـمان في كركـوك، أمـا إيـران والعـراق والـدول العربيـة فتدعـم العـرب والعـرب الشـيعة في كركـوك، وبقـي الكـورد هـذه المـرة أيضـاً بـلا ظهـير أو سـند، ليجـدوا أنفسـهم شـعباً لا نصـير لـه عـلى وجـه الأرض.

خـلال كارثـة 16 أكتوبـر، تحولـت كركـوك مـن خـلال تواطـؤ إيـران والعـراق وتركيـا وتغـاضي الحلفـاء، إلى مسـتعمرة دوليـة، تكالـب الجميـع عـلى احتلالهـا.

واليـوم باتـت كركـوك العقـدة الرئيسـة لكوردسـتان، ومـا لم تفـك هـذه العقـدة، سـيكون تحقيـق السـيادة والاسـتقلال مـن المحـال.

المصادر:

- Elton L. Daniel, The history of Iran . Greenwood Press, London, 2001.
- Elton L. Daniel, CONVERSION ii. Of Iranians to Islam, Encyclopedia Iranica, 2005.
- Richard Frye, The Golden Age of Persia, 2006.
- Claude Cahen, The Cambridge History of Iran, Vol. 4.
- Albert Habib Hourani, Malise Ruthven, A history of the Arab peoples.
- M. Morony،ARAB ii. Arab conquest of Iran, Encyclopædia Iranica, 2000.
- Homa Katouzian, The Persians: Ancient, Mediaeval and Modern Iran, Yale University Press, 2009.
- Zarrinkub, The Cambridge History of Iran, Vol.
- Richard Frye, The Golden Age of Persia،1993.
- Touraj Daryaee, The Effect of the Arab Muslim Conquest on the Administrative Division of Sasanian Persis /Fars, Iran, Vol. 41 (2003).
- Marietta Stepaniants, The Encounter of Zoroastrianism with Islam, Philosophy East and West, University of Hawai'i Press, Vol. 52, No. 2 (Apr., 2002).
- Chase F.Robinson, The New Cambridge History of Islam, 2010.
- Michael G. Morony, Iraq After the Muslim Conquest،1984, Gorgias Press.
- Ann K. S. Lambton, Continuity and change in medieval Persia: aspects of administrative, economic, and social history،1988, 11th - 14th century.
- William Montgeomery Watt, Muhammad in Mecca, Oxford University Press, 1953.
- William J. Duiker،Jackson J. Spielvogel, The Essential World History،2010.
- Arshad Al Hrmizi, The Turkmen and Iraqi Homeland, 2003.
- Yücel Güçlü, Who Owns Kirkuk? Turkoman Case, 2003.

- جرجی زیدان، تاریخ تمدن اسلام، ترجمه‌ی علی جواهرکلام، چاپ نهم، امیرکبیر، تهران، ۱۳۷۹ .
- حسن پیرنیا (مشیرالدوله)، تاریخ ایران، انتشارات دنیای کتاب، ۱۳٦۲ .
- عبدالعظیم رضایی، تاریخ ده هزار ساله ایران، جلد دوم، چاپ سوم، تهران، انتشارات اقبال، ۱۳۷۲ .
- عبدالحسین زرینکوب، تاریخ ایران بعد از اسلام، چاپ سوم، تهران، انتشارات امیرکبیر، ۱۳٦۳ .
- عبدالحسین زرینکوب، بامداد اسلام، تهران، انتشارات امیرکبیر، ۱۳٦۲ .
- بهرام ضمیر روشن، فراز و فرود ایرانیان، تهران، ۱۳٦۸ .
- حسینعلی ممتحن، نهضت شعوبیه، باورداران، چاپ دوم، تهران، ۱۳٦۸ .
- محمد جریر طبري، تاريخ طبري، ترجمه‌ی ابوالقاسم پاینده، جلد سوم، چاپ دوم، اساطیر، 1365 .
- عصام محمد شبارو. الدولة العربيَّة الإسلاميَّة الأولى (٤١ - ٥١/ ٦٦١ - ٦٢٣ م). ويرايش 3. بيروت - لبنان: دارالنهضة العربيَّة (1995) 267 .
- علم در ایرانشهر ساسانی: آیا اعراب مسلمان کتا بهای ایرانیان را سوزاندند؟. بی بی سی، 27 اوت، 2012، نسخهٔ اصلی در 28 اوت 2012 .
- غفور مخموري، عبدالله قرکَيي، تعريب كردستان، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، 2006.

التغيير في الدولة والصراع في كركوك

زريان رۆژهەلاتى

تقديم

كركـوك بصفتهـا مركـز ولايـة شـهرزور، أم بصفتهـا واحـدة مـن السـناجق التابعـة لولايـة الموصـل أم محافظـة عراقيـة ومنطقـة متنـازع عليهـا، جـزء هـام مـن أرض كوردسـتان وموضـع نـزاع دائـم. وهـي تقـع عـلى مسـافة 250 كيلومـتراً مـن بغـداد في منطقـة بـين جبـال زاغـروس، ونهـري دجلـة والـزاب الصغـير وجبـل حمريـن ونهـر سـيروان (ديـالى). وهـذا مـا جعلهـا تتمتـع بأهميـة كبـيرة حتـى مـن الناحيـة الهيدروبوليتيكيـة، وهـي ذات سـهول خصبـة مـن الناحيـة الزراعيـة. وكانـت تاريخيـاً موقعـاً تجاريـاً هامـاً عـلى طريـق القوافـل التجاريـة. لكـن الـذي زاد في الأهميـة الاقتصاديـة لهـذه البقعـة الجغرافيـة، البعـد البتروبوليتـكي لهـذه المنطقـة المتنـازع عليهـا بشـدة.

وأدى التكويـن الديموغـرافي لكركـوك إلى اختـلاف الادعـاءات بالملكيـة الحقيقيـة لهـذه المحافظـة. فالكـورد يعتبرونهـا جـزءاً لا يتجـزأ مـن أرض كوردسـتان، ويعتبرهـا التركـمان وطـن التركـمان (تركـمان إيـلي)، وإضافـة إلى هـؤلاء، فـإن العـرب يدعـون بـأن كركـوك لهـم.

وفيما يخص عدد السكان، يتحدث كل واحد من المكونات الرئيسة لكركوك عن أرقام مختلفة، والإحصائيات الرسمية للدولة العراقية في (1922 - 1924م) كانت تبين الآتي: يشكل الكورد 64.9%، العرب 20.8% والتركمان 4.8% من سكان كركوك. وفي إحصائية العام 1957م، تغيرت تلك النسب وصارت كما يأتي: الكورد 48%، العرب 28% والتركمان 21%. وفي إحصائيتي 1977 و1997 طرأت تغييرات ممنهجة على هذه النسب لتظهر نسب العرب أعلى ونسب الكورد والتركمان أقل. حيث ارتفع عدد العرب بنسبة 17% أولاً ليرتفع في 1977 إلى 45% وقيل إن نسبة الكورد هي 38% والتركمان 17%.

وفي العام 1997م، كانت التغييرات في هذه الأرقام كبيرة جداً حسب إحصائيات الدولة العراقية في تلك الفترة، فقد ارتفعت نسبة العرب 20% خلال تلك السنوات العشرين لتصبح 72% ونسبة الكورد 21% والتركمان 7% من سكان كركوك (Anderson, 2009). سياسة تعريب كركوك وطرد الكورد والتركمان منها وأثرها على عدد سكان المحافظة، تم الاعتراف بها من قبل الدولة العراقية الجديدة من خلال المادة 140 من الدستور العراقي، لكن لم يجر إلى اليوم تعداد للسكان لفض الخلاف بين الأطراف حول عدد السكان ونسبهم. ولو أخذنا بنتائج انتخابات مجلس النواب ومجلس محافظة كركوك كمعيار، لتبين لنا بوضوح أن الكورد يشكلون غالبية سكان كركوك.

كانت هذه المنطقة في أيام الحكم الساساني تعرف باسم كرمكان أو كرميان (نصري، 1392)، وكانت مركز ولاية شهرزور العثمانية (Sami, 1896: 3840 - 3843) وفيما بعد أصبحت سنجقاً تابعاً لولاية الموصل، وفي العام 1918م تم فصل ثلاثة أقضية تقع شمال الزاب الصغير عن كركوك ليشكل منها لواء أربيل (نوري الطالباني، 1995، ص7).

وفصل المرسوم الجمهوري المرقم 608 في 6 كانون الثاني 1975 قضاءي جمجمال وكلار عن كركوك وألحقهما بمحافظة السليمانية، كما فصل قضاء

كفري وألحقه بمحافظة ديالى. وإضافة إلى هذا، فصل المرسوم الجمهوري المرقم 41 في 29 كانون الثاني 1976 قضاء طوزخورماتو ونواحيه، عدا داقوق، عن كركوك وألحقه بمحافظة صلاح الدين، وغير اسم كركوك إلى محافظة التأميم. وألحق المرسوم الجمهوري المرقم 514 في الأول من كانون الثاني 1984 ناحية الزاب التابعة لقضاء الشرقاط في محافظة نينوى، بقضاء الحويجة في كركوك، ثم في العام 1987 تم إلغاء نواحي قرة هنجير وشوان وقرة حسن. وفي العام 1989م، اقتطع المرسوم الجمهوري المرقم 434 في 25 أيلول 1989 ناحية آلتون كوبري من كركوك وألحقها بمحافظة أربيل (رۆژهەلاتى، 2011: 38)، وهكذا استمرت التغييرات في الحدود الإدارية لكركوك في ظل الدولة العراقية، وكان وراء كافة هذه التغييرات دوافع سياسية.

لا يمكن أن يكتمل أي بحث متعلق بالحركة السياسية الكوردية في العراق بمعزل عن كركوك، ونستطيع القول بأن هذه المنطقة هي مركز ثقل نزاع كبير بين الكورد والعراق، ولم تتمكن مساعي حكومة بغداد لحسم الصراع بشأن كركوك من خلال الطرق العسكرية - الأمنية من التوصل إلى نتيجة حاسمة، ولم يتمكن الكورد من استعادة كركوك من خلال القتال المسلح. ومع أن دستور العام 2005 العراقي قد وضع آلية قانونية - دستورية لحسم الخلافات المتعلقة بالحدود الإدارية لكركوك، فإن هذه الآلية لم تطبق ما أبقى على الخلاف والنزاع على الأرض.

هذا المقال، يدقق بالتحديد في تأثير تغير الدولة على وضع كركوك ويرى في نموذج تحول ونزاع - حرب كوينسي - رايت مدخلاً نظرياً جيداً لتوضيح أزمة كركوك. وحسب هذا النموذج، فإن التغيرات التي تطرأ على المجتمع، حيث يمكن أن تضم الدولة كأعلى تنظيم سياسي في المجتمع، إضافة إلى التغييرات التي تطرأ على الجانب الثقافي وعلى القيم الانسانية، التكنولوجيا، المعلومات وخاصة العسكرية، مع التغييرات في القانون والسياسة الدولية، تستطيع تخريب النظام القائم في مجتمع ما وبهذا تمهد للأزمات والصراعات على المستويين

الداخلي والخارجي (Wright, 1983, 22 - 23). ولو نظرنا إلى قضية كركوك من هذا الباب، نستطيع القول:

1 - في كل تغيير أساسي طرأ على الدولة، برزت قضية كركوك كقضية أرض كبرى.

2 - كان تشكيل الدولة العراقية تغييراً أساسياً، حوّل النزاع بشأن كركوك من قضية دولية إلى شأن داخلي، وأدى سقوط الدولة العراقية في العام 2003 إلى تحويل هذه القضية من شأن داخلي إلى قضية دولية.

وتلقي البحوث الخاصة بالنزاع على الأرض الضوء على "قيمة هذه البقعة من الأرض" المتنازع عليها وتحاول توضيح السبب الذي أدى إلى حل هذه المشاكل في بعض الأحيان من خلال استخدام القوة وفي أحيان أخرى بدون اللجوء إلى القوة. وحسب هذه الرؤية فإن رقعة الأرض المتنازع عليها هذه، لو كانت تحتوي ثروة طبيعية هامة أو لها تأثير أمني حيوي وقيمة مرتبطة بالهوية، عندها تكون الحكومات عازفة عن حسم القضية بالطرق السلمية. لكن إذا كانت تلك الأرض تفتقر إلى هذه القيم عندها تبحث الحكومات عن حلول بعيدة عن الحروب لحلها. وفي هذا الإطار، وبسبب تعدد اللاعبين، والقيمة المرتبطة بالثروة، والقيمة الأمنية، وتلك المتعلقة بالهوية، فإن التوترات والنزاع بشأن كركوك سيستمر وربما أدى كل ذلك إلى حروب وقلاقل.

1 - التغيير الأول: تشكيل الدولة العراقية

عندما يطرأ تغيير على الدولة، باعتبارها أعلى مؤسسة سياسية لمجتمع ما، تتوفر الأرضية لبروز توترات ونزاعات داخلية أو خارجية. ومن بين التوترات والنزاعات التي نجمت عن سقوط وتقسيم الدولة العثمانية وتشكيل الدولة العراقية، مشكلة ولاية الموصل، التي كانت كركوك جزءاً منها. هذه المشكلة،

ظلت موضع الصراع الأبرز على الأرض بين الكورد والدولة العراقية واكتسبت صبغة المحلية. كانت مشكلة ولاية الموصل، بصفتها مشكلة على الأرض، ذات بعد دولي قوي في بدايات تشكيل الدولة العراقية. وكان اللاعبون الرئيسون فيها تركيا وبريطانيا والعراق. لكن الكورد كانوا فيها لاعباً بمثابة المفتاح الذي تلجأ إليه الأطراف المتنازعة لحسم نزاعها.

كان العراق كدولة حديثة التكوين بحاجة إلى ولاية الموصل للأسباب الآتية:

1 - تمثل المناطق الجبلية عند حدود ولاية الموصل، درعاً طبيعياً قوياً لتنعم في ظله الدولة التي مركزها بغداد بالأمان.

2 - الأهمية الجغرافية الاقتصادية لهذه الولاية من حيث وفرة النفط والماء فيها، ووجود سهول خصبة للزراعة وإنتاج الحبوب والطرق التجارية التي كانت بغداد تتطلع إلى الاعتماد عليها.

3 - كان بإمكان سكان ولاية الموصل المساعدة في خلق توازن بين الشيعة والسنة من الناحية العددية، ليتمكن الملك فيصل من تثبيت دعائم حكمه.

بعد استتباب سلطة الدولة العراقية وتخلي تركيا عن ولاية الموصل، استمر النزاع على الأرض بدرجة أكبر بين الكورد وحكومة بغداد إلى أن مهد فيما بعد، في مرحلة سقوط الدولة في العام 2003، للفدرالية في العراق. وهذا البحث، يركز في أغلبه على توضيح النزاع على ولاية الموصل بين تركيا والعراق - بريطانيا، والذي تأثر بالعوامل الآتية:

1 - عامل الديموغرافيا والسكان.

2 - النفط والموارد الطبيعية.

3 - القوة العسكرية.

4 - القانون والسياسة الدولية.

أدى الانهيار العثماني إلى عجز تركيا عن فرض إرادتها من خلال القوة، لذا فإنها كانت خلال المفاوضات بشأن مصير ولاية الموصل تحاول إثبات مشروعية سلطتها. أما بريطانيا التي كانت مهندس الدولة العراقية، فكانت تسعى إلى

شرعنة إلحاق ولاية الموصل بالعراق. ولتحقيق هذا، كان كل من الطرفين يلوذ بمسألة عدد السكان ويستخدم الكورد كورقة لإثبات آرائه.

وبخلاف عدد من المسؤولين الأتراك في تلك الأيام، كان مصطفى كمال أتاتورك في خطاباته يضع كركوك ضمن المدن التي يشملها "الميثاق الوطني" والتي يعيش فيها الكورد والأتراك، ولم يشر إليها أبداً على أنها مدينة تركمانية. "في اليوم الذي جرى فيه التوقيع على وقف إطلاق النار، كانت جيوشنا هي المسيطرة على تلك المناطق. هذه المناطق تضم جنوب خليج أسكندرون، أنطاكيا وحلب، وتلتقي في جنوب جسر جرابلس مع نهر الفرات من خلال العديد من المحطات المختلطة، وهذه المنطقة تنحدر من هناك جنوباً صوب ديرالزور لتضم الصحراء الشرقية والموصل وكركوك والسليمانية. وقد حمى جيشنا هذه المناطق بقوة السلاح، فهي مواطن الأتراك والكورد وجزء من وطننا" (K. Atatürk, 1981; 1186).

كانت تركيا في تلك المرحلة تبرز الوحدة القومية بين الكورد والأتراك وتحاول إثبات أن غالبية سكان ولاية الموصل هم أبناء عرق واحد. وكان الانجليز يؤكدون على أن غالبية سكان الموصل عموماً وسنجق كركوك على وجه الخصوص كورد، وأن الأتراك أقلية ومختلفون عن الأتراك العثمانيين. وقدم الوفد الانجليزي في مؤتمر لوزان إحصائية لعدد سكان سنجق كركوك يفيد بأن: عدد الكورد هو 45000، الأتراك 35000، العرب 10000، المسيحيين 600 واليهود 1400 (Seha Meray, 1993, 345) وقدروا عدد الكورد في كل ولاية الموصل بـ445000 نسمة. أما الوفد التركي، ومع أنه اعتبر عدد الكورد 263830 نسمة، فإنه أقر بأن غالبية سكان الولاية من الكورد (Öke, 1995, 262). ويعرض الجدول رقم (1) الإحصائيات المختلفة الخاصة بتعداد سكان ولاية الموصل والتي عرضت في مؤتمر لوزان 1923م (Bruinessen, 2005):

جدول رقم (1)

الإحصائيات التركية، التخمينات العسكرية البريطانية 1922 - 1924، حكومة العراق

	الإحصائيات التركية	التخمينات العسكرية البريطانية	تعداد 1922-1924، حكومة العراق
كورد	% 39،2-263830	% 54،5 - 427،720	% 64،9 - 520007
عرب	% 6،4 - 43210	% 23،7 - 185763	% 20،8 – 166،941
تركمان	% 21،8 - 146960	% 8،4 - 65،895	% 4،8 - 38،652
مسيحيون ويهود	% 4،6 - 31000	مسيحيون: % 7،9 - 62225 يهود: % 2،1 - 16865	مسيحيون: % 7،7 - 61336 يهود: 1،5% – 11897
أيزيديون	% 2،7 - 18000	% 3،8 - 30000	% 3،3 – 26257
سكان مستقرون	% 74،7 - 503000	-	-
رحّل	% 25،3 - 170000	-	-
المجموع	673000	785468	801000

ورداً عـلى الانجليـز، تحـدث عصمـت إينونـو، رئيـس الوفـد الـتركي في لـوزان، عـن الوحـدة القوميـة بـين الكـورد والأتـراك عـلى هـذا النحـو: "غالبيـة سـكان ولايـة الموصـل تتألـف مـن الـترك والكـورد. والنقطـة الثانيـة هـي أن المصـادر الانجليزيـة نفسـها تقـول إن أصـول الكـورد طورانيـة وإنهـم والـترك مـن عـرق واحـد. والنقطـة

الثالثـة هـي أن مصـير الكـورد مرتبـط بمصـير الـترك" (Öke, 1995, 192 - 193)، كـما أنـه يذكـر في مذكراتـه: "دافعنـا عـن الكـورد والـترك كأمـة واحـدة" (Selek, 2006, 220) وفي المقابـل رفـض رئيـس الوفـد البريطـاني، اللـورد كـرزون، وحـدة العـرق بـين الكـورد والـترك وقـال عـن ولايـة الموصـل: "غالبيـة سـكان هـذه الولايـة كـورد وعـرب. ولا يرتبـط الكـورد بالأتـراك بأيـة صلـة، فهـم مـن أصـول إيرانيـة. والمسـيحيون في هـذه المنطقـة يرفضـون الأتـراك، والكـورد يريـدون نيـل حريـة إدارة شـؤونهم بأنفسـهم (C. Kemal, 2007, 643 - 691).

النقطـة المشـتركة بـين إحصائيـات وآراء الوفديـن الـتركي والبريطـاني في مؤتمـر لـوزان، وبالرغـم مـن اختـلاف البيانـات التـي عرضوهـا واسـتثناء بعـض الكـورد مـن بقيـة الكـورد، كـما فعلـوا بالأيزيديـين، هـي أن الكـورد يشـكلون الأغلبيـة في ولايـة الموصـل عمومـاً وفي سـنجق كركـوك عـلى وجـه الخصـوص. وفيـما بعـد، أعلنـت الحكومـة العراقيـة في التعـداد العـام للسـكان في العـام 1957م أن الكـورد يمثلـون غالبيـة السـكان في كركـوك، لكـن تلـك النسـبة تغـيرت في الإحصائيـات التـي تلـت، وكـما هـو مبـيّن في الجـدول رقـم (2) (Anderson, 2009, 43).

جدول رقم (2)

	تعداد 1957		تعداد 1977		تعداد 1997	
كورد	187593	%48	184875	%38	155861	%21
عرب	109620	%28	218755	%45	544596	%72
تركمان	83371	%21	80437	%17	50099	%7
المجموع	388829	-	483977	-	752745	-

كان لوضـع كركـوك في هـذا النـزاع عـلى الأرض بـين تركيـا وبريطانيـا - العـراق خصوصيتـه. لأن هويتهـا كانـت لهـا قيمـة كـبرى، كـما أن لغناهـا بالنفـط أهميتـه.

لم تكن الغالبية من أهالي كركوك تريد الخضوع لحكم الملك فيصل، لذا فإن البريطانيين أداروها بأنفسهم أول الأمر، إلى أن قررت عصبة الأمم في 1924م إلحاقها بالعراق.

فحسب استفتاء أجراه ويلسن في 6 أيار 1921، رفضت الغالبية من سكان كركوك والسليمانية الخضوع لحكم ملك العراق. وكان من شروط المشاركة في هذا الاستفتاء أن يكون المستفتى يملك ما يعادل أو يزيد على ألف ريال، وكان السؤال المطروح في الاستفتاء هو: هل تقبل بالعيش في ظل حكم الدولة العراقية أم لا؟ وكانت النتيجة أن رد 46 شخصاً من كركوك بالإيجاب، بينما رد 2786 منهم بالرفض. وفي الأقضية والنواحي، كان هناك 197 شخصاً يقبلون بذلك الحكم و720 شخصاً يرفضونه. وفي السليمانية كان هناك 32 شخصاً يقبلون بالحكم العراقي من مجموع 192 مستفتى. وجاء في التقرير النهائي الخاص بنتائج الاستفتاء، أن المناطق الكوردية تطالب بدولة خاصة بها (كوجيرا، 2011: 76 - 77، 100).

لم يتمكن عامل الهوية من حسم قضية ولاية الموصل بين بريطانيا - العراق وتركيا، وأدى ضعف تركيا ومشاكلها الداخلية والخارجية إلى حل القضية بدون حرب من خلال اتفاقية العام 1926م. فتخلت أنقرة عن المطالبة بولاية الموصل لقاء الحصول على 10% من نفط كركوك لمدة 25 سنة، وهكذا انتهى النزاع على الأرض بشأن ولاية الموصل بين العراق وتركيا.

2 - التغيير الثاني: سقوط الدولة في 2003

كانت لخلق الدولة في العراق أسس خارجية، ويمكن أن نقسمها على مرحلتين: بريطانية (1921 - 2003م) وأمريكية (منذ 2003م). وبالرغم من أوجه الاختلاف بينهما، فإنهما فشلا في النهاية، وعانت الدولة العراقية نتيجة لذلك من مشاكل جذرية كبرى، من بينها مسألة الأرض.

الإدارة البريطانيـة للدولـة في العـراق، دامـت 82 سـنة مـضى أغلبهـا في ظـل حـروب وعـدم اسـتقرار. وتبـين أحـداث الحـرب مـع الكـورد، قمـع الشـيعة، الانقلاب عـلى الحكـم الملـكي في 1958م، ثـم أربـع انقلابـات وأشـباه انقلابـات في البلـد، الحـرب مـرة أخـرى عـلى الكـورد، الحـرب مـع إيـران، عمليـات الأنفـال والقصـف الكيميـاوي ضـد الكـورد، حـرب الكويـت وقمـع الشـيعة حجـم عـدم الاسـتقرار السـياسي والاجتماعـي في تلـك الدولـة التـي نتجـت عـن التخطيـط البريطـاني.

"الدولـة الحديثـة تقـوم عـلى أساسـين رئيسـين، أحدهـما توفـر قـوة وحكومـة مركزيـة، والثـاني وجـود عقيـدة يمكـن أن تعمـل كدعامـة لاسـتقرار الدولـة"، (تـام باتامـور، 1380م، ص123)، ولـو أننـا نظرنـا إلى العـراق مـن خـلال هـذا المنظـار لوجدنـا أن هـذه الدولـة لم تسـتطع حشـد جميـع القـوى في ظلهـا، بـل كانـت هنـاك عـلى الـدوام ثـورات وانتفاضـات ضدهـا. كـما أنهـا لم تتمكـن مـن خلـق أمـة تحفـظ لهـا اسـتقرارها. خلـق الدولـة في العـراق، شـأنه في ذلـك شـأن جميـع دول مـا بعـد الاحتـلال في أنحـاء العـالم، كان لـه مصـدر خارجـي وتكمـن مصـادر الخلـل فيـه، في الآتي:

أولاً: غياب التنسيق بين الدولة ومكوناتها الاجتماعية وحدودها القومية.

ثانيـاً: احتـكار المؤسسـات العامـة للدولـة مـن حكومـة وجيـش، وإخضاعهـا لأشـخاص معينـين تـارة ولفئـة عرقيـة - مذهبيـة تـارة أخـرى.

وكان لنقطتـي الخلـل هاتـين تأثـير مبـاشر عـلى أوضـاع كركـوك، وسـنعرض لهـا بمزيـد مـن التفصيـل.

2 - 1 عدم التناسق بين الدولة والمجتمع

تحتـاج أيـة دولـة إلى أمـة وهويـة مشـتركة أو عقيـدة لتتمكـن مـن خلالهـا مـن ضـمان اسـتقرارها، لكـن عمليـة خلـق الدولـة في العـراق، لم تصحبهـا عمليـة بنـاء

قوميـة شـاملة، ولهـذا ظلـت ناقصـة. فلـم تسـمح الهويـة غـير المتجانسـة وعـدم المسـاواة داخـل المجتمـع العراقـي، الـذي تـم تجميـع أجزائـه قـسراً، ببنـاء هويـة مشـتركة قويـة تتمسـك بهـا الدولـة. وبالرغـم مـن التأكيـد أحيانـاً عـلى الهويـة العراقيـة بـدلاً عـن الهويـة العربيـة والمذهبيـة، لكـن هـذا لم يكـن أبـداً يتمتـع بالقـوة التـي تسـتطيع بهـا توحيـد المكونـات المختلفـة. لـذا فـإن سياسـات هـذه الدولـة كانـت ومازالـت ذات مصـادر قوميـة أو مذهبيـة. ونتيجـة لهـذه المشـاكل البنيويـة، كان عـدم الاسـتقرار السـياسي المشـكلة المزمنـة والمتجـذرة في كيـان الدولـة العراقيـة، وبـرز هـذا بدرجـة أشـد في المناطـق ذات التركيبـة المنوعـة مثـل كركـوك.

الـشرخ القومـي بـين الكـورد والتركـمان والعـرب عميـق جـداً، وهـذا هـو الـذي يحـدد وجهـة الأحـداث هنـاك. والقـرارات السياسـية في هـذه المحافظـة تبنـى عـلى أسـاس الـشرخ بـين القوميـات، وعـلى نفـس الأسـاس تُتخـذ المواقـف. الكـورد يريـدون لأسـباب تتعلـق بالهويـة - الأمـن والـثروة القوميـة، ضـم كركـوك إلى إقليـم كوردسـتان ويطالبـون بتنفيـذ المـادة 140 مـن الدسـتور. ولـو نفـذت هـذه المـادة بحذافيرهـا وأجـري اسـتفتاء فيهـا، فـإن نتائـج الانتخابـات السـابقة تخبرنـا بـأن "نعـم" لعـودة كركـوك إلى أحضـان إقليـم كوردسـتان هـي النتيجـة الحتميـة لذلـك الاسـتفتاء. لكـن المكونَـين التركـماني والعـربي يميـلان إلى البقـاء مـع بغـداد.

ويـرى قسـم مـن التركـمان أن إعـادة كركـوك إلى إقليـم كوردسـتان سـيخلق لهـم أزمـة هويـة، إلى جانـب شـق المنطقـة الجغرافيـة التـي يطلقـون عليهـا تركـمان إيـلي إلى شـقين، وإلى تقسـيم التركـمان. كـما أن ثمـة قلقـاً مـن الآثـار المفترضـة لهـذا الحـدث عـلى المسـألة الكورديـة في تركيـا. ولعـرب كركـوك رؤيـة تتعلـق بالهويـة ويدعـون ملكيـة كركـوك، وبصـورة عامـة فـإن العـرب السـنة لا يستسـيغون عـودة كركـوك إلى إقليـم كوردسـتان مـن منطلقـات اقتصاديـة أيضـاً. فهـم يـرون أنـه في حـال حصـل ذلـك، فـإن مناطقهـم سـتبقى ضعيفـة اقتصاديـاً بـين منطقتـين، جنوبية وشـمالية، غنيتـين بالنفـط. وبـات شـيعة العـراق اليـوم حملـة رايـة وحـدة العـراق ويـرون بقـاء كركـوك خاضعـة لبغـداد عامـلاً أمنيـاً واقتصاديـاً هامـاً يعـزز سـلطتهم.

ويبـدو أن الـشرخ القومـي بـين مكونـات كركـوك يؤثـر عـلى طريقـة التفكـير وتعريـف المصالـح الخاصـة بـكل مكـون. الأمـر الـذي أدى إلى اسـتدراج لاعبـين مـن الخـارج للتـورط في ملـف كركـوك.

2 - 2 - إحتكار الدولة

مؤسسـة الدولـة العراقيـة تُحتكـر عـلى فـترات متقاربـة، ولـن يتـم تطبيـق الديمقراطيـة الحقـة إلا إذا وجـدَت المجاميـع والمكونـات الموجـودة في هـذه الدولـة أنفسـها ضمـن إطارهـا. وظـل النظـام، في الغالـب بدعـم مـن الخـارج، حكـراً عـلى شـخص أو فئـة معينـة. ولايـزال السـنة، والكـورد أيضـاً، يتهمـون الشـيعة بالاسـتئثار بالسـلطة في بغـداد وحشـد القـوة. والشـيعة، بخـلاف فـترة طويلـة مـن تاريـخ العـراق، يمسـكون الآن بزمـام السـلطة والنظـام السـياسي في هـذا البلـد. وقـد سـاهمت حـرب 2003 في تحويلهـم إلى القـوة السياسـية الأكـثر تأثـيراً، وعمقـت الحـرب مـع داعـش وعـززت هـذه الحالـة.

اكتسـب الحشـد الشـعبي، كقـوة مسـلحة شـيعية، نوعـاً مـن الشرعيـة الدوليـة بفضـل حـرب داعـش، وهـو في العـراق قـوة رسـمية وقانونيـة. وبسـبب الأزمـة الداخليـة الكورديـة - الشـيعية والشـيعية - السـنية، زاد تأثـير الشـيعة عـلى الحكومـة المركزيـة أكـثر مـن ذي قبـل. وقـد أسـفر تأثـير الأحـزاب والقوى السياسـية الشـيعية في الحكومـة، ووجـود الحشـد الشـعبي وتأثـير الروحانيـين الشـيعة عـلى التغيـيرات السياسـية في البلـد، عـن إقنـاع الأطـراف المسـتاءة بفكـرة "دولـة شـيعية ثانيـة في الـشرق الأوسـط".

وبصـورة عامـة، فـإن حالـة الإحتـكار للدولـة تدفـع باتجـاه حضـور الحـل العسـكري لحـل التوتـرات والنزاعـات عـلى الطاولـة. بعـد 2003 وتغيـير طبيعـة الدولـة في العـراق، نشـأت آمـال في حـل قضيـة كركوك من خـلال القانون - الدسـتور

والطـرق غـير العسـكرية. لكـن لم يمـض وقـت طويـل حتـى انهـارت تلـك الآمـال ولم تحـل القضيـة بـل بـرزت مـن جديـد عنـاصر الـصراع السـياسي - العسـكري. ولأسـباب سياسـية لم تتمكـن آليـات المـادة 58 مـن قانـون إدارة الدولـة الموقـت والمـادة 140 مـن الدسـتور الدائـم ولجنتهـا مـن حسـم القضيـة.

بعـد انسـحاب الجيـش الأمريـكي في العـام 2012، تحولـت هـذه القضيـة بـين أربيـل وبغـداد مـن نـزاع إلى توتـر وتهدئـة، لكـن مـع اقـتراب داعـش مـن نهايتـه، ارتفعـت وتـيرة الخـلاف إلى صراع أسـفر عـن أحـداث 16 أكتوبـر وعـودة القـوة العسـكرية التابعـة للحكومـة المركزيـة العراقيـة إلى كركـوك. الأمـر الـذي زاد مـن عـدم وضـوح مصـير المـادة 140 والحـل السـلمي لقضيـة كركـوك والمناطـق المتنـازع عليهـا.

ثمـة نقطـة أخـرى، هـي افتقـار العـراق إلى جيـش وطنـي موحـد واسـتمرار عمليـة تحـول البلـد إلى سـاحة لتسـلط الميليشـيات، وهكـذا يصبـح تـوازن القـوة بـين هـذه الجماعـات المسـلحة المختلفـة الموجِّـه للتوتـرات والصراعـات المرتبطـة بقضيـةٍ كقضيـة كركـوك.

2 - 3 - التدخل الخارجي

منـذ العـام 2003م، بـدأت عمليـة صناعـة جديـدة للدولـة في العـراق كانـت أمريـكا مهندسـها الرئيـس. والدولـة الجديـدة في العـراق، أقـل تصلبـاً في الظاهـر مـن النمـوذج الملـكي - الجمهـوري السـابق لخلـق الدولـة. وقـد أفلتـت الديناميـات الداخليـة لهـذه الدولـة، والتـي كانـت قـد ألصقـت ببعضهـا البعـض قـسراً، الأمـر الـذي مهـد لموجـة مـن العنـف وعـدم الاسـتقرار السـياسي نتجـت عنهـا تدخـلات خارجيـة.

لنتطـرق إلى أدوار تركيـا، أمريـكا، إيـران والأمـم المتحـدة. تـرى تركيـا أن بإمـكان كركـوك التأثـير بقـوة عـلى الأحـداث في المنطقـة، لـذا فإنهـا في سياسـتها الرسـمية

المعلنة تعتبرها خطاً أحمر. وعموماً لا تستحسن أنقرة عودة كركوك إلى إقليم كوردستان، بسبب التركمان، الادعاءات التاريخية التركية بحقها في هذه المنطقة والآثار المتوقعة لها على الملف الكوردي في كل من العراق وتركيا. وإيران كتركيا تخشى احتمال تعزيز إقليم كوردستان وآثاره على القضية الكوردية في المنطقة، ولا تريد لذلك أن يحصل.

أما أمريكا، القوة الفاعلة في العراق، فلها مواقف متناقضة بخصوص كركوك، فهي تؤكد رسمياً على ضرورة تطبيق المادة 140 من الدستور، لكنها عندما كانت ممسكة بزمام الأمور في العراق طوال الفترة (2003 - 2011م) لم تتخذ خطوة عملية واحدة لتطبيق تلك المادة. وبعد عودة الجيش العراقي في 16 أكتوبر 2017 أعادت واشنطن التأكيد على ضرورة تطبيق الدستور. ولكن الحال الآن ليست كما كانت عليه قبل 2011 عندما كانت أمريكا القوة الخارجية الأكثر فاعلية في العراق.

وتحركات الأمم المتحدة المرتبطة بهذه القضية الجغرافية هي في الغالب مرتبطة بالتوازنات السياسية. فقد بذل مبعوث الأمم المتحدة السابق، ستيفان ديمستورا جهوداً كبيرة في العام 2007 لإقناع الكورد بتأجيل تطبيق المادة 140، وأعلن في برلمان كوردستان أنه في حال قبول الكورد بهذا التأجيل فإن الأمم المتحدة ستعمل على تنفيذ المادة خلال ستة أشهر. لكن مر وقت أكثر من ذلك بكثير وتناست الأمم المتحدة الأمر.

النتيجة

العراق يشرف على ذكراه المئوية، ولاتزال واحدة من دعائم دولته تهتز، ألا وهي الأرض. فمع بدء تكوين الدولة كانت ثم مشكلة ولاية الموصل، ثم جاءت مشاكل الأرض والحدود مع إيران والكويت، وداخلياً كانت مشكلة الأرض والهوية مع الكورد قائمة باستمرار، وكانت من الأسباب الهامة التي هزت دعامة "الأرض" للدولة العراقية.

كان قيام وسقوط الدولة العراقية في مرحلتين تاريخيتين مختلفتين، تغيراً أساسياً في المجتمع ونتيجة لذلك ظهرت تجاذبات على الأرض داخلية - خارجية بشأن كركوك. ويمكننا القول إنه منذ تشكيل الدولة العراقية، فإن كركوك كانت بسبب بقائها ضمن حدود ولاية الموصل، ثم بسبب النزاع المستمر بين الكورد وحكومة بغداد، في مقدمة مشاكل الأرض والجغرافيا في العراق.

كان سقوط الدولة العراقية في العام 2003م، تغيراً هاماً أبرز قضية كركوك التي لاتزال بدون حل. والنزاعات المرتبطة بهذه المنطقة، تسببت من جهة في استمرار مشكلة تكوينية وبنيوية للدولة العراقية، وقضية هوية وأرض بالنسبة لإقليم كوردستان من جهةٍ أخرى. وإلى جانب المخاوف الأمنية - السياسية وتلك المتعلقة بالهوية للدول الجارة فإن المصالح المتضادة الجيو - سياسية والجيو - إقتصادية لهذه الدول حولت قضية كركوك من موضع نزاع محلي إلى قضية إقليمية الأمر الذي زادها تعقيداً.

ولم يتمكن أي من الإجراءات الحربية أو السلمية حتى الآن من حسم مصير كركوك. والتخلي عن الإجراءات القانونية والدستورية لصالح التعامل بمنطق القوة، والاعتماد على التوازنات السياسية الدولية والتدخلات الخارجية، أديا إلى تعقيد قضية كركوك. وفي النزاع على الأرض، فإن أهمية

هـذه "البقعـة مـن الأرض" المتنـازع عليهـا، هـي التـي تحـدد طريقـة حلهـا. ومـن هـذا المنطلـق، بإمكاننـا القـول إن كـثرة اللاعبـين في قضيـة كركـوك وأهميتهـا مـن ناحيــة الــثروة والأمــن والهويــة، ســتؤدي إلى إدامــة التوتــر والنــزاع عــلى هــذه الأرض لفـترة طويلـة.

المصادر

- نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن 1995، ص7.
- كريس كوجيرا، الكورد في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة: حمةكريم عارف، مطبعة آوير، أربيل 2011، ط6.
- تام باتامور، جامعەشناسی سياسی، محمد حريری اكربی، نرش قطرة، تهران، چاپ يكم، 1380.
- قديـر نـرصی و...، جايـگاه كركـوك در معـادلات راهـردی عـراق، فصلنامـه افـاق امنيـت، سـال پنجـم، شـاره نوزدهـم، تابسـتان 1392. - زريان رۆژهەلاتـی- شنو عثمان، آثار انسحاب القوات الأمريكية على إقليم كوردستان، جمعية العلوم السياسية، السليمانية 2011.

- Şemseddin Sami: Kamusü'l - Alâm, İst. 1986, Cild - 5, s.3840 - 3843.
- K. Atatürk, Nutuk, İsatnbul 1981, C III, V. 220, S. 1186.
- Prof. Mim Kemal Öke, Musul - Kürdistan Sorunu, İstanbul, İz Yayıncılık, 1995.
- Sabahattin Selek, İsmet İnönü / Hatıralar, Ankara Bilgi Yayınevi, 2006.
- Seha Meray, Lozan Barış Konferansı Tutanaklar - Belgeler I, Yapı Kredi Yayınları, İsatnbul, 1993.
- Dr. Cemal Kemal, Birinci Dünya Savaşı ve Sonrasında Musul Sorunu, Ankara Üniversitesi Türk İnklap Tarihi Enstitüsü, Atatürk Yolu Dergisi, S40, Kasım 2007.
- Quincy Wright, A Study of War, University of Chicago, 1983.
- Anderson, Liam D; Stansfield, Gareth R. V. (2009), Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise, University of Pennsylvania Press, p. 43, ISBN 0 - 8122 - 4176 - 2.
- Bruinessen, M. van. 2005, "Kurdish Challenges". In W. Posch, Looking into Iraq [Chaillot Paper no. 79]. Paris: European Union Institute for Security Studies: 9.